المختار الثقفي

دراسة وتحليل

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

المختار الثقفي

دراسة وتحليل

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي

المختار الثقفي

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : دار الذخائر الإسلامية

المطبعة : شريعت

الطبعة الثانية : ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

شابك

ISBN 964 - 8589 - 88 - 7 ٩٦٤ ـ ٨٥٨٩ ـ ٨٨ ـ ٧

كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

المختار الثقفي ثائر شجاع ، رمز من رموز الشرف والعزّ ، سجّل التاريخ اسمه بكلّ اعتزاز وفخر ، فقد رفع راية الحرّيّة ووقف بعزم شامخ أمام طغيان الحكم الأموي الأسود .

نشأ وتربّى في بيت عريق ومن أبوين صالحَين ، فقد ترعرع على الحبّ والولاء للعترة النبويّة الشريفة والدفاع عن حقوقهم .

فالمختار بطل منزّه عن كلّ ما يتّهم به ، فهو إسلامي ، مجاهد ، سياسي ، عابد ، ذو إرادة قويّة .

بعد وقوع واقعة الطفّ الأليمة ، واستشهاد سيّد الشهداء أبي الأحرار عليه السلام وأصحابه الكرام ، لم يهدأ المختار لحظة واحدة ، فقد صمّم على أخذ الثأر والانتقام من الظالمين والطغاة ، وكان شعاره « يا لثارات الحسين » ، وقد وفّقه الله تعالى للقضاء على كلّ مَن شارك في قتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام .

فالكتاب ـ أيّها القارئ الكريم ـ يبحث عن تلك الشخصيّة الفذّة الذي نال مدح وثناء أئمّة أهل البيت عليهم السلام .

فقد كتبه سماحة الوالد العزيز حفظه الله تعالى في وقت كانت حالته الصحّيّة غير مستقرّة ، وقد وفّقه الباري عزّ وجلّ لإتمام وإخراج هذا

المجهود . فكان سماحة الوالد يرى المختار ـ بعد دراسة وبحث ـ انه شخصيّة عملاقة ، قد شفى صدور وقلوب المؤمنين بانتقامه وأخذه الثأر من الظالمين .

ونحن نحمد الله عزّ وجلّ على ما وفّقنا به لمراجعة نصوص ومصادر الكتاب في طبعته الثانية ليخرج بأفضل حِلّة .

وفي الختام أرفع آيات الشكر والتقدير إلى الفاضل الوجيه الحاجّ حسنين القرشي لمساهمته في طبع هذا الكتاب ، ليهدي ثوابه إلى روح المرحومة المغفور لها الطاهرة والدته ، شكر الله مساعيه .

والحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على محمّدٍ وآل بيته الطاهرين

مهدي باقر القرشي

٢٠ / محرّم الحرام / ١٤٣٠هـ

تقديم

١

نحن أمام بطل من أبطال التاريخ ، وفذّ من أفذاذ الفكر السياسي في الإسلام ، إنّه القائد الملهم « المختار الثقفي » الذي استطاع بإيمانه الوثيق ، وعقله الجبّار أن يتغلّب على الأحداث ، وينقذ العراق من سلطة ابن الزبير ، ويلحق الهزيمة بأعتى حكومة عرفها التاريخ العربي ، وهي الحكومة الأمويّة ، ويرفع راية الحريّة والكرامة في العراق ، قلب الأُمّة العربيّة ، ومركز الوعي والحضارة في هذا الشرق .

٢

وتشكّلت في العراق دولة المستضعفين والمعذّبين بعد الانقلاب العسكري الذي قام به البطل الملهم ، والقائد المحنّك ، المختار ، وطوى معالم حكومة ابن الزبير ، ومنذ أن تسلّم هذا القائد العظيم بادر إلى وضع برامج سياسته الداخليّة والخارجيّة ، فكانت بمخطّطاتها على وفق سياسة الإمام أمير المؤمنين ، ومنهج حكمه ، فقد عايشه ، وتأثّر بسلوكه ، وبنى أنظمة حكمه على ضوء سياسته التي حكتها وثائقه الرسميّة إلى ولاته وعمّاله ، وأهمّها ـ فيما أحسب ـ عهده إلى الزعيم مالك الأشتر واليه على مصر ، وهي أهمّ وثيقة سياسيّة في الإسلام ، فقد رصّعت بأروع أنظمة الحكم والإدارة ، وغيرها من شؤون الدولة القائمة على ضوء العدل والحقّ .

٣

وكان من أهمّ برامج سياسة المختار التي نالت رضا السادة العلويّين ، وانعشت قلوب من شايعهم من المؤمنين في جميع الأحقاب والآباد . إنّه في اليوم الأوّل من تسلّمه للسلطة أعلن رسميّاً أنّه لا حياة ولا بقاء للعصابات المجرمة الملطّخة أيديها بدم أبي الأحرار ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، وسبط الرسول الأعظم ، الإمام الحسين عليه السلام ، فقد قرّر تصفيتهم وإبادتهم ، وهدم بيوتهم ، ومصادرة أموالهم ، ومقابلتهم بأقسى ألوان العذاب والتنكيل ، وشمل هذا الإجراء العادل أمثال المجرم الخبيث عمر بن سعد القائد العامّ في الجيش الأموي ، والسفكة المجرمين من قادة الفرق ، كشبث بن ربعي ، وحجّار بن أبجر ، وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم من السقطة الأنذال الذين اقترفوا أخطر جريمة على وجه الأرض ، فقد زلزل الأرض تحت أقدامهم ، وملأ قلوبهم رعباً وخوفاً ، وساقهم إلى مجازر الموت ، وقد وفّق المختار في هذا الاجتثاث ، ونال إعجاب السائرين على الخطّ العلويّ في جميع الأزمان .

٤

وشيء آخر بالغ الأهميّة في سياسة المختار الرشيدة أنّه تبنّى بصورة إيجابيّة الموالي ، وأضفى عليهم جميع ألوان الحفاوة والتكريم اللذين لم يشعروا بهما أيّام الحكم الأموي ، وما سبقه سوى عهد الإمام أمير المؤمنين رائد العدالة الاجتماعيّة في الأرض ، فقد أسند لهم المختار مهام دولته ، وأجهزة حكمه ، الأمر الذي نجم عنه سخط الخطّ العربي له ، وإلصاق التهم الرخيصة به .

لقد أدرك المختار بإيمانه الوثيق الظلم الهائل الذي لاحق الموالي ، فسعى جاهداً إلى إنقاذهم ممّا هم فيه ، وانضمامهم تحت لوائه ، فكانوا شاكرين له مساواتهم للعرب

في الحقوق المدنيّة وغيرها.

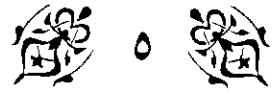

أمّا الظاهرة البارزة في شخصيّة المختار، فهي الولاء العارم. والمودّة الصادقة لأهل بيت النبوّة، ومراكز الحكمة. وسدنة الوحي. فقد كان حبّه لهم قائماً في أعماق نفسه ودخائل ذاته، ولم يكن ناشئاً عن عاطفة أو هوىً متّبع. وإنّما كان ناشئاً عن وعي وعمق في التفكير، فقد عايش سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام القائمة على العدل الخالص. والحقّ المحض. ورأى معالم سياسة معاوية القائمة على الكذب والغدر والدجل والخيانة، رأى في عهده صادقاً يكذّب. وكاذباً يصدّق، وأثرة بغير حقّ. وإبادة شاملة لأعلام الفكر ودعاة الإصلاح. أمثال المصلح الكبير حجر بن عدي. وغير ذلك من صنوف الظلم والجور. فلذا أخلص في ولائه لأهل البيت وتفانى في حبّهم.

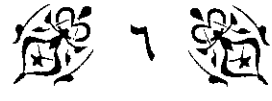

وأخلص المختار كأعظم ما يكون الإخلاص في طلبه بثأر الإمام المظلوم أبي عبدالله عليه السلام. فقد كوته أهوال تلك الفاجعة الكبرى. وهزّت ضميره. بل ضمير كلّ إنسان يملك إرادته على امتداد التاريخ. ستزول الدنيا. وينعدم الكون وجرح الحسين صعب الشفاء.

إنّ الرزايا العظيمة التي أحاطت بأبي الأحرار عليه السلام في صعيد كربلاء قد تصدّعت من هولها نفوس الشيعة. وتركتهم يموجون في تيّارات من الأسى والحزن على عدم قيامهم بنصرته، وإنقاذه من تلك العصابة المجرمة التي لا ترجوا لله تعالى وقاراً. فقد أبادت تلك الكواكب المشرقة. ومزّقت بسيوفها ورماحها جسد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله. ومثّلت به أقسى ما يكون التمثيل.

٧

انبرى المختار بإيمان صادق ، وعزم راسخ ، وإرادة صلبة إلى الطلب بثأر الإمام المظلوم ، الذي استشهد من أجل حياة الناس وكرامتهم ، وإنقاذهم من الكابوس المظلم .

لقد استهان المختار بحياته ، وقدّم المزيد من التضحيات في سبيل تحقيق هدفه العظيم ، فإنّه حينما تسلّم السلطة ملأ بيوت المجرمين من عبيد ابن مرجانة خوفاً ورعباً ، ففرّت عصابة منهم إلى ابن الزبير ، وهربت أُخرى إلى عبدالملك بن مروان ، ومن ألقت السلطة القبض عليه نفّذت فيه حكم الإعدام ، وأخلدته بنار جهنّم .

لقد تحقّق على يد المختار دعاء الإمام الحسين عليه السلام على قاتليه أن يسقيهم الله تعالى كأساً مصبرة مليئة بالغصص والآلام ، واستجاب الله تعالى دعاء وليّه ، فسقاهم المختار كأساً مملوءة بالرعب والخوف والدمار .

٨

والشيء المحقّق أنّ المختار كان من المؤمنين الأخيار ، والمنيبين إلى الله عزّ اسمه ، فكان في معظم حياته صائماً نهاره ، قائماً ليله ، خصوصاً لمّا تقلّد السلطة ، ووفّقه الله تعالى للأخذ بثأر ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان كلّما قتل مجرماً اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام صام لله تعالى شكراً له ، كما كان ينفق معظم لياليه في تلاوة كتاب الله تعالى والصلاة ، وقد أدلت زوجتاه بذلك حينما طلب ابن الزبير منهما البراءة منه ، فقالتا : «كيف نتبرأ منه ، وكان صائماً نهاره ، قائماً ليله ، قد بذل دمه لله تعالى ورسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله» .

وأعدم ابن الزبير إحدى زوجتيه لأنّها رفضت البراءة منه ، ودلّ ذلك على نذالة

ابن الزبير ولؤم عنصره ووضاعته.

لقد كان المختار في أعلى درجات المتّقين في ورعه وتقواه وإيمانه العميق بالله تعالى.

٩

اتّهم هذا العملاق بأنّه ثار ليس لأجل الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام ولا إيماناً منه بقضيّته، ولا طلباً واقعيّاً للأخذ بثأره، وإنّما ثار من أجل الملك والسلطان، وهي تهمة رخيصة عارية عن الصحّة، وبعيدة عن الواقع، ولو كان ذلك ـ كما يقولون ـ لأبقى قتلة الإمام على قيد الحياة لأنّهم من عيون الكوفة ووجوهها، وسلم من المصادمات التي عاناها من أرحامهم وأصدقائهم.

كما اتّهم أنّه ادّعى النبوّة، وغير ذلك ممّا ألصق به من الافتراءات التي لا تمتّ إلى واقعه المشرق بصلة، وسنعرض لتفنيد ذلك في بحوث هذا الكتاب.

١٠

من متمّمات البحث عن سيرة المختار أن نعرض إلى الأحداث الجسام التي شاهدها في عصره، وتركت بصماتها في آفاق نفسه، فإنّ لها الأثر التامّ في بناء شخصيّته، وتكوين أفكاره، واعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

لقد كان المختار مرهف الحسّ، عميق الفكر، قد درس بوعي سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فآمن به، واعتنق قيمه ومبادئه، وتفانى في الولاء له، وعرف كيد ما دُبّر ضدّه من المخطّطات التي وضعتها القوى القرشيّة لصرف الخلافة عنه، وإبعاده عن المسرح السياسي، وعزله عن الأُمّة، فكان مؤتمر السقيفة أوّلاً، وثانياً نظام الشورى الذي صمّم بأُسلوب بارع لإقصائه عن الحكم، ووضعه بأيدي الأمويّين، كلّ هذه

الأحداث وعاها المختار ، ووقف على أبعادها ومكوناتها ، ونحن نعرض لها على سبيل الإجمال .

١١

نال المختار بمواهبه وعبقريّاته إعجاب العلماء والمؤلّفين من قدامى ومحدثين ، فألّفوا عن حياته وسيرته وحكومته عشرات الكتب ، بالإضافة إلى ما دوّنوه عن حياته في مصادر التاريخ والتراجم ، وهي تحكي ما يتمتّع به هذا العبقري من النزعات الشريفة والقابليّات الفذّة التي أهّلته لقيادة العراق حكومة وشعباً ، في فترة كانت من أعقد الفترات في التاريخ الإسلامي ، وأكثرها حسّاسيّة ، وهذه بعض الكتب التي أُلّفت فيه :

١ ـ أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي ، لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي ، حسبما ذكره الشيخ في رجاله ، إلّا إنّا لم نعثر عليه .

٢ ـ أخبار المختار لنصر بن مزاحم (مؤلّف وقعة صفّين) ، ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست .

٣ ـ أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي للشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ، ذكره الشيخ في فهرسته[١] .

٤ ـ أخبار المختار للشيخ الصدوق ، ذكره النجاشي[٢] .

٥ ـ تنزيه المختار للسيّد عبدالرزاق المقرّم .

٦ ـ أصدق الأخبار في قصّة الأخذ بالثأر للسيّد محسن الأمين العاملي .

---

(١) الفهرست / الطوسي : ١٦٦ .

(٢) رجال النجاشي : ٣٩٢ .

٧ ـ المختار الثقفي للشيخ أحمد الدجيلي.

٨ ـ المختار الثقفي مرآة العصر الأموي للدكتور عليّ حسين الخربوطلي: وهو من أجود ما أُلف في هذا الموضوع، وقد استفدت منه الكثير.

٩ ـ المختار بن أبي عبيد الثقفي الثائر النزيه، والمجاهد الحرّ للسيّد عبداللطيف حسين العميدي، وقد قرّضناه، كما قدّم له سماحة العلّامة الكبير الشيخ عبدالجبّار الساعدي بمقدّمة وافية.

هذه بعض المؤلّفات التي أُلّفت في حياة المختار المجاهد، وهي تنيف عن ٢٧ كتاباً ـ على وسع اطلاعي ـ ومنها بلغات غير العربيّة كالفارسيّة والگجراتيّة تجنّبنا ذكرها طلباً للاختصار.

١٢

للمختار حقّ وأيادٍ بيضاء على أولياء آل محمّد ﷺ، وذلك بما أسداه عليهم من اللطف والفضل الذي لا ينسى، فقد أثلج قلوبهم، وأقرّ عيونهم بما أنزله من العقاب الصارم، والتنكيل الموجع بالسفكة المجرمين من عبيد ابن مرجانة، الذين أبادوا بسيوفهم خيرة أهل الأرض في صعيد كربلاء، ورفعوا رؤوسهم على أطراف الرماح ومعها سبايا عقائل الوحي يطاف بهنّ في الأقطار والأمصار.

وإنّي قد منّ الله تعالى عليّ وشرّفني بأن أكون من خدّام أهل البيت عليهم السلام، فأنا أكنّ في أعماق نفسي خالص المودّة للمختار، وقد زرت مرقده الشريف غير مرّة، وترحّمت عليه كثيراً، وألّفت هذا المجهود عن سيرته وفاء لمعروفه، واعترافاً له بالفضل، وبالإضافة لذلك فإنّ ابن خالي المرحوم الحاج كاظم زيني المعروف بجدي كان من عشّاق المختار، ومن المتعطّشين لمعرفة سيرته، وقد طلب منّي غير مرّة الكتابة عنه، وفعلاً فقد تحقّق ذلك.

الأُسرة التي تفرّع منها البطل الشهم هي قبيلة ثقيف في الطائف[1]، وهي من الأُسر العربيّة التي عرفت بالفضل والمجد وقراية الضيف. هاجر إليها النبيّ ﷺ لينشر فيها الإسلام، فلم يجد أرضاً صالحة لتقبل دعوته. فقفل راجعاً إلى مكّة، فتبعه الأطفال يرمونه بالحجارة. حتّى أُصيب بجراح. وقد أترعت نفسه الشريفة ألماً منهم.

ولمّا فتح الله تعالى الفتح المبين لعبده ورسوله ﷺ فاحتلّ مكّة، وحطّم أصنام قريش وأوثانها، وطهّر البيت الحرام منها، هرعت هوازن وثقيف لمحاربة المسلمين وذلك في موقعة حنين سنة ٨هـ.

ولمّا هزمهما المسلمون انسحبا إلى الطائف، فحاصرها الرسول ﷺ خمسة عشر يوماً، وقد هدّدهم بإتلاف بساتينهم، وإحراق كرومهم، فامتنعوا من قبول الإسلام،

---

(١) **الطائف**: مدينة تبعد عن مكّة مسيرة يوم ونصف بما يقدّر باثني عشر فرسخاً، وفيها من الفواكه ما لا يوجد في غيرها، ومعظم ما يستهلكه أهل مكّة منها، وأغلب سكّانها من ثقيف، وعرف أهلها بالحماية والذبّ عن وطنهم، وفي ذلك يقول أبو طالب بن عبدالمطّلب:

مَنَعْنا أَرضَنا مِنْ كلِّ حيٍّ ... كَما امْتَنَعَتْ بِطائِفِها ثَقيفُ
أَتاهُمْ مَعْشَرٌ كَي يَسلُبوهُمْ ... فَحالَتْ دونَ ذلِكُمُ السُيوفُ

معجم البلدان: ٤: ١١ و ١٢

وأصرّوا على عبادة الأصنام، وبقوا تحت الحصار.

ولمّا قرب شهر ذي القعدة ـ وهو من الأشهر الحرم ـ فكّ النبيّ ﷺ عنهم الحصار، وقفلت الجيوش الإسلاميّة راجعة إلى المدينة.

وفكّرت ثقيف في قوّة الإسلام، وأنّها لا تستطيع مقاومته، فبعثت وفداً إلى مقابلة النبيّ ﷺ، فعرضوا عليه إسلامهم، ولكن بشرط أن يسمح لهم بترك الصلاة، وإبقاء معبودهم (اللات) ثلاث سنين، فرفض النبيّ ﷺ مقترحهم، وأصر على دخولهم في الإسلام بلا قيد ولا شرط، فأجابوا إلى ذلك[١].

كما شرط عليهم الامتناع عن الربا والزنا، وكانوا مشهورين بذلك[٢].

وبالرغم من تأخّر هذه الأُسرة عن اعتناق الإسلام، فقد أصبحت من الأُسر البارزة بعد إسلامها في نشر الإسلام والتمسّك بقيمه ومبادئه.

وعلى أي حال، فقد أنجبت هذه الأُسرة كوكبة من الأعلام، كان منهم جدّ المختار مسعود، الذي هو عظيم القريتين الذي حكاه الله تعالى بقوله: ﴿**لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾[٣].[٤]

ومن أعلام هذه الأُسرة عروة بن مسعود الصحابي الجليل، الذي تولّى نشر الإسلام في قومه ثقيف، وهو عمّ المختار، وقد استشهد حينما دعا قومه للإسلام، فقد رموه بنبل فتوفّي، وأوصى أن يدفن مع المسلمين في حصار الطائف[٥].

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٤: ٢٧.

(٢) معجم البلدان: ٤: ١٢.

(٣) الزخرف ٤٣: ٣١.

(٤) المعارف / ابن قتيبة: ٦٧٥. وفي الإصابة: ٣: ٤١٢ عن ابن عبّاس: «أنّ الآية نزلت في رجل من ثقيف ورجل من قريش، والثقفي هو مسعود بن عمرو».

(٥) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٣: ١٩٥.

كما أنجبت هذه الأُسرة كوكبة من خيار المسلمين وصلحائهم ... فقد تفرّع منها أخبث خلق الله ، وأكثرهم جريمة ، وهو الحجّاج بن يوسف الثقفي ، معتمد الدولة الأمويّة ، الذي وطّد الملك والسلطان للأمويّين بما أسرف من دماء المسلمين ، وما أشاعه فيهم من الخوف والارهاب ، وكان شديد الاعجاب بالمختار لشجاعته ، وخوضه في أعنف المعارك ، فقال فيه : « لله درّه ! أي رجل دنيا ، ومسعّر حرب ، ومقارع أعداء كان »[١].

ومن الغريب ثناء الحجّاج على المختار مع اختلافهما في العقيدة ، فالحجّاج أموي في نزعته وميوله ، والمختار علويّ في عقيدته ، ولعلّه إنّما قال ذلك فيه لأنّه من أُسرته ثقيف .

كما كان من زعماء ثقيف الماكر الداهية المغيرة بن شعبة ، وهو أحد الدهاة الأربع في العالم العربي ، وقد قيل في دهائه : « لو أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلّا بمكرٍ لخرج المغيرة من أبوابها كلّها »[٢].

وتقلّد ولاية العراق في عهد معاوية ، وهو الذي مهّد البيعة والحكم للفاجر الخبيث يزيد بن معاوية من أجل أن يكون والياً على العراق .

ومن أعلام ثقيف محمّد بن القاسم فاتح الهند ، كما إنّ من عيونهم يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في العهد الأموي ، ومن أبرز هذه الأُسرة المختار في إيمانه ، وسموّ ذاته ، وحسن سيرته وسلوكه .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٥ : ٥٧٣ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ١٣٦ .

الأب

أمّا أبو المختار فهو مسعود أبو عبيد[١]. وهو من أجلّة الصحابة[٢]. وفي طليعة المجاهدين في سبيل الله. انتدبه عمر قائداً لجيوشه في فتح العراق. واعترض عليه شخص في ترشيحه لهذا المنصب. وطلب منه إبداله بشخص آخر. فأبى وقال: «لا والله لا أفعل». وضمّ إليه ألف فارس. وبرز أبو عبيد في ميادين الحرب قائداً ملهماً متسلّحاً بالإيمان والشهامة والنبل. وقد وقع قائد فارسي كبير أسيراً عند أحد القادة المسلمين. فمنحه الأمان وأطلق سراحه. وألقي عليه القبض مرّة أخرى وجيء به إلى مسعود. وعرّفوه مكانته الاجتماعيّة. وطلبوا منه أن يقتله. فأبى وقال: «إنّي أخاف الله تعالى أن أقتله وقد آمنه رجل مسلم. والمسلمون في التوادّ والتناحر كالجسد ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلّهم.

فقيل له: إنّه ملك الفرس؟

قال: وإن كان. لا أغدر فتركه»[٣].

وقد قدّم له طعام جيّد في إحدى مناطق فارس. فأبى من تناوله لأنّه لم يطعم مثله بقيّة الجند. فأخبروه بأنّه قدّم للجند مثل ذلك. فحينئذٍ تناوله[٤].

وقد أبلى أبو عبيد في المعركة بلاء حسناً. وهزم الفرس هزيمة منكرة. فأرادوا أن يكسبوا المعركة فجعلوا الفيلة في مقدّمة جيوشهم. وغطّوها بسعف النخل.

---

(١) المنتظم: ٦: ٦٧.

وقع بعض المؤرّخين في اشتباه. فقالوا في نسب المختار إنّه ابن أبي عبيد. وهو ابن مسعود. والحال أنّ مسعود هو أبو عبيد.

(٢) أسد الغابة: ٤: ٣٣٦.

(٣) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ١٨.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٢: ٦٣٧.

فصارت كالجبل، وعلّقوا عليها الأجراس، فكان لها دوي، ولمّا رأتها خيول المسلمين جفلت، وثبت أبو عبيد في مقدّمة الجيش فاستقبل فيلاً أبيضاً، فضربه بسيفه، فهجم عليه الفيل فألقاه أرضاً وداسه برجله، فتوفّي شهيداً[١] ومجاهداً، وذلك بالقرب من جسر سمّي بجسر أبي عبيد[٢]، وكانت شهادته سنة ١٤هـ، وعمر المختار ١٣ عاماً[٣].

أُمّه

أمّا أُمّ المختار فهي الفاضلة الكاملة دومة بنت عمرو بن وهب[٤]، وكانت من سيّدات النساء في عفّتها وطهارتها، وقد شاركت زوجها في جهاده، وشاهدت زوجها في مصرعه، ومصرع ولدها الزكي جبر في نفس الحادثة[٥].

ولادته

يقول بعض الرواة: «إنّ أُمّ المختار لمّا كانت حاملة به رأت في منامها شخصاً يقول لها:

أَلا أُبَشِّرْتِ بِالوَلَدْ ... أَشبَهُ شَيْءٍ بِالأَسَدْ
إِذِ الرِجالُ في كَبَدْ ... تَغالَبوا عَلى لَبَدْ
كانَ لَهُ حَظُّ الأَسَدْ»[٦]

---

(١) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ١٨.
(٢) تاريخ الإسلام / الذهبي: ٢: ١٣٧.
(٣) أنساب الأشراف: ٦: ٣٧٥.
(٤) المنتظم: ٦: ٦٧.
(٥) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ١٩.
(٦) أنساب الأشراف: ٦: ٣٧٥.

وسواء صحّت هذه الرواية أم كانت من نسج الوضّاعين ، فإنّ المختار قد انطبق عليه هذا الشعر ، فهو أسد الأمّة العربيّة وبطلها الذي تفخر وتعتزّ به .

وقد ولد المختار في السنة التي هاجر بها النبيّ ﷺ من مكّة[١] ، وكان يوم ولادته يوماً سعيداً لأسرته ، فقد غمرتهم الأفراح والمسرّات ، فقد ولد أسمى قائد في العالم العربي في شجاعته وقوّة إرادته وصلابة عزيمته وإيمانه .

ولم تشر المصادر التي بأيدينا إلى الشهر الذي ولد فيه ، ولا إلى المكان ، فهل هو في الطائف أم في المدينة[٢] .

كنيته

كنّي المختار بأبي إسحاق ، ولا كنية له غيرها .

لقبه

كان لقب المختار الكيسان ، وقيل : لُقّب بذلك لأنّ صاحب شرطته اسمه كيسان[٣] ، وكان صاحب سرّه والغالب على أموره .

أمّا أشقّاؤه الكرام فهم :

١ ـ جبر ، استشهد مع والده .

٢ ـ أبو جبير .

٣ ـ أبو أميّة[٤] .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٥٠ .

(٢) تجد ترجمته في : تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٥٦٩ و : ٦ : ٧ و ٣٨ . ذوب النضار : ٥٩ . البداية والنهاية : ٨ : ٢٨٩ . الإصابة : ٦ : ٢٧٥ ، رقم ٨٥٦٧ . الأعلام : ٧ : ١٩٢ .

(٣) أبا عمرة مولى عُرينة .

(٤) بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٢٨ .

شقيقته

وأمّا شقيقته فهي الفاضلة صفيّة ، زوجة عبدالله بن عمر ، وهي التي تكلّمت مع زوجها في إطلاق سراح أخيها حينما كان في سجن الطاغية ابن مرجانة .

في حجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أقبل أبو عبيد وقد حمل معه ولده المختار إلى الإمام أمير المؤمنين ، فوضعه في حجره للبركة ، ولينال الخير في مستقبل حياته ، فمسح الإمام رأسه ، وتأمّل فيه فرأى فيه البطولات والشهامة والنبل ، فقال له : «**كيس ، كيس**»[1] .

يقول السيّد المترجم : «كانت هذه الكلمات دليلاً على ما يظهر على يد المختار من السداد والأخذ بحقّ العلويّين ، وطلب ثأرهم ، وإنّ هذه الكلمة الصادرة من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من مخبرات المستقبل ، وإنّها ألمحت إلى الحوادث التي يقوم بها ، وكان المختار يحسب لهذه البشارة حساباً ، ويحدّث بها نفسه»[2] .

حديث مهمّ للإمام عليه السلام حول المختار

حدّث الإمام أمير المؤمنين بعض أصحابه بما سيجري على أهل البيت عليهم السلام من المحن والخطوب قائلاً : **كَما أَنَّ بَغْضَ بَني إسْرائيلَ أطاعوا فَأكْرِموا ، وَبَعْضَهُمْ عَصَوا فَعُذِّبوا ، فَكَذلِكَ تَكونونَ أَنْتُمْ** .

فانبرى بعض أصحابه قائلاً : مَن العصاة يا أمير المؤمنين ؟

فأوضح له الإمام ذلك بقوله : **الَّذينَ أُمِروا بِتَعْظيمِنا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَتَعْظيمِ حُقوقِنا .**

---

(١) الكشّي : ١٢٧ ، الحديث ٢٠١ .

(٢) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي : ٢٠ .

فَخافوا وَخالَفوا ذلِكَ ، وَجَحَدوا حُقوقَنا ، وَاسْتَخَفّوا بِها ، وَقَتَلوا أَوْلادَنا وَأَوْلادَ رَسولِ اللهِ ﷺ ، الَّذينَ أُمِروا بِإِكْرامِهِمْ وَمَحَبَّتِهِمْ .

وراح بعضهم يقول : إنّ ذلك لكائن ؟

فأكّد الإمام ضرورة وقوع ذلك قائلاً : **بَلى خَبَراً حَقّاً ، وَأَمْراً كائِناً ، سَيَقْتُلونَ وَلَدَيَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْن .**

وأضاف الإمام قائلاً : **وَسَيَصيبُ الَّذينَ ظَلَموا رِجْزاً في الدُّنْيا بِسُيوفِ بَعْضِ مَنْ سَلَّطَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِمْ لِلإِنْتِقامِ بِما كانوا يَفْسُقونَ ، كَما أَصابَ بَني إِسْرائيلَ الرِّجْزَ .**

وبادر شخص قائلاً : من هو يا أمير المؤمنين ؟

غُلامٌ مِنْ ثَقيفٍ يُقالُ لَهُ الْمُخْتارُ بْنُ أَبي عُبَيْد .

وعلّق الإمام زين العابدين ﷺ على هذا الحديث بقوله : **كانَ ذلِكَ بَعْدَ قَوْلِهِ بِزَمان**[1] .

وعلى أي حال ، فإنّ هذا الحديث من الملاحم التي أخبر بها الإمام أمير المؤمنين ﷺ باب مدينة علم النبيّ ﷺ ، وقد تحقّق على مسرح الحياة شأن الملاحم الأُخرى التي أخبر عنها .

نشأة المختار

نشأ المختار منذ نعومة أظفاره في بيت رفيع كانت له السيادة في الطائف ، كما سادت فيه التقاليد العربيّة من حماية الجار وقراية الضيف ، بالإضافة إلى التعاليم الإسلاميّة من الإيمان بالله تعالى ، وحبّ الخير للناس ، وصدق القول ومجانبة الرذائل ، والحثّ على الكرم والإحسان ، وغير ذلك من محاسن الصفات والأخلاق .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٢٢ .

وأكبر الظنّ أنّ المختار انتقل في مرحلة صباه مع أبيه من الطائف إلى المدينة المنوّرة التي أصبحت عاصمة العالم الإسلامي، فآثر السكنى فيها والعيش مع الصحابة، وفي نفس الوقت عيّنه عمر بن الخطّاب قائداً في الجيش الإسلامي، وقد نشأ المختار في ظلال الأُسرة النبويّة، وتغذّى بآدابهم، وسمتّ تربيتهم، وكان طموحاً منذ نشأته يروم التقدّم والاحترام في الأوساط الاجتماعيّة، فاتّصل بالإمامين السبطين عليهما السلام، وكان يكنّ لهما بالغ المحبّة والتقدير، وظلّ ذلك ملازماً له طول حياته، الأمر الذي دفعه إلى الثورة على الحكم الأموي والطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

كما كانت له اتصالات وثيقة بالصحابة وأبنائهم، وحينما تقلّد الحكم كان يبعث بهدايا وصلات ماديّة لبعضهم، كما بعث أموالاً كثيرة إلى محمّد بن الحنفيّة ليوزّعها على أبناء الصحابة وغيرهم.

عَنَاصِرُهُ ٱلنَّفْسِيَّةُ

كان المختار القائد الملهم يتمتّع بقابليّات فذّة، ونزعات شريفة، وقدرة فائقة في وضع المخطّطات السياسيّة الناجحة التي استطاع أن يتغلّب بها على الأحداث، ويكون في طليعة القادة السياسيّين في عصره.

لقد كان المختار من ألمع السياسيّين، ومن أكثرهم وعياً وفهماً وإدراكاً للأوضاع الاجتماعيّة، كما كانت له الخبرة التامّة في دراسة نفوس الناس، وما يثير عزائمهم، والسيطرة عليهم، فقد ألهب عواطف الشيعة بالنائحات اللاتي اختارهنّ لندبة الإمام الحسين عليه السلام في الشوارع العامّة، فكان لهنّ الأثر الفعّال في تعبئة الجماهير للأخذ بثأر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعلى أي حال، فإنّا نعرض لبعض العناصر النفسيّة لهذا القائد العظيم التي امتاز بها على غيره من القادة والمسؤولين في عصره، منها:

قوّة الإرادة

أمّا قوّة الإرادة فإنّها من أقوى العناصر في نجاح الشخص وبلوغه لأهدافه، فمهما كانت الصعوبات فإنّها لا تقف أمامه في نيل مرامه.

إنّ قوّة الإرادة أقوى بكثير من جميع المؤهّلات الفكريّة والعلميّة التي يخلد بها الإنسان، فقد خلّد التاريخ كوكبة من العظماء والقادة لم يكونوا يتمتّعون بصفة غير قوّة الإرادة، أمثال أبي مسلم الخراساني ونابليون وغيرهما من العظماء النابهين.

لقد استطاع النبيّ العظيم ﷺ أن يغيّر مجرى تاريخ العالم، ويحوّل الجزيرة العربيّة من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فإنّه بالإضافة إلى ملكاته وقدراته كان يتمتّع بإرادة صلبة لم يقف أمامها شيء، وقد قال لعمّه مؤمن قريش وسيّد البطحاء حينما ألحّ عليه قومه أن يترك ابن أخيه دعوته، فقال له: **يا عَمّ، لَوْ وَضَعوا الشَّمْسَ بِيَميني، وَالْقَمَرَ بِيَساري عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هذا الْأَمْرَ ما تَرَكْتُهُ حَتّى أَموتَ أَوْ يُظْهِرَهُ اللهُ تَعالى.**

بهذه الطاقات الهائلة من الإرادة النديّة استطاع صلوات الله عليه أن يقاوم ذئاب العرب، ويقهر طغاتهم، وينشر كلمة الله تعالى في الأرض، ويدمّر معالم الوثنيّة والشرك، وكان المختار يتمتّع بهذه الظاهرة النديّة بتفوّق، فوصل إلى تحقيق أهدافه، وبلوغ مرامه، فأسقط دولة ابن الزبير في العراق كما أسقط هيبة الحكم الأموي، وحقّق أهمّ ما كان يصبو إليه، وهو اجتثاث العصابة المجرمة التي قتلت سيّد شباب أهل الجنّة، والكواكب المشرقة من أهل البيت، وأصحابهم الممجّدين.

الشجاعة

وظاهرة أخرى من أبرز صفات المختار، ومن أكثرها إشاعة بين الناس، وهي الشجاعة، فقد كان من شجعان العرب المعدودين في بسالته، وقوّة جنانه، وقد خاض أعنف المعارك وأشدّها ضراوة، وأبلى فيها بلاءً حسناً، فقد دافع عن حرمة البيت الحرام في مكّة المقدّسة حينما داهمته جيوش الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية، فانضمّ إلى ابن الزبير للدفاع عن قدسيّة البيت، وقد شهد ابن الزبير بشجاعته فقال: «لا أبالي إذا قاتل معي المختار من لقيت، فإنّي لم أرَ أشجع منه».

ووصف بسالته أبومخنف بقوله: «إنّ المختار كان يحارب الأمويّين بشجاعة العرب، وعداوة العجم».

إنّ الشجاعة كانت من العناصر المقوّمة لشخصيّة المختار، ومن أبرز صفاته ومزاياه.

السخاء

من الصفات الكريمة التي تحلّى بها المختار أنّه كان ندىّ الكفّ، مبسوط اليدين، لا يعرف للمال قيمة سوى ما يرد به جوع جائع أو يكسو به عارياً، وكان بعكس ابن الزبير الذي عرف بالشحّ والبخل، وكان ذلك هو السرّ في فشل دعوته، وانهيار حكومته.

لقد كان المختار من أسخياء العرب ومن نبلائهم، وقد حبّبته هذه الصفة إلى الناس، فإنّه ليس كالكرم وسيلة لكسب الأصدقاء، ودفع الأعداء.

بوادر من كرمه

أغدق المختار بالكرم والجود على كوكبة من القادة والعيون وغيرهم، وكان من ذلك ما حدّث به المسعودي بقوله: «وفرّق الأموال على الناس بها ـ أي بالكوفة ـ تفرقة واسعة، فقد وجد في بيت المال تسعة آلاف ألف ـ يعني درهماً ـ فأعطى أصحابه، وكانوا نحو خمسمائة، خصّ كلّاً منهم بخمسمائة درهم»[1].

كما أعطى عبدالله بن مطيع والي ابن الزبير على الكوفة مائة ألف درهم، فتخلّى من ولايته، ومضى إلى البصرة، ولم يرجع إلى ابن الزبير[2].

كما أرسل أموالاً طائلة إلى الإمام زين العابدين، فبنى بها دور السادة العلويّين التي هدمها بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام والي يزيد على المدينة، كما أرسل أموالاً

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٧٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٤: ٢٢٦.

كثيرة إلى محمّد بن الحنفيّة وعبدالله بن عمر، وإلى بعض الوجوه من قريش.

لقد كان الكرم سجيّة من سجايا المختار، وعنصراً مقوّماً من عناصره، وقد جلب له القلوب والعواطف، وسيطر على العامّة.

الرأفة والرحمة

من صفات المختار أنّه رؤوف رحيم، رقيق القلب، يقابل من أساء إليه بالبرّ والعفو والإحسان، فقد خرج عليه سراقة في جبّانة السبيع، فجيء به أسيراً إليه فقال له:

امْنُنْ عَلَيَّ اليَوْمَ يا خَيرَ مَعَدْ ... وَخَيرَ مَنْ لَبّى وَصَلّى وَسَجَدْ

فعفا عنه، وخلّى سبيله، وخرج عليه مرّة ثانية فجيء به إليه أسيراً فقال له المختار: ألم أعف عنك، وامنن عليك أما والله لأقتلنّك، فابرى سراقة قائلاً: لا والله لا تفعل إن شاء الله تعالى.

- ولِمَ؟
- لأنّ أبي أخبرني أنّك تفتح الشام حتّى تهدم مدينة دمشق وأنا معك.

ثمّ أنشده:

خَرَجْنا لا نَرى الضُّعَفاءَ شَيْئاً ... وَكانَ خُروجُنا بَطَراً وَحينا
نَراهُمْ في مَصَفِّهِمُ قَليلاً ... وَهُمْ مِثلُ الدُّنى لَمّا التَقَينا
فَأَسْجِحْ إِذْ قَدَرْتَ فَلَو قَدَرْنا ... لَجُرْنا في الحُكومَةِ وَاعْتَدَيْنا
تَقَبَّلْ تَوْبَةً مِنّي فَإِنّي ... سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلتَ النَّقْدَ دَيْنا

فعفا عنه، وأطلق سراحه، ثمّ إنّه خرج عليه مرّة ثالثة مع إسحاق بن الأشعث، فألقي عليه القبض وجيء به أسيراً إلى المختار فقال له: الحمد لله الذي أمكنني

منك يا عدوّ الله ، هذه ثالثة » .

وراح سراقة يفتعل الأكاذيب قائلا : « أما والله ما هؤلاء أخذوني ، فأين هم لأراهم ، إنّا لمّا التقينا رأينا قوماً عليهم ثياب بيض ، وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء والأرض » .

فرقّ له المختار وعفا عنه .

ومن الغريب أنّ هذا الشخص قد تنكّر للمعروف المكرّر الذي أسداه عليه المختار وأخذ يهجوه بقوله :

أَلا أَبْلِغْ أَبا إِسْحاقَ إِنّي ... رَأَيْتُ البَلْقَ دُهْماً مُصْمتات

أُرِي عَيْنَيَّ ما لَمْ تَرْأَياهُ ... كَلانا عالِمٌ بِالتُّرّهات

كَفَرتُ بِوَحْيِكُمْ وَجَعَلْتُ نَذْراً ... عَلَيَّ قِتالَكُمْ حَتّى المَماتِ[1]

حكت هذه البادرة مدى شرف المختار ورقّته واحتياطه بسفك الدماء ، كما حكت التذبذب وعدم الشرف في سلوك هذا الشخص الذي لا يملك أي رصيد من التوازن وسموّ النفس .

الذكاء

من مميّزات المختار ومكوّناته النفسيّة الذكاء المفرط الذي تميّز به ، فقد استطاع بقوّة ذكائه أن يضع أدقّ المخطّطات العسكريّة التي تغلّب بها على الأحداث ، ويقوم بانقلاب عسكري كان في منتهى الدقّة ، وكان من حدّة ذكائه أنّه سيطر على المجتمع الكوفي في أحلك الظروف وأشدّها تعقيداً وحساسيّة .

---

(١) العقد الفريد : ٢ : ٣٦ . الأخبار الطوال : ٣٠٣ .

الطموح

وظاهرة أخرى من صفات المختار أنّه كان في أرقى مراتب الطموح، فقد اتّصل في شرخ شبابه بالشخصيّات اللامعة في عصره كان منها السبطان، كما اتّصل بقادة الجيش الإسلامي وغيرهم من المسؤولين، وقد عبّر عن طموحه حينما كان محاصراً من قِبل جيش مصعب بن الزبير، قال: «إنّما أنا رجل من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من العرب، فأخذت هذه البلاد فكنت كأحدهم، إلّا أنّي قد طلبت بثأر أهل بيت النبيّ ﷺ إذ نامت عنه العرب»[1].

لقد دفعه طموحه المشفوع بطلب الثأر لدماء أهل البيت عليهم السلام أن يستولي على دست الحكم في العراق وينفرد بالسلطة وزعامة البلاد.

العدل

من أسمى الصفات التي يتحلّى ويتزيّن بها الإنسان هو العدل، فقد كان من أبرز صفات المختار، ومن أظهر نزعاته، وقد طبّق العدل في أيّام حكومته على الجميع، فساوى بين العرب والموالي في العطاء، ولم يقدّم العرب عليهم، وقد اقتدى بهذه السياسة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام رائد العدل في دنيا الإسلام، فقد ساوى بين أخيه وبين بقيّة الفقراء في العطاء، ولم يميّز أي أحد على أحد، وكان هذا هو السبب في إخفاق سياسته، فقد ثارت عليه القوى الرأسماليّة، ووقفت أمام مخطّطاته.

الولاء لأهل البيت عليهم السلام

من المقوّمات الذاتيّة للمختار، ومن عناصره النفسيّة الولاء العارم لأهل بيت

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ١٠٧.

النبوّة ومراكز الحكمة في الإسلام ، فقد أخلص لهم كأعظم ما يكون الإخلاص ، وخاض غمار الحروب للتوصّل للحكم من أجل الأخذ بثأر سيّد الشهداء ، واجتثاث العصابة المجرمة التي سفكت دماء آل النبيّ ﷺ ، وقد أعلن ذلك في كثير من المناسبات كان منها قوله :

١ ـ « الحمد لله الذي جعلني سيفاً أضرب بهم ـ أي قتلة الحسين ـ ورمحاً أطعنهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقّهم .

إنّه كان حقّاً على الله تعالى أن أقتل قتلَتهم ، وأن أذلّ من جهل حقّهم » .

٢ ـ قال : « أما وربّ البحار ، لأقتلنّ كلّ جبار حتّى إذا أقمت عمود الدين ، ورأيت شعب صدع المسلمين ، وشفيت غليل صدور المؤمنين ، وأدركت ثأر النبيّين ، لم يكبر عليَّ زوال الدنيا ، ولم أحفل بالموت إذا أتى »[1] .

وأنت ترى عطشه وشدّة ميوله إلى الأخذ بثأر سيّد شباب أهل الجنّة الذي استباحت دمه العصابة المجرمة التي لم تؤمن بالله ولا باليوم الآخر .

اتّهامات رخيصة

اتّهم هذا العملاق العظيم باتّهامات رخيصة ، وهو منزّه عنها ، فقد كان من عيون المؤمنين ، ومن خيار الصالحين .

وأكبر الظنّ أنّ المتّهمين له إمّا من الخط الأموي الحاقدين على أهل البيت لأنّه أباد عيونهم أمثال الخبيث المجرم عمر بن سعد ، والمجرم الدنس عبيدالله بن زياد ، وشمر بن ذي الجوشن ، وأمثالهم من الذين كانوا يشكّلون القاعدة للحزب الأموي .

أو أنّهم ليسوا من الحزب الأموي ، ولكن لم تكن لهم الدراية في تمحيص الأخبار

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٥ : ٥٦٩ ـ ٥٨٢ . الكامل في التاريخ : ٤ : ١٦٨ ـ ١٧٣ .

التي جرحته، والنظر إليها بدقّة وعمق، فأخذوا بها، ونالوا من كرامته وشخصيّته، ومن بين هذه التهم.

١ ـ ادّعاء النبوّة

من هذه التهم التي أُلصقت بالمختار ادّعاؤه النبوّة، وأنّه كتب إلى أهل البصرة: «بلغني أنّكم تكذّبون رسلي وتكذّبونني، وقد كُذّبت الأنبياء من قبلي، ولست بخير من كثير منهم»[١].

كما اتّهموه بأنّ له قرآناً خاصّاً[٢]، وأنّ جبرئيل كان يأتيه بالوحي من السماء[٣]، وهذه الاتّهامات لا أساس لها من الصحّة، وإنّما هي افتراء محض، فقد كان المختار من عيون المؤمنين والمتّقين، قد أخلص لدينه كأعظم ما يكون الإخلاص، وهو الذي تتبّع المرتدة الفاسقين من قتلة ريحانة رسول الله ﷺ بالقتل، وهدم ديارهم، وأشاع الرعب في قلوبهم، ولم يعمل ذلك إلّا تقرّباً لله تعالى، ووفاء لحقّ العترة الطاهرة.

إنّ أخذ المختار بثأر سبط رسول الله ﷺ دليل حاسم على قوّة إيمانه، وصلابة عقيدته، كما إنّ كثرة صيامه وقيامه بالليل للصلاة، وتلاوته الكتاب من أوثق الأدلّة على بطلان ما نسب إليه من ادّعاء النبوّة.

٢ ـ الكرسيّ

ومن الاتّهامات الباطلة التي أُلصقت بالمختار أنّ له كرسيّاً يحمله على بغل

---

(١) تاريخ العراق في العصر الأموي: ٢٥٢، نقلاً عن العقد الفريد: ٥: ١٤٣.

(٢) الحور العين: ١٨٣.

(٣) شذرات الذهب: ٧٤.

أشهب ، ويجعل عليه الديباج ، ويطوف هو وأصحابه حوله ويستتون ويستنصرون ويقولون : هذا الكرسي فينا مثل تابوت آل موسى[١].

وقد هجا أعشى همدان[٢] المختار وأصحابه لاعتقادهم بذلك ، قال :

شَـهِدتُ عَـلَيكُمْ أَنَّكُـمْ سَـبَئِيَّةٌ ... وَإِنِّي بِكُمْ يا شُـرطَةَ الكُـفْرِ عـارِفُ
وَأَنْ لَيْسَ كالتّابوتِ فينا وَإِنْ سَعَتْ ... شِـبامٌ حَـوالَـيهِ وَنَـهْدٌ وخـارِفُ
وَإِنْ شاكِرٌ طـافَتْ بِهِ وَتَـمسَّحَتْ ... بِـأَعْوادِهِ وَاسْتَبشَرَتْ لا تُساعِفُ[٣]

وقد اشترى المختار هذا الكرسي باثني عشر ألف دينار أو درهم ، واجتمع عليه الشيعة يتبرّكون به[٤] ، وهذا الكرسي هو الذي كان يجلس عليه وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه ، وقد لامس جسده الشريف ، واشتراه المختار بهذا الثمن الغالي للتبرّك به ، وأي مؤاخذة ترد عليه .

٣ـ الالتقاء بجبرئيل عليه السلام

ومن المؤاخذات التي سجّلت عليه أنّه كان يقول : التقيت بجبرئيل ، وتكلّمت مع جبرئيل ، وقام من عندي جبرئيل[٥].

ومن الغريب هذه التهمة التي أُلصقت به ، فإنّ المختار كان عنده غلام اسمه

---

(١) الحور العين : ١٨٤ وغيره .

(٢) أبو المصبّح عبدالرحمن بن عبدالله :
شاعر مفوّه شهير ، نشأ في الكوفة في بيت يمنيّ ، قتله الحجّاج سنة ٨٣هـ. سير أعلام النبلاء : ٤ : ١٨٥ ، رقم ٧٥. أعيان الشيعة : ٣ : ٤٦٧ و : ٧ : ٤٦٠ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٥٥٠. الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٥٩. تاج العروس : ١ : ٤٦٢.

(٤) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٧٨.

(٥) المنتظم : ٦ : ٦٨.

جبرئيل ، وكان يحدّث عنه ، ويقول : جاءني وأخبرني وحدّثني جبرئيل ، فتوهّم الحاقدون عليه أنّه يعني جبرئيل الملك[١].

٤ ـ البداء

اتّهم المختار بالمروق من الدين لإيمانه بالبداء الذي يتنافى مع الشريعة الإسلاميّة حسب ما يقولون ، فكان يدّعي وقوع ما يحدث ، فإن وقع جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يحدث قال : بدا لربّكم فيه[٢].

ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عن البداء ، فقد أحاله قوم وأجازه آخرون ، وقد التزمت الشيعة به ، ومن بينهم المختار ، فقد آمن به .

وقد عرض أستاذنا الإمام الخوئي في بحثه إلى بيانه بصورة موضوعيّة ، فذكر المحال من البداء الذي يلتزم به جميع المسلمين ، والجائز الذي لا يلزم منه أي محذور ، وهو الذي تؤمن به الشيعة ، وهذا نصّ كلامه ، قال ﷺ : « إنّ البداء الذي تقول به الشيعة الإماميّة إنّما يقع في القضاء غير المحتوم ، أمّا المحتوم منه فلا يتخلّف ، ولا بدّ أن تتعلّق المشيئة بما تعلّق به القضاء ، وتوضيح ذلك أنّ القضاء على ثلاثة أقسام :

الأوّل : قضاء الله تعالى الذي لم يطّلع عليه أحد من خلقه ، وهو العلم المخزون الذي استأثر به نفسه العظيمة ، ولا ريب أنّ البداء لا يقع في هذا القسم ، بل ورد في روايات كثيرة عن أهل البيت ﷺ أنّ البداء إنّما ينشأ من هذا العلم .

روى الشيخ الصدوق في العيون : بإسناده عن محمّد النوفلي أنّ الإمام الرضا ﷺ قال لسليمان المروزي : **رَوَيت عَنْ أبي عَبْدِاللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ : إنَّ لِلّهِ عِلْمَيْنِ : عِلْماً مَخْزوناً**

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٣٦ ، نقلاً عن المرزباني في كتاب الشعراء .

(٢) تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي : ٤٨ . فجر الإسلام : ١ : ٣٤٥ .

مَكْنوناً لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِنْ ذلِكَ يَكون الْبَداءُ . وَعِلْماً عَلَّمَهُ مَلائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ فَالْعُلَماءُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ يَعْلَمونَهُ»[1].

روى الشيخ محمّد بن الحسن الصفّار في بصائر الدرجات: بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «**إِنَّ لِلّهِ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَكْنونٌ مَخْزونٌ لا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ مِنْ ذلِكَ يَكونُ الْبَداءُ، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأَنْبِياءَهُ، فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ**»[2].

الثاني: قضاء الله تعالى الذي أخبر به نبيّه وملائكته بأنّه سيقع حتماً، ولا ريب في أنّ هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء، وإن افترق عن القسم الأوّل بأنّ البداء لا ينشأ منه.

روى العيّاشي عن الفضيل، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: **مِنَ الْأُمورِ أُمورٌ مَحْتومَةٌ جائِيَةٌ لا مَحالَةَ، وَمِنَ الْأُمورِ أُمورٌ مَوْقوفَةٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَدِّمُ مِنْها ما يَشاءُ، وَيَمْحو ما يَشاءُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلىٰ ذلِكَ أَحَدٌ، فَأَمّا ما جاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فَهِيَ كائِنَةٌ، لا يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَلَا نَبِيَّهُ وَلَا مَلائِكَتَهُ**»[3].

الثالث: ومنها قضاء الله عزّ اسمه الذي أخبر نبيّه وملائكته بوقوعه في الخارج، إلّا أنّه موقوف على أن لا تتعلّق مشيئة الله تعالى بخلافه. وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء، يمحو الله تعالى ما يشاء ويثبت وعنده أُمّ الكتاب لله الأمر من قبل ومن بعد».

واستدلّ الأُستاذ الخوئي رحمه الله بكوكبة من الأخبار على صحّة البداء الذي تؤمن به الشيعة، وأنّه لا محذور فيه، وأشبع هذا الموضوع بحشد من الأدلّة التي لا مجال للطعن فيها.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١٧٩، الباب ١٣، الحديث ١.

(٢) أُصول الكافي: ١: ١٤٧، الحديث ٨.

(٣) تفسير العيّاشي: ٢: ٢١٧، الحديث ٦٥.

وأضاف بعد ذلك قائلاً: «فالقول بالبداء هو الاعتراف الصريح بأنّ العالم تحت سلطان الله تعالى وقدرته في حدوثه وبقائه، وأنّ إرادة الله عزّ اسمه نافذة في الأشياء أوّلاً وأبداً. بل وفي القول بالبداء يتّضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين ـ وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يحيطون بما أحاط به علمه تعالى، فإنّ بعضاً منهم وإن كان عالماً بتعليم الله تعالى إيّاه ـ بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله تعالى المخزون الذي استأثر به نفسه، فإنّه لا يعلم بمشيئة الله تعالى بوجود شيء وعدم مشيئته إلّا حيث يخبره الله تعالى به على نحو المحتّم.

والقول بالبداء يوجب انقطاع العبد إلى الله عزّ اسمه، وطلبه إجابة دعائه منه، وكفاية مهمّاته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده عن المعصية، فإنّ إنكار البداء، والالتزام بما جرى به قلم التقدير كائن لا محالة دون استثناء»[1].

هذا بعض ما أفاده الأستاذ الخوئي ﷺ في البداء لا يلزم منه محال، ولا يترتّب عليه محذور، ولكنّ خصوم الشيعة قد شنّوا عليهم هجوماً باعثه الحقد والعداء لهم، كان منهم سليمان بن جرير، فقد قال: «إنّ أئمّة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم: الأولى القول بالبداء، فإذا قالوا: إنّه سيكون لهم أمر وشوكة ثمّ لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا لله تعالى فيه، وقد قال فيه زرارة بن أعين شعراً:

وَتِلكَ أَمارَاتٌ تَجيءُ لِوَقْتِها ... وَما لَكَ عَمّا قَدَّرَ اللهُ مَذْهَبُ

وَلَولا البَدا سَمَّيتُهُ غَيرَ فائِتٍ ... وَنَعْتُ البَدا نَعْتٌ لِمَنْ يَتَقَلَّبُ

وَلَولا البَدا ما كانَ ثَمَّ تَصَرُّفٌ ... وَكُنّا كَنارٍ دَهرُها تَتَلَهَّبُ

أمّا الثانية فالتزامهم بالتقيّة»[2].

---

(١) البيان في تفسير القرآن: ١: ٢٧١ ـ ٢٧٦.

(٢) شرح أصول الكافي، نقلاً عن الرازي في خاتمة كتاب المحصّل: ١٨٢.

وممّن أنكر على الشيعة أحمد أمين ، قال : « رأينا بعض الشيعة يرى البداء الذي أنكره اليهود ، وأقدم من قال فيه المختار بن أبي عبيد الذي كان يدعو لمحمّد بن الحنفيّة »[1].

وذكرنا بحوثاً مفصّلة عن البداء في كتابنا (حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) ، وأثبتنا فيه أصالة ما تذهب إليه الشيعة ، وأنّ رأي المختار فيه هو الحقّ .

٥ ـ الكيسانيّة

وثمّة فكرة أو عقيدة ألصقت بالمختار ، وهي أنّه كان كيساني العقيدة ، وأنّه يذهب إلى إمامة محمّد بن الحنفيّة ، ويدعو لها ، وأنّه الإمام المهدي الذي بشّر به النبيّ صلى الله عليه وآله في حشد من أحاديثه ، وأنّه الإمام المرتجى الذي ينقذ البشريّة من الظلم والجور والطغيان ، وقد آمن بذلك السيّد الحميري قبل أن يدين بالحقّ ، وفي ذلك قال :

ألا إنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيشٍ ... وُلاةُ الحَقِّ أربعةٌ سواءُ
عَلِيٌّ والثَّلاثةُ مِنْ بَنيهِ ... هُمُ الأَسباطُ لَيس بِهِمْ خَفاءُ
فَسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ وَبِرٍّ ... وَسِبطٌ غَيَّبَتْهُ كَربَلاءُ
وسِبطٌ لا يَذوقُ المَوتَ حتّى ... يَقودَ الخَيلَ يَتبَعُهُ اللِّواءُ
تَغَيَّبَ لا يُرى عَنْهُمْ زَماناً ... بِرَضْوى عِندَهُ عَسَلٌ وماءُ[2]

وذهب بعض الكيسانيّة إلى أنّ الإمام بعد الإمام أمير المؤمنين هو محمّد بن الحنفيّة دون الحسنين ، وأنّ الحسن دعا إليه في الباطن بأمره ، والحسين إنّما ظهر

---

(١) فجر الإسلام : ١ : ٣٥٤ .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٥٤ : ٣٢٢ . تهذيب الكمال : ٢٦ : ١٥١ .

بالسيف بإذنه ، وأنّهما كانا داعيين إليه ، وأميرين من قبله ، كما ذهب بعضهم إلى تناسخ الأرواح من جسده ، وحلولها في جسد آخر ، وهذا الرأي مأخوذ من الفلسفة الهنديّة ، وهذا التناسخ مقتصر على الأئمّة فقط دون غيرهم[١].

وهذه العقيدة بجميع بنودها وموادّها منزّه عنها المختار ، فقد كان مؤمناً بما أنزل الله على عبده ورسوله محمّد ﷺ وليست له أيّة علاقة بأيّة فكرة تناهض الإسلام ، وتشذّ عن مبادئه ، فقد كان صلباً في عقيدته ، وراسخاً في إيمانه ، أمّا دعوته لإمامة محمّد بن الحنفيّة فهي عارية عن الصحّة؛ لأنّ ابن الحنفيّة لم يدّع الإمامة .

ويدعم ذلك ما ذكره ابن نما[٢] أنّ أهل الكوفة أرسلوا وفداً إلى محمّد بن الحنفيّة يسألونه عن رأيه في المختار ، فقال لهم : قوموا إلى إمامي وإمامكم عليّ بن الحسين ، فلمّا دخلوا عليه قال محمّد للإمام : إنّ هؤلاء يسألون عن المختار .

فقال عليه السلام : **لَوْ أَنَّ عَبْداً زِنْجِيّاً تَعَصَّبَ لَنا أَهْلَ الْبَيْتِ لَوَجَبَ عَلَى النّاسِ مُؤازَرَتُهُ ، وَقَدْ وَلَّيْتُكَ هٰذَا الْأَمْرَ ، فَاصْنَعْ ما شِئْتَ**[٣].

ودلّت هذه البادرة على براءة محمّد من دعوى الإمامة ، وأنّه كان يدين بإمامة سيّد المتّقين وزين العابدين عليه السلام ، وكذلك المختار .

رفض الإمام السجّاد عليه السلام لأموال من المختار

ومن التهم التي وجّهت للمختار أنّه بعث بمائة ألف درهم للإمام زين العابدين عليه السلام فكره أن يقبلها ، وخاف من ردّها ، فأبقاها عنده أمانة ، فلمّا قتل المختار كتب إلى

---

(١) المذاهب الإسلاميّة : ٧٠ .

(٢) ذوب النضار : ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك : ٦ : ٧ ـ ١٤ . الكامل في التاريخ : ٤ : ٢١١ ـ ٢١٤ . ذوب النضار : ٩٢ ـ ٩٧ . بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٦٣ ـ ٣٦٥ .

عبدالملك بشأنها، فكتب إليه خذها طيّبة هنيئة[١].

وهذه الرواية مردودة؛ لأنّ هذه الأموال إن كانت حراماً فلا وجه لحبسها وإبقائها عنده، وإخبار عبدالملك بها، وإجازته له بالتصرّف فيها، هل أنّ إجازة هذا الطاغية المارق عن الإسلام توجب حلّيّة التصرّف فيها.

وإن كانت هذه الأموال حلالاً فكيف حبسها الإمام عنده ولم يتصرّف فيها حتّى يحصل له الإذن من الطاغية بالتصرّف فيها، هذه بعض التهم التي وجّهت إلى هذا القائد العظيم الذي تفانى في الولاء لأهل البيت عليهم السلام، فقد ألصقها به الخطّ الأموي الحاقد على أهل البيت عليهم السلام، ومن المقطوع به أنّ المختار لو كان من أعداء الإمام الحسين عليه السلام لما وجّهت له هذه التهم.

إخباره بالمغيّبات

والشيء المؤكّد أنّ المختار قد أخبر ببعض المغيّبات، وقد تحقّقت على مسرح الحياة، فقد أخبر عن قتله للطاغية المجرم عبيدالله بن زياد، وفعلاً قد تحقّق، كما أخبر عن بعض الأُمور الأُخرى، وتحقّق ما أخبر به.

استند إلى حواري الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصاحبه ميثم التمّار، الذي كان معه في سجن الطاغية، فقد أخبره بذلك، وأحاطه علماً بكثير من الأُمور التي تحدث، وقد أخذها من وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

مكانة المختار عند أئمّة الهدى

احتلّ المختار في نفوس أئمّة أهل البيت عليهم السلام مكانة متميّزة قوبلت بالشكر والثناء العاطر على ما أسداه عليهم من الأيادي البيضاء، والمعروف الذي لا ينسى،

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٤٦.

فقد أخذ بثأرهم، وأقرّ عيونهم باجتثاثه للعصابة المجرمة التي سفكت دماء العترة الطاهرة. وبالإضافة لذلك فقد أغدق عليهم الأموال الكثيرة. كما بنى دورهم التي هدّمها الرجس الخبيث يزيد بن معاوية. إلى غير ذلك من الألطاف والإحسان الذي أسداه عليهم.

وعلى أي حال، فلنستمع ونقرأ بعض ما أثر عن الأئمّة الطاهرين عليهم السلام من الثناء والإكبار للمختار.

الإمام زين العابدين عليه السلام

أثنى الإمام زين العابدين عليه السلام على المختار، وقال لعمّه محمّد بن الحنفيّة: «**يا عَمِّ، لَوْ أَنَّ عَبْداً زِنْجِيّاً تَعَصَّبَ لَنا أَهْلَ الْبَيْتِ لَوَجَبَ عَلَى النّاسِ مُؤازَرَتُهُ...**»[1].

ولمّا رأى الإمام زين العابدين رؤوس الخونة عبيدالله بن زياد وعمر بن سعد وابنه حفص خرّ لله تعالى ساجداً وقال: «**اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي أَدْرَكَ لي ثَأْري مِنْ عَدُوّي، وَجَزَى اللهُ الْمُخْتارَ خَيْراً**»[2].

ولم يز الإمام زين العابدين عليه السلام متبسّماً بعد كارثة كربلاء، فقد خيّم عليه الأسى والحزن، فلمّا وضع رأس الطاغية الفاجر ابن مرجانة أمامه تبسّم، وداخله الفرح والسرور، وكان ذلك بسبب المختار.

الإمام الباقر عليه السلام

أمّا الإمام أبوجعفر الباقر عليه السلام فقد أثنى على المختار ثناءً عاطراً، وذكره بأجمل

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٧ ـ ١٤. الكامل في التاريخ: ٤: ٢١١ ـ ٢١٤. ذوب النضار: ٩٢ ـ ٩٧. بحار الأنوار: ٤٥: ٣٦٣ ـ ٣٦٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٤: ١٤٤. بحار الأنوار: ٤٦: ٥٣، ضمن الحديث ٢. عوالم العلوم: ١٨: ٨٤، الحديث ٣. مدينة المعاجز: ٤: ٣٢٦ و ٣٢٧.

الذكر وأنداه في كوكبة من أحاديثه ، كان منها :

١ - روى سدير أنّ الإمام أبا جعفر ﷺ قال : «**لا تَسُبّوا الْمُخْتارَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ قَتَلَتَنا ، وَطَلَبَ بِثَأْرِنا ، وَزَوَّجَ أَرامِلَنا ، وَقَسَّمَ الْمالَ فينا عَلَى الْعُسْرَةِ**»[١] .

حكى هذا الحديث الألطاف التي أسداها المختار على العلويّين ، وهي :

- أخذه بثأرهم من العصابة المجرمة التي استباحت دماءهم .
- زوّج السادة والسيّدات ، وبذل لهم المهر .
- أغدق عليهم الأموال في وقت الضائقة والشدّة .

٢ - روى عبدالله بن شريك ، قال : « دخلنا على أبي جعفر يوم النحر - وهو عيد الأضحى - وكان الإمام متّكئاً قد أرسل خلف الحلّاق ليؤدّي بعض مناسك منى ، فدخل عليه شيخ من أهل الكوفة فتناول يد الإمام ليقبّلها ، فلم يسمح له بذلك وقال له : **مَنْ أَنْتَ ؟**

- أنا أبو محمّد الحكم بن المختار .

فقابله الإمام بمزيد من الحفاوة والتكريم ، ومدّ إليه يده ، وأجلسه إلى جنبه ، وبادر الحكم قائلاً : أصلحك الله ، إنّ الناس قد أكثروا في أبي - يعني في ذمّه - وقالوا ، والقول قولك .

فانبرى الإمام قائلاً : **أَيَّ شَيْءٍ يَقولونَ ؟**

- يقولون : إنّه كذّاب ، ولا تأمرني بشيء إلّا قبلته .

وبهر الإمام وراح يثني على المختار قائلاً : **سُبْحانَ اللهِ ، أَخْبَرَني أَبي أَنَّ مَهْرَ أُمّي كانَ مِمّا بَعَثَ بِهِ الْمُخْتارُ ، أَوَلَمْ يَبْنِ دورَنا ، وَقَتَلَ قاتِلَنا ، وَطَلَبَ بِدِمائِنا**»[٢] .

---

(١) الكشّي : ١٢٥ ، الحديث ١٩٧ .

(٢) الكشّي : ١٢٥ ، الحديث ١٩٩ .

وفي حديث آخر ، قال : « **رَحِمَ اللهُ أباكَ ، رَحِمَ اللهُ أباكَ ، ما تَرَكَ لَنا حَقّاً عِنْدَ أَحَدٍ إلّا طَلَبَهُ ، وَقَتَلَ قَتَلَتَنا ، وَطَلَبَ بِدِمائِنا ، رَحِمَهُ اللهُ ، وَأَخْبَرَني أَبي أَنَّهُ كانَ يُقيمُ عِنْدَ فاطِمَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ يُمَهِّدُ لَها الْفِراشَ ، وَيَثْني لَها الْوَسائِدَ ، وَمِنْها أَصابَ الْحَديثَ ، رَحِمَ اللهُ أَباكَ** » إلى آخر الحديث[١].

أرأيتم هذا الثناء العاطر على المختار والترحّم عليه ، وأنّه قد احتلّ عواطف أهل البيت وذلك لما أسداه عليهم من النعم والألطاف .

الإمام الصادق عليه السلام

أثنى الإمام الصادق عليه السلام على المختار وذكره بمزيد من التكريم . قال عليه السلام : « **ما امْتَشَطَتْ فينا هاشِمِيَّةٌ ، وَلَا اخْتَضَبَتْ ، حَتّى بَعَثَ إِلَيْنا الْمُخْتارُ بِرُؤُوسِ الَّذينَ قَتَلوا الْحُسَيْنَ** »[٢].

وقال عليه السلام : « **ما اكْتَحَلَتْ هاشِمِيَّةٌ ، وَلا اخْتَضَبَتْ ، وَلَا رُئِيَ في دارِ هاشِمِيٍّ دُخانٌ خَمْسَ سِنينَ حَتّى قُتِلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِياد** »[٣].

هذه بعض أحاديث أئمّة الهدى عليهم السلام في مدح المختار والثناء عليه .

المؤيّدون للمختار

ابرى جماعة من الخطّ العلوي في تأييد المختار ، ونفي الشبه التي ألصقت به ، كان منهم :

---

(١) تنقيح المقال : ٢ : ٢٠٣ .

(٢) الكشّي : ١٢٧ ، الحديث ٢٠٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٠٧ ، الحديث ١٣ .

١ ـ عبدالله بن عبّاس

أشاد عبدالله بن عبّاس بالمختار، وذكره بأطيب الذكر، وقال في حقّه: «صلّى عليه الكرام الكاتبون»[١].

وأثنى عليه أمام مصعب بن الزبير، فقال: «ذاك ـ أي المختار ـ رجل قتل قتلتنا، وطلب ثأرنا، وشفى غليل صدورنا، وليس جزاؤه منّا الشتم والشماتة».

إنّ للمختار حقّاً على السادة، فقد برّ بهم، وأحسن إليهم، فما أعظم عائدته على الإسلام.

٢ ـ ابن نما

من أصلب المدافعين عن المختار العلّامة ابن نما[٢]، قال في كتابه في تنزيه

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ٢٤٦.

(٢) ابن نما:

هو العلّامة الكبير نجم الدين جعفر بن محمّد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي مؤلّف مثير الأحزان، من فضلاء عصره.

وقد كتب إلى بعض الحاقدين عليه هذه الأبيات يفتخر بها:

أنا ابنُ نَماءٍ إنْ نَطقتُ فَمَنطِقي ... فَصيحُ إذا ما مُصقعُ القَوم أعْجَما
وَإنْ قُبِضَتْ كفُّ امرئٍ عنْ فَضيلةٍ ... بَسطتُ لَها كَفّاً طَويلاً وَمِعْصما
بَني والدي نَهجاً إلى ذلك العُلا ... بِأفعالِهِ كانتْ إلى المَجْد سُلَّما
كَبُنيانِ جَدّي جَعفرٍ خَيرِ ماجِدٍ ... فَقَدْ كانَ بالإحسانِ وَالْفَضْلِ مُغرَما
وجَدُّ أبي الحَبْرُ الفقيهُ أبو البَقا ... فَما زالَ في نَقلِ العُلومِ مُقَدَّما
يُريدُ أُناسٌ هَدْمَ ما شَيَّدَ العُلا ... وَهَيهاتَ لِلْمعروفِ أنْ يَتَهَدَّما
يَرومُ حَسودي نَيلَ شَأوي سَفاهَةً ... وَهَلْ يَقدِرُ الإنسانُ يَرقى إلى السَّما
مَنالي بَعيدٌ وَيحَ نَفسكَ فَاتَّئِدْ ... فَمِنْ أينَ في الأجْدادِ مِثلُ التَّقي نَما

الكنى والألقاب: ١: ٤٢٨

المختار المسمّى «شرح الثار»: «اعلم أنّ كثيراً من العلماء لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الألفاظ، ولا رويّة تنقلهم من رقدة الغفلة، ولو تدبّروا أقوال الأئمّة في مدح المختار لعلموا أنّه من السابقين المجاهدين الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين.

ودعاء زين العابدين عليه السلام للمختار دليل واضح وبرهان لائح على أنّه من المصطفين الأخيار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة، ويعلم أنّه مخالف له في اعتقاده لما كان يدعو له دعاءً لا يستجاب، ويقول فيه قولاً لا يستطاب، وكان دعاؤه عليه السلام له عبثاً، والإمام منزّه عن ذلك.

وقد أسلفنا من أقوال الأئمّة في مطاوي الكتاب تكراراً مدحهم له، ونهيهم عن ذمّه ما فيه غنية لذوي الأبصار، وبغية لذوي الاعتبار، وإنّما أعداؤه عملوا له مثالب ليباعدوه عن قلوب الشيعة كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوئ، وهلك بها كثير ممّن حاد عن محبّته، وحال عن طاعته، فالوليّ له عليه السلام لم تغيّره الأوهام، ولاباحته تلك الأحلام، بل كشفت له عن فضله المكنون، وعلمه المصون، فعمل في قضيّة المختار ما عمل مع أبي الأئمّة الأطهار، وقد وفيت بما وعدت من الاختصار، وأتيت بالمعاني التي تضمّنت حديث الثأر من غير حشو ولا إطالة ولا سأم ولا ملالة»[1].

٣ـ البراقي

دافع البراقي بحرارة عن المختار، ونفى عنه ما أُلصق به من التهم. قال رحمه الله: «عزوا إليه دعوة النبوّة، ونزول الوحي عليه، فإنّهم كانوا ولا يبرحون يكفّرون صاحب تلك الدعوى، ويوجبون قتله، ولانقراض خصوص الشيعة عنه أن قذفوه بحبّ أضداد

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٨٦.

أهل البيت عليهم السلام تارة، وبعدم الاستقامة في طريقته أخرى، ولتثبيط أهل النسك والعبادة الذين كانوا معه، عنه عملوا له كل قول يشينه من نسبة الكذب أونة، وحبّ الملك والجاه، وأنّ ما تظاهروا به من الدعاية إلى إدراك الثأر كان فخّاً من فخوخه يصطاد به البسطاء طوراً إلى غير ذلك، وألقوا إلى زعماء الكوفة أنّه يؤلّف أبناء العجم، ويشركهم مع العرب في الفيء، ويسلّط الموالي على السادات، فخذلوا فريقاً منهم عن نصرته، هكذا كانت تأتي المختار القذائف والطامات حتّى إذا بعد المدى، حسبت الاغرار تلك اللهجات حقائق ذهبت بها الأعصر الخالية، وإنّي لا أعجب ممّن قال ذلك في العصور المظلمة من الذين حدت بهم الأهواء والميول، وإنّما العجب كلّه ممّن نشأ في عصر النور».

٤ ـ الشيخ عبدالنبيّ الكاظمي

وممّن دافع عن المختار العلّامة المحقّق الشيخ عبدالنبيّ الكاظمي المتوفّى سنة ١٢٥٦هـ، قال: «كم للعامّة من افتراء على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وولده، ولو أنّه ـ أي المختار ـ كان من قتلة الحسين عليه السلام أو قتلة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لما افتروا عليه بأقلّ من هذا وأمثاله فيما رأيته من كتبهم».

وأضاف يقول: «فقد ثبت أنّ هذا الرجل ـ أي المختار ـ إمامي المذهب، وأنّ سلطته رخصة من الإمام عليه السلام ظاهراً»[1].

---

(١) تكملة نقد الرجال: ٢: ٥٠١.

عصره.. صور من التاريخ

اتّسم العصر الذي عاش فيه المختار بكثير من الأحداث الجسام التي لعبت دوراً مهمّاً في كثير من الأحداث السياسيّة والدينيّة التي أدّت إلى تقسيم العالم الإسلامي إلى شيع وفرق وأحزاب امتدّت فتنها وشرورها إلى جميع الأحقاب حتّى يوم الناس هذا.

إنّ الاضطراب السياسي الذي منيت به الأُمّة في جميع فترات تاريخها كان ناجماً عن الخلاف والصراع الفكري والعقائدي فيمن يتولّى قيادة الأُمّة وزعامة البلاد بعد رحيل النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس، فذهب الحزب القرشي بقيادة أبي بكر وعمر إلى أنّ النبيّ ﷺ لم يعهد لأي أحد بالخلافة من بعده، وترك الأمر إلى الأُمّة فبيدها الحلّ والعقد وهي حرّة في انتخاب من تشاء، وليس للعترة الطاهرة بزعامة عميدها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أي حقّ بالخلافة، وقد رفعوا شعارهم القاضي بإبعاد أهل البيت عن المسرح السياسي وهو:

١ ـ لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد.

٢ ـ أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد.

٣ ـ لا يجتمع سيفان في غمد واحد.

وكان ذلك باعثه الحسد والحقد لآل البيت، فإنّ هذا الشعار مهلهل لا رصيد له في الواقع، فهل أنّ قريشاً هي التي منحت الرسول النبوّة حتّى يكون لها الاختيار في

صرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة ، ومركز الحكمة .

وذهبت الأُسرة النبويّة ومعها خيار الصحابة وأعلام الإسلام أمثال الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، وأبي ذرّ الغفاري ، وسلمان الفارسي ، ومعظم الأوس والخزرج إلى أنّ النبيّ ﷺ لم ينتقل إلى جنّة المأوى حتّى عيّن القائد والحاكم لأُمّته ، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، وقال في غدير خم : « **اللّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَه** » وأحاطه بهالة من التكريم والتعظيم في كثير من أحاديثه المجمع عليها بين الفريقين والتي لم يكن المقصود منها حسب التأمّل إلّا إقامة الإمام خليفة من بعده على المسلمين .

وهذا الرأي وثيق جدّاً تدعمه وتساعده الأدلّة الحاسمة التي هي بعيدة عن الانقياد للعاطفة ، وأهمّها ـ فيما أحسب ـ هو أنّ النبيّ ﷺ الحريص على أُمّته الذي يعزّ عليه عنتها وتردّيها في مجاهل سحيقة من هذه الحياة حسب ما عبّر عنه القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ (١) .

هذا الرسول العظيم كيف يترك أُمّته تموج في تيّارات مهلكة من الفتن والاختلاف ، ولا يضع لها الحلول الحاسمة التي تعالج قضاياها المصيريّة ، والتي من أهمّها تعيين من يقوم مقامه في تبليغ أحكام الله تعالى ، وإدارة شؤون الدولة من بعده ، والقوم على علم بذلك ، ورحم الله تعالى الشاعر بقوله :

تالله ما جهل الأقوامُ موضعها ... لكنّهُمْ سَتَروا وَجهَ الّذي عَلِموا

لقد اختار القوم لهم منهجاً آخر عانت منه الأُمّة أقسى أنواع المحن والخطوب .

---

(١) التوبة ٩ : ١٢٨ .

وعلى أي حال، لقد عايش المختار في شبابه وفي دور وعيه وتكامل شخصيّته الأوضاع الاجتماعيّة الراهنة، ووقف بوعي على أهداف المعارضة التي أصرّت على صرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة ومراكز الحكمة والعلم والفضيلة في الإسلام، وقد أغرقت الأُمّة بذلك بالفتن العمياء التي يهرم منها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها المؤمن.

إنّ المختار لم يكن له أي دور ونشاط سياسي في الأحداث المروّعة لأنّه لم تكن له منزلة مرموقة تسمح له الدخول في الأنشطة السياسيّة، ولكنّه ـ من دون شكّ ـ وقف على دوافع الأحداث وتأمّلها بفكره الثاقب، ومن أهمّها تهالك القوم على الإمرة والسلطان، الأمر الذي أدّى إلى شيوع الانتهازيّة والنفعيّة والتمرّد على قيم الأُمّة ومكوّناتها الفكريّة والاجتماعيّة.

ومهما يكن الأمر، فإنّا نعرض بصورة سريعة وخاطفة إلى تلك الأحداث التي وقعت فيها الأُمّة فريسة بأيدي العتاة المجرمين من حكّام الأمويّين والعبّاسيّين. وهذه صور الأحداث:

حكومة عثمان

كان عثمان في زمن النبيّ ﷺ شخصاً عادياً كبقيّة المسلمين، ولم يكن له أي دور متميّز في خدمة القضيّة الإسلاميّة، وكان المسلمون ينظرون إلى أسرته ـ وعلى رأسهم أبو سفيان ـ نظرة ريبة وشكّ في إسلامهم. فهم الذين أشعلوا نار الحروب في بدر وأُحد وحنين على الإسلام، وجهدوا على لفّ لوائه.

وعلى أي حال، فقد كان عمر بن الخطّاب من أقوى العوامل، وأكثرها نشاطاً وحسّاسيّة في تقليد عثمان لمنصب الخلافة، وصرفها عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد وضع نظام الشورى لانتخاب الخليفة من بعده، وهو نظام صوري مغلّف بنظام الشورى لا يمتّ بحال إلى الشورى الواقعيّة التي يجب أن تشترك جميع قطاعات الشعب في عمليّة الانتخاب.

لقد أناط عمر الشورى في ستّة أشخاص، كان معظمهم لهم ميول مع عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة، أمّا من ناحية القرابة، وأمّا من ناحية الكراهية للإمام، حسب ما نصّت عليه البحوث التاريخيّة، وبذلك فقد فاز عثمان بالحكم، وتقلّد أُمور المسلمين.

ومن المؤسف أنّه ساس الأُمّة بسياسة عوجاء قاتمة لم يألفها المسلمون، فقد أسند جهاز حكومته في الداخل والخارج إلى بني أُميّة وآل بني معيط، ولم يجعل فيها نصيباً للأوس والخزرج، وهم الذين لهم دورهم المتميّز في إقامة الدولة الإسلاميّة، ومناهضة أعداء الإسلام، بالإضافة إلى أنّ الأمويّين الذين تولّوا قيادة دولته لم يكن لهم أيّة دراية في أنظمة الحكم والإدارة، ولا أيّة معرفة بأحكام الإسلام، فقد نشأوا نشأة جاهليّة اتّسمت بالميل إلى اللهو والمجون والبذخ والتبذير

بأموال المسلمين، وحوّلوا اقتصاد الأمّة إلى جيوبهم ينفقونه على شهواتهم ورغباتهم في حين أنّ الفقر قد أخذ بخناق المواطنين، وعمّ البؤس والحرمان الكثير من الأوساط الشعبيّة.

وكان من معالم سياسة عثمان الداخليّة التنكيل بالجبهة المعارضة لحكومته، وكانت تضمّ خيار الصحابة، وأعلام الإسلام، أمثال الصحابي العظيم أبي ذرّ الغفاري الذي أنكر عليه سياسته الاقتصاديّة التي شذّت في كثير من بنودها عن أحكام الإسلام وقيمه، فنفاه عثمان إلى الربذة، وهي مكان خالٍ من وسائل الحياة، فمات فيها جائعاً غريباً في حين أنّ أموال المسلمين وذهبهم بأيدي فتيان الأمويّين ينفقونه على الماجنين والعملاء من أتباعهم.

كما حرّم على عبدالله بن مسعود عطاءه، فأخذ يعاني البؤس والحرمان فمرض، فعاده عثمان وعرض عليه أن يعطيه عطاءه الذي حرمه منه، فأبى وقال: «حرمتني منه وكنت محتاجاً له، وتعطيني إيّاه وأنا ملاق لله عزّ وجلّ»، وأوصى أن لا يصلّي عليه بعد وفاته.

كما اعتدى على الصحابي الطيّب ابن الطيّب عمّار بن ياسر حينما أنكر عليه أخذه للقلادة الذهبيّة التي كانت في بيت المال، وإعطاءها لبعض نسائه، فأنكر عليه عمّار، ففقد عثمان صوابه وأمر جلاوزته بضربه، فضربوه ضرباً قاسياً حتّى أصابه الفتق، وأراد نفيه إلى الربذة ليلاقي حتفه هناك، كما نفى صاحبه أبا ذرّ، وتوسّط الإمام في شأنه فقابله بشدّة وصرامة، وقال له: «أنت أحقّ بالنفي منه»، فردّ عليه الإمام بالمثل[1].

وتوسّطت الصحابة في شأن عمّار فأعرض عنهم، واحتضن عثمان ابن عمّه مروان بن الحكم الذي كان يبغضه المسلمون، ولقّبوه بخيط باطل لجاهليّته وتمرّده

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام: ١: ٢٦٠.

على القيم الإسلاميّة . فقد كان الوجه لعثمان والقائم بإدارة شؤونه . وكان ذلك من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى النقمة على عثمان . وطالبته الوفود من مختلف الأقطار بإقصائه . فلم يستجب لهم . وأصرّ على احتضانه .

وعلى أي حال . فقد نقم خيار المسلمين على عثمان . وزحفت إلى يثرب بعض الفرق العسكريّة من مصر والعراق . فطالبوا عثمان بإبعاد مروان والاستقامة في سلوكه . وتغيير سياسته . فاستجاب لهم . لكنّه لم يلبث أن عاد إلى سيرته الأُولى . ولمّا يئس خيار الصحابة من إصلاحه . بادر محمّد بن أبي بكر إلى الإجهاز عليه . وتوالت عليه الضربات حتّى لفظ أنفاسه الأخيرة . ثمّ سحبوا جنازته فألقوها في محلّ غير لائق به . مبالغين في الاستهانة به . كما لم يسمحوا بمواراته . حتّى توسّط الإمام في شأنه . فأجابوه . ودفن في حشّ كوكب . وهو مقبرة لليهود حسب ما ذكره المؤرّخون .

لقد انطوت حكومة عثمان ووقف المختار على التواء سياستها . كما وقف على متاركها الفظيعة . فقد ألفت المسلمين في شرّ عظيم . فقد اتّخذ الأمويّون قتله ورقة رابحة للمطالبة بدمه . فأغرقوا البلاد بالخطوب والأزمات . وسفك الدماء . وهذا ما سنتحدّث عنه في البحوث الآتية .

حكومة الإمام عليه السلام

استقبل المسلمون حكومة الإمام بمزيد من الرضا والابتهاج، لأنّها امتداد ذاتي لحكومة النبيّ صلى الله عليه وآله التي ينعم في ظلالها البؤساء والمحرومون. وقد أعلنت الأوساط الشعبيّة فرحتها الكبرى برجوع الحقّ إلى أهله. إلّا أنّ الإمام لم تكن له أيّة رغبة في تولّي الحكم، وذلك لعلمه بفساد الأوضاع الاجتماعيّة التي خلّفتها حكومة عثمان، وأنّه سيواجه تمرّداً وعصياناً مسلّحاً على حكومته من القرشيّين والأمويّين.

ولم يسع الإمام التخلّي عن قيادة الأُمّة. فقد أجبرته القوّات المسلّحة على تولّي الحكم، فاستجاب لها على كُره.

مقرّرات الإمام

أصدر الإمام عليه السلام عند تسلّمه للسلطة بعض القرارات الهامّة، وهي:

١ ـ عزل ولاة عثمان

أمر الإمام بعزل ولاة عثمان عن جميع مناصبهم؛ لأنّهم لصوص وخونة قد سعوا في الأرض فساداً، ولم يستثن أي أحد منهم، واستهدف بالذات عزل معاوية الذئب الجاهلي عن ولاية الشام. وأشار عليه المغيرة بن شعبة بإبقائه فترة من الزمن ثمّ يعزله، فأبى؛ لأنّ في إبقائه ولو لحظة إقراراً للظلم والفساد. والإمام في جميع فتراته لم يحاب أحداً ولم يداهن في دينه، ولا سبيل عنده للأطماع السياسيّة، وإن توقّف عليها النصر.

٢ ـ مصادرة أموال عثمان

وأصدر الإمام أوامره بمصادرة جميع الأموال المنقولة وغيرها التي هي تحت حيازة عثمان؛ لأنها اختلست من بيت مال المسلمين، وأخذت بغير حقّ. فصودر جميع ما عنده حتّى سيفه ودرعه.

ومن الجدير بالذكر أنّه قد أشيع أنّ عثمان من ذوي الثراء العريض، وأنّه قد أنفق معظم أمواله في سبيل الإسلام، فإنّ ذلك ـ فيما أحسب ـ من الموضوعات لإبراز عثمان أنّه ممّن ساهم في نشر الإسلام بأمواله، فإنّه لم يكن من الرأسماليّين في عصره، فلم يزاول التجارة ولا غيرها، وإنّما كان أبو سفيان من ذوي الثراء وأنفقه في محاربة الإسلام.

وعلى أيّ حال، فقد أثار مصادرة أموال عثمان مخاوف الأمويّين والرأسماليّين من القرشيّين الذين خضموا مال الله تعالى خضم الإبل نبتة الربيع، وتمرّغوا فيما نهبوه من أموال المسلمين، فخافوا على سريان هذا الحكم إلى ممتلكاتهم.

٣ ـ المساواة

من معالم سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المساواة العادلة بين المسلمين، مساواة في الحقوق والواجبات، ومن أهمّها المساواة في العطاء، فلم يميّز قوماً على قوم، كما كان يفعل عمر وعثمان، فاقتدى بسياسة النبيّ التي ساوت بين جميع المسلمين في العطاء، وقد حمل الإمام نفسه رهقاً، فقد ألغى جميع المحسوبيّات، وقد تنكّر له الوجوه والأعيان الذين بنوا ثراءهم على الامتيازات الخاصّة التي منحتها لهم الحكومات السابقة.

٤ ـ الموالي

من مناهج سياسة الإمام أنّه ساس الموالي بالعدل، وساوى بينهم وبين العرب، ولم يألفوا هذه السياسة في عهد عمر ولا في عهد عثمان، فقد وجدوا في كنف حكومة الإمام الكرامة والرفاهيّة والحريّة، وقد نقل الرواة صوراً رائعة من سيرته معهم كان منها أنّ سيّدة قرشيّة وفدت إلى الكوفة تطلب من الإمام زيادة مرتّبها، فالتقت بسيّدة أعجميّة فسألتها عن مقرّ الإمام، فأخبرتها أنّه في الجامع الأعظم، وانطلقت معها تهديها إلى الجامع، وسألتها القرشيّة عن مرتّبها، فأخبرتها به، وإذا به يساوي عطاءها، فأمسكت بيدها لمّا قربت من الإمام، وراحت تقول بحرارة: أمن العدل يابن أبي طالب تساوي بيني وبين هذه الأمة في العطاء؟

فتناول الإمام بيده حفنة من التراب وجعل يقلّبها بيده وهو يقول: **لَمْ يَكُنْ بَعْضُ هذا التُّرابِ أَفْضَلَ مِنْ بَعْض**، وتلا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1].

حقّاً هذا هو العدل الذي تحيى به الشعوب، وتتوحّد الكلمة، وتذوب فيه النزعات والمحسوبيّات.

ومن مظاهر ذلك العدل الخالص الذي يبهر العقول أنّ حكومة الإمام لمّا أفل نجمها بعد رفع المصاحف في صفّين انبرى عبدالله بن عبّاس إلى الإمام فأشار عليه بإعادة الحياة إلى حكومته قائلاً: يا أمير المؤمنين، فضّل العرب على الموالي، وفضّل قريشاً على سائر العرب، حتّى تستعيد للدولة قوّتها.

فأجاب الإمام بالخطّ الذي يؤمن به قائلاً: **يابْنَ عَبّاس، تُريدُ مِنّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ، وَاللهِ لَوْ كانَ المالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ بِالْعَطاءِ، فَكَيْفَ وَالْمالُ مالُ اللهِ تَعالى.**

---

(١) الحجرات ٤٩: ١٣.

على هذا النهج المستقيم الذي لا التواء فيه سار الإمام في سياسته، ولم يحفل بالنصر الذي فيه ظلم للرعيّة. إنّه كان يبغي العدل منهجاً مشرقاً لسياسته ليكون منارا للعدالة الإسلاميّة في كلّ عصر وزمان.

لقد عايش المختار سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي تبنّت حقوق الإنسان، وتنكّرت لكلّ مصلحة شخصيّة تفرض على الشعب، وعلى ضوء هذه السياسة سار المختار فلم يقدم قوماً على آخرين، فالعربي والموالي سواء في العطاء، بل وفي جميع الحقوق والواجبات.

فزع القرشيّين

فزعت قريش كأشدّ ما يكون الفزع من حكومة الإمام، واعتبرتها تدميراً لمصالحها المبنيّة على الأثرة والاستغلال، وأشدّ الأسر القرشيّة فزعاً الأُسرة الأمويّة، التي تمرّغت بالمال الحرام أيّام حكومة عميدها عثمان بن عفّان، الذي ملأ بيوتهم بالأموال المنهوبة من المسلمين، واعتقدوا أنّ الإمام سيصادرها وسيحاسبهم على ما اقترفوه من ظلم الرعيّة، فعقدوا المؤتمرات ووضعوا الحواجز لمناهضته، وتدمير سياسته، وإفشال حكومته.

تمرّد طلحة والزبير

أمّا تمرّد طلحة والزبير فقد كان ـ فيما أحسب ـ بإيعاز من القرشيّين وإشارة لعواطفهما، وبدفع من ابنيهما اللذين يريدان الاستئثار بالسلطة والظفر بخيرات البلاد.

وعلى أي حال، فقد راح الشيخان يسيران بخطى مثقلة بالطمع والتمرّد على الحقّ صوب الإمام، ظانّين أنّ الإمام سيمنحهما الإمرة على بعض المناطق ليكسبا الثراء والحكم، ولمّا قابلاه قالا له: بايعناك على أنّنا شريكان لك في الأمر.

ونظر لهما الإمام، فدرس ما استتر في نفسيهما من الطمع، فخيّب أملهما قائلاً: **وَلكِنَّكُما شَريكانِ في الْإِسْتِقامَة**.

ومعنى ذلك أنّهما شريكان في سياسة الدولة ومراقبة شؤونها الداخليّة والخارجيّة، والسير بها على ضوء الكتاب والسنّة، وإلغاء المحسوبيّات الخاصّة لأي أحد، سواء في ذلك الحاكم والمحكوم، ولكنّ ذلك لم يرق لهما، فقد هاما بحبّ المال والحكم، ولم ينظرا لمصلحة الأمّة، وما يترتّب على قولهما من البعد عن شريعة الله تعالى.

ومهما يكن الأمر فقد خرج الشيخان، وقد أترعت نفساهما بالألم، وورم أنفاهما من الغيظ والحقد على الإمام، وراحا يفكّران في العمل الجادّ لإسقاط حكومة الإمام.

ووافتهما الأنباء بتمرّد عائشة بنت أبي بكر، وتهريجها بالمطالبة بدم عثمان، وأنّها اتّهمت الإمام بالاشتراك في قتل عثمان، وفيما أحسب أنّ الأمويين قد دفعا عائشة إلى مناهضة حكومة الإمام، والتذرّع بدم عثمان، ورأى الشيخان أنّ خير وسيلة للإطاحة بحكومة الإمام الالتحاق بعائشة والعمل معها، واتّخاذها منهجاً لعملهما السياسي، وخفّا نحو الإمام يطلبان منه الإذن لمغادرة يثرب والسفر إلى مكّة، فقال لهما الإمام: **إلى أَيْنَ تُريدان ؟**

- العمرة.

فرمقهما الإمام، وحكى ما في نفسيهما من الغدر والخيانة قائلاً: **لكِنَّكُما تُريدانِ الْغَدْرَة**.

نعم، يريدان الغدرة، وشقّ كلمة المسلمين، وإشاعة الفتن بينهم.

وسمح الإمام لهما بالسفر؛ لأنّ سياسته كانت قائمة على نشر الحريّة بين الناس، والتي منها حريّة السفر، ولم يسلك مثل ما سلكه عمر من فرض الحصار على

الصحابة بالسفر إلى أي مكان يودّون . وفعلاً غادرا المدينة ، والتحقا بعائشة ، فوجداها ملتهبة العواطف ، تدعو بحرارة لإسقاط حكومة الإمام ، فانضمّا إليها ، وأخذ هذا المثلث يضع المخطّطات لإعلان الثورة على حكومة الإمام ، وقد عرضوا مناقشة الأمور التالية :

١ ـ هل أنّ عليّاً استأثر بأموال المسلمين كعثمان ؟ فكان الجواب النفي .

٢ ـ هل أنّ عليّاً نكّل بأحد من المسلمين ؟ فكان الجواب النفي .

٣ ـ هل أنّ عليّاً اتّخذ السلطة وسيلة لاستعلائه على الناس ؟ كلّا فليس ذلك من خُلق الإمام .

إذن ليس هناك ورقة رابحة يتمسّكون بها لإعلان عصيانهم المسلّح سوى المطالبة بدم عثمان .

غريب وعجيب عائشة تطالب بدم عثمان وهي التي كانت تهرّج عليه ، وقد أفتت بمروقه من الدين ولزوم قتله قائلة : « اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

ما هذه الفتنة التي أحدثها هذا المثلث ، إنّها ستؤدّي إلى سفك دماء المسلمين ، وإشاعة الحزن والحداد في بيوتهم .

ما هو البلد الذي يحتلّونه ويتّخذونه قاعدة لإعلان الثورة هل هو مكّة ؟ لا .

الشام ، لا ؛ لأنّ فيها معاوية وهو سند لهم في مكرهم وتجرّيهم على الحقّ .

وأجمع رأيهم على احتلال البصرة ؛ لأنّها فيها شيعة لهم ، وفعلاً فقد غادروا مكّة ، وقد أعلن مناديهم وسط الجموع قائلاً :

« أيّها الناس ، إنّ أمّ المؤمنين عائشة وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فمن كان يريد إعزاز الإسلام ، وقتال المحلّين ، والطلب بثأر عثمان ، ولم يكن عنده مركب ولا جهاز ، فهذا جهازه ، وهذه نفقته » .

وزحفت عصابات من المغرّر بهم ، ومن العتاة إلى البصرة لمحاربة وصيّ رسول

الله ﷺ، وباب مدينة علمه. وأخذت القافلة تواصل سيرها حتّى انتهت إلى ذي قار، فانبرى سعيد بن العاص إلى عائشة قائلاً: أين تريدين يا أُمّ المؤمنين؟

- البصرة.

- ما تصنعين بها؟

- أطلب بدم عثمان.

فضحك ساخراً وقال متبهّراً: هؤلاء قتلة عثمان يا أُمّ المؤمنين، وأشار إلى طلحة والزبير، ولم تطق عائشة جواباً، بل هي كانت من المحرّضين على قتل عثمان، وأشاحت عائشة بوجهها عن سعيد.

ماء الحوأب

انطلقت قافلة عائشة تجدّ في السير لا تلوي على شيء، حتّى انتهت إلى مكان يقال له «الحوأب»، فتلقّتها كلاب الحيّ بهرير وعواء، فذعرت منها عائشة وقالت لمحمّد بن طلحة: أي ماء هذا؟

- ماء الحوأب.

فذعرت عائشة وراحت تقول بأسى بالغ: ما أراني إلّا راجعة.

- لِمَ يا أُمّ المؤمنين؟

سمعت رسول الله ﷺ يقول لنسائه: **كَأَنّي بِإِحْداكُنَّ قَدْ نَبَحَتْها كِلابُ الْحَوْأَب، وَإِيّاكِ أَنْ تَكُونِي يا حُمَيْراءُ.**

وراح محمّد يقول لها: تقدّمي يرحمك الله، ودعي هذا القول.

وأصرت عائشة على الانسحاب، وعلم طلحة والزبير ذلك فأسرعا يلهثان إليها، وطلبا منها الإعراض عمّا صمّمت عليه، فلم تستجب لهما، فجاءوا لها بشهود اشتروا ضمائرهم فشهدوا أنّ هذا الموضع ليس بماء الحوأب، وهي أوّل شهادة زور

في الإسلام، واستجابت عائشة وواصلت مسيرتها معهم.

في البصرة

وانتهت قوّات عائشة إلى البصرة، فأوعز عثمان بن حنيف حاكم البصرة إلى أبي الأسود الدؤلي أن يسأل عائشة عن سبب قدومها إلى البصرة، وبادر أبو الأسود قائلاً لها: ما أقدمك يا أُمّ المؤمنين؟

- أطلب بدم عثمان.

- ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد.

- صدقت، ولكنّهم مع عليّ بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله، أنغضب لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم.

فردّ عليها أبو الأسود منطقها الرخيص قائلاً: ما أنت والسوط والسيف، إنّما أنت حبيسة رسول الله ﷺ، أمرك أن تقرّي في بيتك، وتتلي كتاب ربّك، وليس على النساء قتال، ولا لهنّ الطلب بالدماء، وأنّ عليّاً لأوْلى منك وأمسّ رحماً، فإنّهما ابنا عبد مناف.

ولم تستطع عائشة أن تردّ هذه الحجج وراحت تتمسّك بالأوهام قائلة: لست منصرفة حتّى أمضي لما قدمت إليه، أفتظنّ أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟

فردّ عليها بقوّة وصرامة قائلاً: أما والله لتقاتلين قتالاً أهونه الشديد.

ولم تستجب عائشة لنصح الناصحين لها، وأصرّت على الغيّ والعدوان، والمضيّ قدماً في محاربة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وعلى أي حال، فقد جرت أحداث مؤسفة أدّت إلى تفاقم الأوضاع، وإصرار عائشة على إعلان الحرب، وبذل الإمام جهداً في إخماد الحرب ونشر الوئام والسلام، فلم يستطع، ولم يجد إلى ذلك سبيلاً، وفعلاً فقد التحم الفريقان في

معركة رهيبة يريد أصحاب الإمام أن يحموا وصيّ رسول الله وباب مدينة علمه، ويحرزوا له النصر، ويريد أصحاب عائشة أن يحموا أمّهم، ويكسبوا لها النصر.

وأسفرت الحرب عن فرار الزبير عن ساحة الحرب وقتله، وقتل طلحة، وتولّت عائشة قيادة الجيش، وهي تحرّض أصحابها على مواصلة الحرب وإحراز النصر، وقد قطعت أمام هودجها الرؤوس والأيدي، إلّا أنّها منيت بالفشل والخسران، فقد انتصر عليها جيش الإمام، وحُملت إلى دار عبدالله بن خلف الخزاعي، فدخلت على صفيّة بنت الحارث، وقابلها الإمام بالعفو والإحسان، كما أصدر عفواً عامّاً عن جميع قطعات جيش عائشة، ولم ينكّل بأي أحد من خصومه وأعدائه.

وانتهت بذلك حرب الجمل، فقد دمّرت عائشة بخروجها على حكومة الإمام وشائج الصلات بين المسلمين، كما فتحت بينهم أبواب الفتن وألقتهم في شرّ عظيم.

وقد مهّدت عائشة بخروجها لحرب الإمام العصيان المسلّح لمعاوية وبني أميّة، وعبّدت لهم الطريق لمحاربة الإمام، واتّخاذهم دم عثمان شعاراً لهم يتستّرون به، ويلتفّون حوله للظفر بالحكم والاستيلاء على ثروات البلاد، واستعباد المسلمين، وإرغامهم على ما يكرهون.

لقد عاصر المختار هذه الفتنة، ووقف على أهدافها ودوافعها، واستبان له مدى الأضغان والأحقاد التي تكنّها نفوس القرشيّين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهم لا ينشدون أي مصلحة للأمّة ولا ينتهونها.

تمرّد معاوية

عاصر المختار الفتنة الكبرى التي مني بها المسلمون، وامتحنوا امتحاناً عسيراً، وهي مناهضة الطاغية معاوية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وإعلانه رسميّ التمرّد على حكومته، ورفض بيعته مقتدياً بعائشة التي أعلنت الحرب على الإمام.

إنّ من منهازل الزمن أن يدخل معاوية في ميدان الصراع السياسي مع الإمام أمير المؤمنين وصيّ رسول الله ﷺ، وباب مدينة علمه، وقد كان في زمن الرسول بأقصى مكان من الذلّ والهوان.

فقد جاءت امرأة إلى النبيّ ﷺ تستشيره بالزواج منه فنهاها عن ذلك وقال لها: **إنَّهُ صُعْلوك**، فهذا الصعلوك الذل قد أقامه عمر بن الخطّاب، وأضفى عليه النعوت الكريمة، ومنحه السلطات الواسعة، ومكّنه من رقاب المسلمين، فقد عهد إليه بولاية الشام، وزاد في رفعة سلطانه، وأشاد به، فقال: إنّه كسرى العرب.

وعلى أي حال، فقد اهتمّ الإمام أمير المؤمنين اهتماماً بالغاً بوحدة الصفّ الإسلامي، فبعث سفراءه إلى معاوية يدعونه للطاعة، ويحذّرونه مغبّة الفتنة، وما تعقبه الحروب من سفك الدماء، وإشاعة العداء والكراهيّة بين المسلمين، ولم يستجب معاوية لنداء الحقّ، وأصرّ على مناهضة الإمام.

وقد التفّ حوله دهاة قريش أمثال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وغيرهما، وشجّعوه على الحرب، واتّخاذ دم عثمان شعاراً لتمرّدهم، وإعلان الحرب على الإمام، وقد افتتن الشاميّون بقميص عثمان الذي أخذ ينشره معاوية، فكانوا يبكون أمرّ البكاء، ويطالبون معاوية بالأخذ بثأره، وقد أشاع فيهم أنّ عليّاً قد آوى قتلته، وأنّه المطالب بدمه.

زحف معاوية لصفّين

ولمّا توفّرت لمعاوية الإمكانيات العسكريّة والماديّة زحف بجيشه لمحاربة الإمام، والإطاحة بحكمه، وقد التهى جيشه في مسيرته إلى صفّين فاحتلّوا حوض الفرات، وعدّوا ذلك أوّل الفتح لأنّهم سوف يحبسون الماء عن عدوّهم، وظلّ الجيش مقيماً في صفّين يحكمون سيطرتهم على الماء ويصلحون أمورهم.

مسير الإمام للحرب

عجّت الكوفة بالكتائب وقادة الفرق للخروج مع الإمام للحرب، وسارت لا تلوي على شيء، وقد لازمت في مسيرها حوض الفرات حتّى انتهت إلى الأنبار، فاستقبلهم أهلها ومعهم دوابّهم استقبالاً حاشداً، فبهر الإمام وقال لهم: **ما أَرَدْتُمْ بِهذا الَّذي صَنَعْتُم ؟**

فأجابوا بتعظيم وإكبار: يا أمير المؤمنين، أمّا هذا الذي صنعنا فهو خلق منّا نعظّم به الأُمراء.

وأمّا هذه الدواب فهديّة لك، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً، وهيّأنا ذلك، وراح الإمام يقول: **أَمّا هذا الَّذي زَعَمْتُمْ مِنْكُمْ خُلُقٌ تُعَظِّمونَ بِهِ الأُمَراءَ، فَوَاللهِ ما يَنْفَعُ هٰذا الأُمَراءَ، وَإِنَّكُمْ لَتَشْقَونَ بِهِ عَلىٰ أَنْفُسِكُمْ وَأَبْدانِكُمْ، فَلا تَعودوا لَهُ.**

وَأَمّا دَوابُّكُمْ هٰذِهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ نَأْخُذَها مِنْكُمْ فَنَحْسُبُها مِنْ خَراجِكُمْ أَخَذْناها مِنْكُمْ.

وَأَمّا طَعامُكُمُ الَّذي صَنَعْتُمْ لَنا فَإِنّا نَكْرَهُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْ أَمْوالِكُمْ شَيْئاً إِلّا بِثَمَنٍ.

هذا خلق عليّ عليه السلام، وهذه سيرته التي لم يألفها الملوك والرؤساء في جميع فترات التاريخ، فقد اعتادوا على تقديم الرعيّة لهم الذبائح وسائر ألوان التكريم والتعظيم.

وراح الأنباريّون يقولون: يا أمير المؤمنين، نقدّمه ـ أي الطعام ـ ثمّ نقبل ثمنه، ثمّ تركهم الإمام وانصرف بجيوشه[1].

حتّى انتهى إلى صفّين، فنزل مع جيوشه بالقرب من جيوش معاوية.

---

(١) وقعة صفّين: ١٦٠ و ١٦١.

القتال على الماء

ولم يجد جيش الإمام شريعة يستقي منها الماء إلّا عليها الحرس ، وهم يمانعونهم أشدّ الممانعة من الارتواء منه ، ولم يجد أصحاب الإمام وسيلة للحصول على الماء إلّا الهجوم عليهم ، فشنّوا عليهم الحرب ، وأزاحوهم عن الفرات ، واحتلّوه ، وألحقوا بهم خسائر فادحة في الأموال والأنفس . وأراد أصحاب الإمام أن يمنعوا أهل الشام من الوصول إلى الماء ، ويكيلون لهم الصاع بالصاع ، فأبى الإمام ذلك ، وسمح لأعدائه بالارتواء منه ، وكانت هذه سجيّته وطبعه .

الحرب

ولم تقع حرب عامّة بين الفريقين ، وإنّما كانت مبارزة ، وقد سئم الجيشان هذه المطاولة التي لا تجدي شيئاً ، وإنّما تزيد في الشرّ انتشاراً وتوجد التمرّد والسأم في الجيش .

وكان الإمام عليه السلام يروم عدم سفك الدماء ونشر الوئام بين المسلمين ، ولكن لمّا رأى أنّ ذلك لا يجدي شيئاً أمام معاوية عبّأ جيشه وتهيّأ للحرب العامّة ، ولمّا رأى معاوية ذلك فعل مثل فعله ، والتحم الفريقان في معركة أشدّ ما تكون الحروب قسوة ، وقد استشهد خيرة القادة في جيش الإمام ، كما استشهد الصحابي العظيم عمّار بن ياسر ، وقد هدّ مقتله الإمام ، فقد فقدَ أعزّ أنصاره وأحبائه ، وقد أبّنه بكلمات حكت ما في نفسه من أسى مرير وحزن عميق ، قال : « **إِنَّ امْرَءً مِنَ الْمُسْلِمينَ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ قَتْلُ ابْنَ ياسِرٍ ، وَتَدْخُلُ عَلَيْهِ الْمُصيبَةُ الْمُوجِعَةُ لَغَيْرُ رَشيدٍ** » .

وقد بان الانكسار والهزيمة في جيش الطاغية معاوية ، وتنكّلت جميع قواعده العسكريّة ، وهمّ بالفرار ، إلّا أنّه تذكّر شعراً لابن الاطنابة فردّه ذلك إلى عدم الفرار .

رفع المصاحف

إنّ من أبشع المهازل في التاريخ البشري على امتداد الزمن هي حيلة رفع المصاحف. فقد افتتن بها الجيش العراقي بعد أن أشرف على الفتح والظفر بعدوّه الماكر الذي ألحق به أفدح الخسائر. فقد اندفعت كتائب من الجيش بقوى محمومة صوب الإمام وهم يهتفون بلسان واحد: «أعطاك معاوية النصف والحقّ. دعاك إلى كتاب الله تعالى. فاقبل منه».

إنّ هذا الاندفاع الهائل بهذه السرعة لإيقاف العمليّات الحربيّة التي أوشكت على نهايتها يدلّل على أنّ هناك اتفاقاً سرياً بين قادة الجيش العراقي والشامي لإحداث انقلاب عسكري في جيش الإمام. ويدعم ذلك أنّ الأشعث بن قيس المعروف بعمالته وخيانته كان في طليعة الداعين إلى التحكيم.

إنّ الأشعث بن قيس كان من أعدى الناس للإمام، وكان سوسة تنخر في الجيش العراقي، وكانت له اتّصالات سريّة مع معاوية وابن العاص.

وعلى أي حال، فقد أحاطت بالإمام كتائب من أولئك الوحوش وهي تهدّده بالعزل والحرب إن لم يستجب لنداء التحكيم، فردّ عليهم بأسى وحزن قائلاً:

«عِبادَ اللهِ، إنّي أَحَقُّ مَنْ أجابَ إلَى كِتابِ اللهِ تَعالَى، وَلكِنَّ مُعاوِيَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعاصِ، وَابْنَ أبي مُعَيْطٍ، وَحَبيبَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَابْنَ أبي سَرْحٍ لَيْسوا بِأَصْحابِ دينٍ وَلا قُرْآنٍ، إنّي أَعْرَفُ بِهِمْ مِنْكُمْ، صَحِبْتُهُمْ أَطْفالاً، وَصَحِبْتُهُمْ رِجالاً، فَكانوا شَرَّ أَطْفالٍ، وَشَرَّ رِجالٍ، إنَّها كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِها باطِلٌ، إنَّهُمْ يَعْرِفونَها وَلا يَعْمَلونَ بِها، وَما رَفَعوها إلّا خَديعَةً وَمَكيدَةً، أَعيروني سَواعِدَكُمْ وَجَماجِمَكُمْ ساعَةً واحِدَةً، فَقَدْ بَلَغَ الْحَقُّ مَقْطَعَهُ، وَلَمْ يَبْقَ إلّا أَنْ يُقْطَعَ دابِرُ الَّذينَ ظَلَموا».

ولم يجد كلام الإمام مع هؤلاء الوحوش، وأصرّوا على التمرّد، وراحوا بوقاحة يقولون: «يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب الله تعالى إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك

كما قتلنا ابن عفّان . فوالله لنفعلنّها إذا لم تجب . .

وراح الإمام يبيّن لهم زيف دعواهم وباطل ما يدعون إليه قائلاً:

« وَيْحَكُمْ! أنا أَوَّلُ مَنْ دَعا إلىٰ كِتابِ اللهِ تَعالىٰ . وَأَوَّلُ مَنْ أجابَ إلَيْهِ . وَلَيْسَ يَحِلُّ لي وَلا يَسَعُني في ديني أَنْ أُدْعىٰ إلىٰ كِتابِ اللهِ تَعالىٰ فَلا أَقْبَلُه .

إنّي إنَّما أُقاتِلُهُمْ لِيَدينوا بِحُكْمِ الْقُرْآنِ فَإنَّهُمْ قَدْ عَصَوا اللهَ تَعالىٰ فيما أَمَرَهُمْ . وَنَقَضوا عَهْدَهُ . وَنَبَذوا كِتابَهُ . وَلكِنْ قَدْ أَعْلَمْتُكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كادوكُمْ . وَأَنَّهُمْ لَيْسوا الْعَمَلَ بِالْقُرْآنِ يُريدونَ » .

ولم يفقه أولئك الوحوش منطق الإمام . وراحوا في غيّهم يعمهون . فأصرّوا على الإمام أن يسحب قائده الأشتر من ساحة الحرب .

إنّ هذا الحادث المروع من أقسى ما امتحن به الإمام من المآسي . وإنّه لما يحزّ في النفس أنّه تحقّق النصر الحاسم لمعاوية . فقد أجبر الإمام على إيقاف الحرب التي لو استمرّت فترة قصيرة لتحقّق النصر للإسلام .

وعلى أي حال . فإنّ هنا بحوثاً مؤسفة عرض لها المؤرّخون . ونحن نطوي الحديث عنها لأنّا لسنا نرغب بتفصيل كلّ ما حدث في عصر المختار من الأحداث الجسام . وإنّما نشير إليها .

ومهما يكن الأمر فقد انتهت المعركة في صالح معاوية . وقد أصرّ المنافقون في جيش الإمام بعدما تحقّقت مصالحهم على انتخاب الأشعري ليكون ممثّلاً عن العراق في التحكيم . والأشعري عدوّ خبيث للإمام كما انتخب الشاميّون ابن العاص ممثّلاً عنهم . ولم يجد الإمام بدّاً من إجابتهم لذلك . وقد دلّ الأمر على عمق المؤامرة التي حيكت ضدّ الإمام .

وقد عيّن الفريقان مدّة للتحكيم . فلمّا انتهت بادر معاوية بطلب اجتماع الحكمين بعد أن أحرز النصر . فأرسل وفداً يضمّ أربعمائة شخص بقيادة ابن العاص إلى دومة

الجندل أو إلى أذرح . وكذلك أرسل الإمام وفداً يضمّ أربعمائة شخص بقيادة الحمار أبي موسى الأشعري الذي عُرف بغبائه وعدائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام . واجتمع الحَكمان . فبادر الأشعري إلى عزل الإمام عن قيادة الأُمّة . وسارع ابن العاص فعيّن سيّده معاوية بن هند إماماً . ووقعت الفتنة الكبرى بين العراقيّين . وراح الخوارج الذين أجبروا الإمام على التحكيم يعلنون شعارهم . لا حكم إلّا لله . وهذا ما سنشير إليه .

فتنة الخوارج

من الأحداث المروّعة التي عاصرها المختار هي فتنة الخوارج وهم العصابة التي مرقت عن الإسلام . وحادت عن طريق الحقّ . فهم الذين أرغموا الإمام على إيقاف الحرب في أحرج وقت . وهو وقت النصر الحاسم . حيث أشرف الجيش العراقي على الفتح . ولمّا استبان لهم فساد التحكيم ندموا على ذلك واعتزلوا في جهة منفصلين عن جيش الإمام . فحاججهم وخاصمهم الإمام وعرّفهم ضلالهم . فقالوا له : إنّا كفرنا وتبنا . وأعلن أنت الكفر ثمّ التوبة . وهو اعتذار منهم مهلهل . ومقصود للتمرّد والعصيان . كيف يعلن الإمام الكفر ثمّ التوبة وهو مؤسّس الإسلام . والباني لأسسه وقواعده ؟!

ولمّا رفض الإمام طلبهم أخذوا يعيثون في الأرض فساداً . فقتلوا الأبرياء . واستباحوا دماء من لا يؤمن بباطلهم . واقترفوا كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم .

ولمّا يئس الإمام الممتحن من إصلاحهم عبّأ أصحابه للحرب . وكذلك فعل هؤلاء الأرجاس . وما هي إلّا ساعة حتّى أبادتهم سيوف المؤمنين . ولم يفلت منهم إلّا تسعة .

وانتهت بذلك هذه الحادثة الغريبة التي سمّاها المؤرّخون بواقعة النهروان . وقد أدّت إلى تذلّل الجيش العراقي وانعدام روابطه العسكريّة وتمرّده على الإمام .

فكان يأمرهم فلا يطيعوه ، ويدعوهم فلا يستجيبون له .

أُفول دولة الحقّ

إنّ الأحداث الرهيبة التي مني بها جيش الإمام قد أدّت إلى أفول دولته ، فلم يعد له أي نفوذ على جيشه ، فقد تنلّلت جميع قواعده ، وقد استغلّ معاوية انهيار جيش الإمام ، فقام باحتلال مصر القاعدة الأُولى في الدولة الإسلاميّة ، كما احتلّ الكثير من مناطق الدولة الإسلاميّة ، وبعث فرقاً من جيشه لإشاعة الخوف والرعب وإفهام المواطنين أنّ الدولة لم تعد لها القدرة على حمايتهم ، وقد انتهت الغارات إلى الكوفة ، التي هي عاصمة الإمام ، فأخذت تعيث بالأمن ، تقتل وتنهب الأموال ، وتفسد في الأرض وتنتهك الأعراض ، ولا يتمكّن الإمام من حمايتهم ، كما قامت بعض القيادات في جيش الإمام بالاتّصال بمعاوية والخضوع لسلطانه ، وكان ذلك من أعظم ما مني به الإمام من البلاء .

شهادة الإمام

أيقن الإمام بتقويض سلطانه ، وفقده لجميع مقوّمات السلطة ، وأنّه لا قدرة له مطلقاً على مناجزة معاوية ، فقد قوي حكمه ، وانتشر مكره ، وقد ألمّت الكوارث المروّعة بالإمام ، فأخذ يبتهل إلى الله تعالى ضارعاً خاشعاً منيباً أن يقبضه إليه ، ويلحقه بأخيه ، وينقذه من ذلك المجتمع الذي جرعه الغصص والآلام .

واستجاب الله تعالى دعاء وليّه ، ووصيّ رسوله ، فرزقه الشهادة على يد أشقى خلقه الوغد الأثيم عبدالرحمن بن ملجم ، فقد اغتاله وهو ماثل بين يدي الله تعالى ، والصلاة بين شفتيه في أقدس شهر ، وهو شهر رمضان المبارك ، وفي أقدس بيت من بيوت الله تعالى ، وهو الجامع الأعظم .

ولمّا أحسّ الإمام بلذع السيف رفع صوته قائلاً : « **فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ** » .

لقد فاز ناصر الإسلام، وأبو الضعفاء، وأخو المحرومين، وانتصرت قيمه ومبادىء، وعاد في هذا الشرق أسمى حاكم عرفته الإنسانيّة في نزاهته ونكرانه للذات.

لقد أعاد الإمام إلى شعوب العالم وأُمم الأرض المثل المشرق للإنسانيّة بجميع مكوّناتها وقيمها.

وقد شاهد المختار مأساة الإمام، وما مرّت به من أدوار مرهقة لأنّه تبنّى حقوق المظلومين والمضطهدين، ولم يمارِ، ولم يخادع في دينه، وكان في جميع أدوار حياته على نسق واحد، وهو مصاحبة الحقّ ونكران الباطل.

لقد وقف المختار على هذه الأحداث الجسام التي لعبت دوراً مهمّاً في مجريات الأحداث، وأخلدت للمسلمين المصاعب والفتن، وألقتهم في شرّ عظيم.

خلافة الإمام الحسن عليه السلام

تسلّم الإمام الحسن عليه السلام بعد شهادة أبيه قيادة الدولة في وقت كان من أشدّ الأوقات محنة، ومن أعظمها بلاءً؛ لأنّه لم يكن عنده جيش يحميه، ولا قوّة يركن إليها لتذبّ عنه عدوّه الماكر معاوية الذي تسلّح بجميع ألوان المكر والحيلة والنفاق، والتي هي بعيدة ومحرّمة على سليل النبوّة ومعدن الإيمان، ومركز الشرف والكرامة.

ولم يمض قليل من الوقت حتّى استعدّ سبط النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حرب الطاغية معاوية، وقد سارت معه كتائب من الجيش المنهزم نفسياً، والمتخلّف فكرياً وعقائدياً، وقد أبدع الشيخ المفيد في وصفه بقوله: «واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثمّ خفّوا، وخفّ معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكّمة يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع بالغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبيّة، اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»[1].

وهو وصف دقيق ومليء جدّاً بعناصر ذلك الجيش الذي لم يؤمن معظمهم بضرورة الحرب والجهاد في سبيل الله[2].

في المدائن

نزح الإمام الحسن عليه السلام من عاصمته يجدّ في سيره حتّى انتهى إلى المدائن، وقد تسلّم قيادة جيشه الخائن عبيدالله بن العبّاس، فاستقرّ في مسكن، وراح معاوية يعيث فساداً في جيش الإمام، فقام بما يلي:

---

(١) الإرشاد: ١٦٩.

(٢) حلّلنا كلام الشيخ المفيد في كتابنا حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام.

نشر الجواسيس

بثّ معاوية جواسيسه وعيونه في جيش الإمام، فأخذوا يشيعون الخوف والارهاب، ويحرّضون على التخاذل والخيانة. ومن أكاذيبهم وخدعهم أنّ الحسن كاتب معاوية في الصلح فلم تقتلون أنفسكم[١].

وتركت هذه الأكاذيب موجة من الاضطراب في جيش الإمام، وخوفاً شاملاً، وتمرّداً عامّاً في جميع قطعات الجيش.

رشوة الوجوه

أخطر عمليّة قام بها معاوية لإفساد جيش الإمام والقضاء على جميع فعّاليّاته أنّه عمد إلى رشوة قادة الجيش وشراء ضمائرهم ودينهم، أمّا ألوان الرشوة فهي:

١ ـ بذل الأموال الكثيرة لقادة الفرق.

٢ ـ بذل الوظائف والرتب العالية.

٣ ـ الزواج بإحدى بناته.

وقد أجيب إلى ذلك، وانهارت أعصاب الكثيرين، فتسلّلوا إلى معسكره في غلس الليل وفي وضح النهار.

خيانة عبيدالله

وأقذر خائن في جيش الإمام هو القائد العامّ لقوّاته عبيدالله بن العبّاس، فقد تسلّم الرشوة من معاوية، وكان قدرها مائة ألف درهم، والتحق بجيشه ومعه ثمانية آلاف من الجيش العراقي[٢]، وأدّت خيانة هذا المجرم إلى زعزعة الجيش واضطرابه،

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٩١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ١٢١و ١٢٢.

ولمّا علم الإمام بخيانته استولت عليه موجات من الألم والأسى ، فقد استبان له أنّه ليس في جيشه من يعتمد عليه لمحاربة معاوية ، وأنّ قادة جيشه سيستسلمون عند اندلاع نار الحرب .

نهب أمتعة الإمام

عمدت عصابة في جيش الإمام إلى نهب أمتعته ومضاربه كما انتزعوا بساطاً كان جالساً عليه[1] .

محاولات لاغتياله عليه السلام

ولم تقف محنة الإمام الحسن عليه السلام وبلاؤه في جيشه إلى هذا الحدّ ، فقد عظم بلاؤه وتفاقمت عليه المحن والخطوب ، فقد تعرّض للاغتيال عدّة مرّات ، وهي :

١ ـ طعنه بخنجر في أثناء الصلاة[2] .

٢ ـ كان يصلّي فرماه شخص بسهم فلم يؤثّر فيه .

٣ ـ طعنه رجل في فخذه ، فحمل جريحاً على سرير إلى المدائن في المقصورة البيضاء لمعالجة جرحه .

واتّضح للإمام أنّ هؤلاء الأوغاد سيبلغ بهم الأمر إلى أسره وحمله إلى معاوية ، أو اغتياله .

الحكم عليه بالكفر

وتمادى ذلك الجيش بالغيّ والضلال ، فقد انبرى الجرّاح بن سنان إلى الإمام رافعاً عقيرته أمام الحاضرين قائلاً :

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣ : ١٤٥ . تاريخ مدينة دمشق : ١٣ : ٢٦٢ . تهذيب الكمال : ٦ : ٢٤٤ .

(٢) ينابيع المودّة : ٢٩٢ .

« أشركت يا حسن ، كما أشرك أبوك » .

لقد سقط ذلك المجتمع في هوّة سحيقة من الضلال والغيّ ، واستولت عليه موجات من الظلام فلم يبصر شيئاً .

رواية مخدوشة

من الروايات التي لا أساس لها من الصحّة أنّ المختار كان في المدائن عند عمّه سعد الذي كان والياً من قبل الإمام أمير المؤمنين على المدائن ، وأقرّه الإمام الحسن على ولايته ، وقد حمل الإمام إلى داره حينما طعن للاستشفاء من جرحه الذي أصابه ، فأقبل المختار على عمّه وقال له : هل لك في الغنى والشرف ؟

- ما ذاك ؟

- نوثق الحسن ، ونستأمن به إلى معاوية .

فزجره عمّه وصاح به : عليك لعنة الله ، أتب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأُوثقه بئس الرجل أنت »[1] .

ولا نصيب لهذه الرواية من الصحّة ؛ لأنّ المختار كان على صلة وثيقة بأهل البيت عليهم السلام كيف يصدر ذلك منه ؟!

مضافاً إلى أنّ الإمام في ضيافة عمّه وللضيف أهميّة وحرمة عند العرب ، والمختار من عيون العرب ، فكيف يقول ذلك لعمّه ؟! وأكبر الظنّ أنّ هذه الرواية افتعلت للحطّ من كرامة المختار .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ١٢٢ . البداية والنهاية : ٨ : ٢٩٢ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٤٠٤ .
ونفى بعض المحقّقين صحّة الخبر ، وجعله من الموضوعات ، ولا يبعد ذلك لأنّ المختار من خيرة الرجال في هديه وورعه وسائر نزعاته .

حيرة وذهول

أحاطت بالإمام الزكيّ موجات من الحيرة والذهول أمام ما أحاط به من المحن والخطوب . فهو يرى باطلَ قد استحكم أمره قد تمّ . وأنّ معظم القادة في جيشه قد استجابوا لإغراء معاوية . وضمنوا له ما يشتهي من تسليم الإمام أسيراً له أو اغتياله . فهو بين أمرين لا ثالث بينهما . وهما :

الأوّل : المضي في الحرب . ومن المتيقّن أنّ الحرب محكوم عليها بالفشل بالنسبة للإمام؛ لأنّه ليس عنده أيّة قوّة عسكريّة يستطيع بها مقاومة معاوية . فإنّ جيشه ليس مؤمناً بقضيّته . وإنّما هو أخلاط من المرتزقة . والمحكّمة وأتباع الرؤساء كما وصفهم الشيخ المفيد .

وإذا ولج الإمام في عمليّات الحرب فأمّا أن يستشهد . وأمّا أن يبعث به أسيراً إلى معاوية . ولا شكّ أنّه لا يقتله . وإنّما يمنّ عليه . ويلبسه وصمة الطلقاء التي ألبسها جدّه الرسول ﷺ لمعاوية وأبيه . وفي هذا من الذلّ والهوان على الإمام ما لا ينساه التاريخ . ويسجّل للأمويّين صفحة بيضاء في تاريخهم الأسود . أمّا إذا استشهد الإمام فإنّ معاوية بمكره وخداعه سوف يلقي المسؤوليّة على الإمام الحسن . ويلبسه لباس الخائنين والخاسرين في الحرب .

الثاني : الصلح مع معاوية على ما في الصلح من قذى في العين . وشجا في الحلق . وبه يحفظ الإمام دمه ودماء المتجدّين من أهل بيته وخيار أصحابه . ويخلي بين هذه الأُمّة التي غدرت به وبين معاوية الذئب الجاهلي الذي سيصبّ عليها وابلاً من الظلم والجور . وبذلك سوف يكشف للمجتمع وجه الأمويّين على حقيقته الذي يمثّل الغدر والخيانة وما يضرّ الناس .

لقد كان الصلح هو المتعيّن عليه شرعاً وعرفاً وسياسة . ولولاه لواجهت الأُمّة أعنف المشاكل وأقسى ألوان المحن والخطوب .

لقد ربح الإمام بالصلح، وخسر معاوية وندم عليه لأنه كان باستطاعته أن يحمل الإمام إليه أسيراً، ويملي عليه الشروط التي يريدها، ويدعم ذلك أنه أعلن بعد الصلح مباشرة أمام الجماهير أنّ جميع ما أعطاه للحسن من شروط هي تحت قدمه، ويظهر ذلك ندمه على الصلح لأنه خسر الشيء الكثير منه.

شروط الصلح

جرى الصلح بين سبط رسول الله ﷺ وبين الطاغية الفاجر معاوية بن أبي سفيان، وقد سجّل في وثيقة وقّع عليها كلا الفريقين، وقد حفلت ببنود ذات أهميّة بالغة، كان منها:

١ ـ أن يعمل معاوية بكتاب الله تعالى، وسنّة نبيّه ﷺ.

٢ ـ ليس لمعاوية أن يعهد بالخلافة لأيّ أحد من بعده، وإنّما الأمر للحسن والحسين من بعده.

٣ ـ الأمن العام لعموم الناس، وأن لا يأخذ معاوية أحداً من شيعة الإمام بمواقفهم ضدّه أيام صفّين.

٤ ـ أن لا يسمّيه الإمام بأمير المؤمنين، وفي هذا تجريد لحكومة معاوية من الشرعيّة.

٥ ـ أن لا يقيم عنده الشهادة، وفي هذا الشرط أيضاً تجريد لمعاوية من الإيمان لأنه لو كان حاكماً مؤمناً لأقام عنده الشهادة.

٦ ـ أن يترك سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٧ ـ أن يوصل إلى كلّ ذي حقّ حقّه.

٨ ـ الأمن العامّ لشيعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٩ ـ أن لا يبغي للحسنين وأهل البيت عليهم السلام غائلة سرّاً ولا جهراً.

وهذه بعض بنود الصلح . وهي تفضح معاوية وتدلّل على خبثه ولؤم سريرته وعنصره .

وقد اصطلح بعض المؤرّخين على تسمية العام الذي وقّع فيه الصلح بعام الجماعة . والحقّ أنّه عام الفرقة والاختلاف ، فقد وقع المسلمون في شرّ عظيم ، وانصبّت عليهم الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً . فقد آلت الخلافة الإسلاميّة إلى الذئاب واللصوص من بني أُميّة وبني العبّاس . فأخذوا يمعنون في ظلم الناس وإرغامهم على ما يكرهون .

حكومة معاوية

استقبل المسلمون حكومة معاوية بكثير من القلق والاضطراب، وذلك لما عرف به معاوية من العداء للإسلام، والتنكّر لقيمه ومبادئه، فإنّه حينما استولى على الحكم تفجّرت سياسته بكلّ ما خالف كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، وقد شاهد المختار بنود سياسته السوداء التي لا تحمل أي طابع من قيم الإسلام، وإنّما كانت جاهليّة رعناء اتّسمت بالغدر والخيانة والظلم والطغيان.

وعلى كلّ حال، فإنّا نعرض بإيجاز إلى بعض ما أثر عنه من الأعمال المجافية لروح الإسلام والتي منها:

١ ـ خرقه لشروط الصلح

وكانت فاتحة حكومة معاوية أنّه أعلن بلا حياء ولا خجل نقضه لشروط الصلح التي أعطاها للإمام الحسن عليه السلام، وذلك في خطبه في الكوفة أو بالنخيلة، حينما استولى على الحكم، فقد خاطب العراقيّين وجهاً لوجه قائلاً: «والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله تعالى ذلك، وأنتم له كارهون».

ثمّ أعلن عن عدم وفائه بما أعطاه للإمام من الشروط قائلاً: «ألا وإنّ كلّ شرط أعطيته للحسن بن عليّ فتحت قدمي هاتين لا أفي به»[١].

---

(١) وفي رواية أبي إسحاق السبيعي: «ألا وإنّ كلّ شيء أعطيت الحسن بن عليّ تحت قدمي هاتين لا أفي به». شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١٦: ٤٦.
وقريب منه ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد: ٢: ١٤. مقاتل الطالبيّين: ٤٥.

أرأيتم هذا الاستهتار والغدر والخيانة ونقض العهد، وعدم الحياء وعدم الاعتراف بالذنب والأعراف، قال ذلك أمام الجماهير الحاشدة بلا خجل ولا حياء، وقد أعرب عن أسفه على ما أعطاه للإمام الحسن من الشروط، فقد كان باستطاعته أن يلقي عليه القبض ويوقفه أسيراً بين يديه، ولكن ذلك قد حجبه الله تعالى عنه.

وعلى أي حال، فإنه لو لم يكن للصلح من فائدة إلّا إبراز جاهليّة معاوية وكشفه أمام الناس لكان ذلك من أعظم الثمرات والمكاسب.

٢ ـ محق الإسلام

جهد معاوية حينما صفا له الملك والسلطان على محق الإسلام وإزالة أرصدته وروافده، والتي منها:

عداؤه للنبيّ صلى الله عليه وآله

أمّا عداء معاوية للنبيّ فهو أمر واضح تلقّاه بالوراثة من أبيه أبي سفيان، الذي ناهض النبيّ صلى الله عليه وآله وحاربه، فما من راية رفعت ضدّ الإسلام إلّا كان أبو سفيان حاملها، وليس في أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله والحاقدين عليه من يماثل أبا سفيان في كراهته وعدائه الصارم للنبيّ صلى الله عليه وآله، وكذلك ورث معاوية العداء للنبيّ صلى الله عليه وآله من أُمّه هند التي لاكت كبد حمزة ومثّلت بجسده الطاهر، فجعلت أنفه ومذاكيره قلادة لها، فعداء معاوية للنبيّ صلى الله عليه وآله تلقّاه بالوراثة من أبيه وأُمّه، وهذه أمثلة منها:

- مكث معاوية أيّام حكومته أربعين جمعة لا يصلّي على النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبه، وسئل عن ذلك فقال: «لا يمنعني من ذكره إلّا أن تشمخ رجال ـ وهم العلويّون ـ بآنافها».

- سمع معاوية المؤذّن يقول في أذانه: «أشهد أن لا إلـه إلّا الله، أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فلم يتمالك نفسه وراح يظهر حقده على النبيّ صلى الله عليه وآله وراح يقول:

« لله أبوك يابن عبدالله ، لقد كنت عالي الهمّة ، ما رضيت لنفسك إلّا أن يقرن اسمك إلّا باسم ربّ العالمين » .

- روى مطرف بن المغيرة ، قال : وفدت مع أبي إلى معاوية ، فكان أبي يتحدّث عن معاوية ويذكر عقله ، وفي ذات ليلة أقبل منه وهو غضبان ، وأمسك عن العشاء ، فانتظرته ساعة ، فقلت له : مالي أراك مغتمّاً هذه الليلة ؟

- يا بني ، جئتك من أخبث الناس .

- ما ذاك ؟

- خلوت بمعاوية فقلت له : إنّك قد بلغت مُناك يا أمير المؤمنين ، فلو أظهرت عدلاً ، وبسطت خيراً ، فإنّك قد كبرت ، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم فوصلت أرحامهم ، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه .

فاندفع معاوية بحرارة وحقد على النبيّ ﷺ قائلاً : هيهات .. هيهات ، ملك أخو تيم - يعني أبا بكر - فعدل ، وفعل ما فعل ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره ، إلّا أن يقول قائل : أبو بكر .

ثمّ ملك أخو عدي - يعني عمر - فاجتهد وشمر عشر سنين فهلك ذكره ، إلّا أن يقول قائل عمر .

ثمّ ملك أخونا عثمان ، فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل به ما عمل ، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره .

وأنّ أخا هاشم يصرخ به في كلّ يوم خمس مرّات : أتشهد أنّ محمّداً رسول الله ، فأي عمل يبقى بعد هذا لا أُمّ لك إلّا دفناً دفناً »[1] .

حكت هذه البوادر ما يكنّه معاوية من الحقد على النبيّ ﷺ ، وما ينويه من دفن

---

(١) شرح نهج البلاغة : ٢ : ٣٥٧ .

ذكره، وإخماد نوره، ومحو اسمه من الأذان لأنّ فيه إشادة وتمجيداً له.

سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أعلن معاوية رسمياً بعد الصلح سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه، فقد جمع الناس في دمشق وخطب فيهم قائلاً: «أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: إنّك ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدّسة - يعني الشام - فإنّ فيها الأبدال، وقد اخترتكم فالعنوا أبا تراب»[1].

فأخذ الهمج الرعاع الذين لا يعقلون في لعن باني الإسلام ومشيّد صروحه، ممتثلين أوامر هذا الذئب الجاهلي الذي لم يؤمن بالله تعالى طرفة عين، وقد اتّخذ الطاغية سبّ الإمام سنّة جارية في خطب الجمعة والأعياد، وكان يختم خطابه بقوله: «اللّهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً»[2].

وأوعز إلى عمّاله وولاته بلعن الإمام على المنابر في جميع المناسبات، فانبروا في لعنه والبراءة منه، وسار الأمويّون من بعده على هذا الخط، حتّى جاء دور عمر بن عبدالعزيز فمنع سبّ الإمام عليه السلام، وصان المسلمين من هذه السيّئة، وجعل مكان اللعن قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[3].

وعلى أي حال، فقد شاهد المختار هذا الاعتداء الصارخ على بطل الإسلام وسيّد المسلمين الذي يكشف عن حقد معاوية على الإسلام وحماته.

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٤: ٧٢.

(٢) النصائح الكافية: ٧٢.

(٣) الحشر ٥٩: ١٠.

٣ ـ افتعال الحديث

من مآثم معاوية وردّته الجاهليّة تشكيله لجان لوضع الحديث ونسبتها إلى الرسول ﷺ . وقد ضمّت اللجنة جماعة كان منهم :

١ ـ سمرة بن جندب .

٢ ـ عمرو بن العاص .

٣ ـ أبو هريرة الدوسي وغيرهم .

وكانت مهمّة الوضّاعين ما يلي :

١ ـ وضع الأحاديث في فضل بعض الصحابة ، وأنّهم خيار الأُمّة في هديهم وسلوكهم .

٢ ـ وضع الأخبار في فضل بني أميّة عامّة وفي معاوية خاصّة .

٣ ـ افتعال الأحاديث في ذمّ أهل البيت عليهم السلام .

٤ ـ تشويه الإسلام والحطّ من قيمه .

ومن المؤسف أنّ هذه الروايات دوّنت في الصحاح والسنن ، وأخذ بها المسلمون على أنّها جزء من عقيدتهم . وقد انبرى الإمام شرف الدين إلى تفنيدها في كتابه أبو هريرة ، كذلك انبرى سماحة المغفور له الحجّة الشيخ محمود أبو رية إلى تفنيدها في كتابه أضواء على السنّة ، وفي كتابه شيخ المضيرة .

٤ ـ استلحاق زياد

من فضائح معاوية وموبقاته استلحاقه لزياد بن عبيد الرومي ، وإلصاقه بنسبه من دون بيّنة شرعيّة معتمداً على شهادة أبي مريم الحنّاط ، وهو ممّا لا يثبت به نسب شرعي ، وإنّما ثبت بها زنى أبي سفيان بسميّة .

وقد خالف معاوية بهذا الاستلحاق قول رسول الله ﷺ: «**الْوَلَدُ لِلْفِراشِ وَلِلْعاهِرِ الْحَجَر**». وقد أثار هذا الاستلحاق موجة من الغضب والاستنكار عند الأخيار والمتحرّجين في دينهم، وقد عرضنا لأقوالهم في كتابنا (حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام).

٥ ـ تعطيل الحدود والأحكام

عطّل معاوية في أيّام حكمه معظم الحدود والأحكام الإسلاميّة، وفي ذلك يقول شاعر الإسلام الكميت الأسدي:

وَعُـطِّلَتِ الأَحْكـامُ حَـتّى كَـأَنَّنا ... عَـلى مِـلَّةٍ غَـيرِ الَّـتي نَـتَنَحَّلُ

أَأَهْـلُ كِـتابٍ نَـحنُ فـيهِ وَأَنـتُمُ ... عَلَى الحَقِّ نَقْضي بِالْكِتابِ وَنَعدِلُ[1]

ومن أمثلة تعطيله للحدود أنّه جيء له بسارق فقال له:

يَـميني أَميرَ الْمُؤمنينَ أُعيذُها ... بِـعَفْوِكَ أَنْ تُلْقى مَكاناً يُشينُها

يَدي كانَتِ الحَسناءُ لَو تَمَّ سَتْرُها ... وَلا تعدمُ الحَسناءُ عَيباً يُشينُها

فَلا خَيرَ في الدُّنيا وَكانَتْ حَبيبَةً ... إِذا مـا شِـمالي فـارَقَتْها يَـمينُها

وقال له السارق: اجعلها في ذنوبك التي تتوب منها، فخلّى سبيله، وأطلق سراحه، وهو أوّل حدّ ترك في الإسلام[2].

٦ ـ إباحة الربا

من موبقات معاوية إباحته للربا، وهو من أفحش المحرّمات في الإسلام،

---

(١) الهاشميّات: ١١.

(٢) البداية والنهاية: ٨: ١٣٦.

فقد لُعن المعطي، والآخذ، والوسيط، والشاهد، إلّا أنّ معاوية لم يحفل بذلك، فقد روى عطاء بن يسار أنّ معاوية باع سقاية من ذهب أو ورق بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: إنّ النبيّ ﷺ نهى عن ذلك إلّا مثلاً بمثل، يعني من دون زيادة، فقال معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً.

فثار أبو الدرداء وقال: من يعذرني من معاوية، أخبره عن رسول الله ﷺ ـ يعني في تحريمه ـ ويخبرني عن رأيه ـ يعني في جوازه ـ ثمّ قام وقال: لا أساكنك بأرض أنت بها.

ثمّ غادر الشام واتّجه نحو المدينة فأقام فيها[1].

٧ـ الأذان في صلاة العيد

لم يشرع الإسلام الأذان والإقامة إلّا في الصلاة اليوميّة، أمّا المندوبة أو الصلاة الواجبة كصلاة العيدين والآيات فلم يشرّعا فيها، ولكنّ معاوية أحدثهما في صلاة العيدين وهو مخالف للسنّة[2].

٨ـ الخطبة قبل صلاة العيد

أمّا الخطبة فقد شرعت بعد الفراغ من صلاة العيد، ولكنّ معاوية قدّم الخطبة على الصلاة فيها، واقتفى الأمويّون به[3].

٩ـ التطيّب في الإحرام

من واجبات الإحرام للعمرة أو للحجّ ترك الطيب في حال الإحرام وبعد الانتهاء

---

(١) النصائح الكافية: ٩٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١: ٤٧٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٣: ٤٧٠.

منه يحلّ استعماله، ولكنّ معاوية خالف ذلك وتطيّب في إحرامه[١].

١٠ ـ مصادرة أموال الناس

من موبقات معاوية مصادرة أموال الناس بغير حقّ[٢]، ولم يعوّضهم عنها.

١١ ـ إبادة القوى الإسلاميّة

عمد معاوية إلى اجتثاث القوى الإسلاميّة التي يخشى من نفوذها، كان منهم:

١ ـ الإمام الحسن عليه السلام

اغتاله بالسمّ على يد زوجته جعدة بنت الأشعث[٣].

٢ ـ حجر بن عدي وجماعته

أعدمهم في مرج عذراء، لأنّهم كانوا ناقمين على سياسته السوداء[٤].

٣ ـ رشيد الهجري

أعدمه الخبيث الدنس زياد بن أبيه لولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي

أعدمه معاوية واحتزّ رأسه، وأمر أن يطاف به في الشام، وهو أوّل رأس طيف به في الإسلام، كما أمر أن يلقى في حجر زوجته، فألقي فيه، وكانت غافلة فذهلت وكادت أن تموت.

٥ ـ أوفى بن حصن

ألقى عليه القبض زياد بن أبيه وأعدمه لولائه للإمام أمير المؤمنين.

---

(١) النصائح الكافية: ١٠٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٠٧.

(٣) و (٤) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام: ٢: ٤٦٨، ٣٥٠.

٦ ـ جويرية بن مسهر

ألقى عليه القبض الطاغية زياد وأمر بقطع يده ورجله ، ثمّ صلبه على جذع قصير.

٧ ـ عبدالله الحضرمي وجماعته

أمر الطاغية بإعدامهم لموالاتهم للإمام أمير المؤمنين.

هؤلاء بعض الأعلام الذين أمر الطاغية بإعدامهم لولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

١٢ ـ اضطهاد الشيعة

جهد الطاغية الفاجر معاوية على ظلم شيعة أهل البيت الذين يمثّلون واقع الإسلام وجوهره ، فقد رفع مذكّرة إلى عمّاله وولاته جاء فيها: «انظروا إلى من قامت عليه البيّنة أنّه يحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان ، وأسقطوا عطاءه ورزقه».

وشفع ذلك بنسخة أُخرى جاء فيها: «مَن اتّهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به ، واهدموا داره».

وتحدّث الإمام الباقر عليه السلام عمّا جرى على شيعتهم من صنوف الظلم والبلاء بقوله: **«وَقُتِلَتْ شيعَتُنا بِكُلِّ بَلْدَةٍ ، وَقُطِّعَتِ الأَيْدي وَالأَرْجُلُ عَلَى الظِّنَّةِ ، وَكانَ مَنْ يُذْكَرُ بِحُبِّنا وَالْإِنْقِطاعِ إِلَيْنا سُجِنَ أَوْ نُهِبَ مالُهُ أَوْ هُدِّمَتْ دارُهُ»**[1].

١٣ ـ عدم قبول شهادة الشيعي

أصدر الطاغية ابن هند أمراً إلى القضاة وسائر المحاكم الرسميّة بعدم قبول شهادة الشيعة[2]، وقد ردّت شهادة الشيعة ولم تقبل في المحاكم وسائر الدوائر الرسميّة ، ومن الجدير بالذكر أنّ محمّد بن مسلم فقيه الشيعة شهد في واقعة ، فقال له القاضي:

---

(١) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ١١: ٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد: ٣: ١٥.

لا تقبل شهادتك لأنك شيعي . فبكى محمّد فقال له القاضي : لِمَ تبكي ؟

- لأنك ظلمت الشيعة بنسبتي إليهم ، وهذه الطائفة لا ينتمي إليها إلّا الأنبياء وأوصياء الأنبياء ».

فبهر القاضي وقال : هكذا فلتكن الرجال .[1]

١٤ ـ هدم دور الشيعة

من الإجراءات القاسية التي اتّخذها ابن هند ضدّ الشيعة أنّه أمر بهدم دورهم ، فقامت جلاوزته بهدم داركلّ من يتولّى أئمّة أهل البيت عليهم السلام ، الذين فرض الله تعالى مودّتهم في كتابه ، قال تعالى : ﴿ **قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[2] .

هذه بعض الإجراءات القاسية التي اتّخذها معاوية كسرى العرب ضدّ أولياء آل محمّد صلى الله عليه وآله ، وقد شاهدها المختار فزادته إيماناً بحقّ العترة الطاهرة التي أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهّرها تطهيراً .

ونكتفي بهذا العرض الموجز عن بعض الأحداث الجسام التي جرت في عصر المختار ، وكان لا بدّ من ذكرها لأنّ لها الأثر التامّ في المقوّمات العقائدية للمختار .

---

(١) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام : ٢ : ٣٧٨ .

(٢) الشورى ٤٢ : ٢٣ .

كابوس رهيب

من أقسى الأحداث المروعة التي امتحن بها المسلمون امتحاناً عسيراً، وارهقوا بها إرهاقاً شديداً هي حكومة يزيد التي أغرقت العالم الإسلامي بالويلات والخطوب.

إنّ حكومة يزيد امتداد لحكومة أبيه معاوية الذي ملأ حياة المسلمين ظلماً وجوراً. وحكومة ولده من متمّمات طغيانه وظلمه، إنّه على علم لا يخامره شكّ بفسق ولده وأنّه لا يملك أيّة صفة كريمة أو نزعة شريفة تؤهّله لقيادة الأُمّة. فقد كان ـ فيما أجمع عليه المؤرّخون ـ فاسقاً، فاجراً، قد خلد إلى اللهو والطرب والمجون، بالإضافة إلى إلحاده ومروقه من الدين. فلم يملك في أعماق نفسه أي رصيد من الإيمان بالله تعالى. فقد نشأ نشأة جاهليّة صرفة، وتربّى في أحضان أُمّه البدويّة المطلقة التي كانت مع أفراد أُسرتها تعتنق المسيحيّة. ففي كنفها قطع دور طفولته وصباه حتّى أشرف على ميعة الشباب. وقد تربّى بعادات أخواله فشرب الخمر، وتعاطى المنكرات من اللهو والعبث والمجون.

إنّ معاوية يعلم فسق ولده، ولكنّه لا يرى ذلك منكراً. وفي المثل العربي: «الولد على سرّ أبيه».

لقد تقمّص يزيد الخلافة بعد هلاك أبيه فسار بسيرته، وسيرة جدّه أبي سفيان من العداء للإسلام، والتنكّر لقيمه وأعرافه. وهذا عرض موجز لبعض نزعاته وصفاته:

١ ـ الإلحاد

والشيء المؤكّد أنّ يزيد كان جاهليّاً لم يؤمن بالله تعالى، ولا باليوم الآخر، ويدعم ذلك أنّه لمّا جلس على دست الحكم وأباد العترة الطاهرة أخذ يهزّ أعطافه جذلاناً مسروراً قد تمنّى حضور القردة من أسلافه ليرون أنّه أخذ بثأرهم في واقعة بدر وجعل يترنّم بأبيات ابن الزبعرى:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

فَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرِحاً ... ثُمَّ قالُوا: يا يَزيدُ لَا تُشَلْ

قَدْ قَتَلْنا الْقَرْمَ مِنْ ساداتِهِمْ ... وَعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلا ... خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ

لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَلْ[1]

حكى هذا الشعر إلحاده ومروقه من الدين وعداءه العارم لسيّد المرسلين، وما لنا نتمسّك على كفره بهذا الشعر، وهناك أقوى الأدلّة وأكثرها وضوحاً، وهو إبادته لعترة النبيّ ﷺ في صعيد كربلاء، وانتهاكه لحرمة مدينة رسول الله ﷺ في واقعة الحرّة، فقد قتل الآلاف من المسلمين، وأباح الأعراض لجيشه، واقترف جميع ما حرّم الله تعالى من إثم.

٢ ـ الإدمان على الخمر

وظاهرة أخرى من نزعات يزيد وصفاته الإدمان على الخمر، وقد أسرف فيه إلى

---

(١) الفتوح: ٥: ١٢٩. مقاتل الطالبيّين: ١١٩. مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي: ٢: ٥٩. البداية والنهاية: ٨: ١٩٤، ٢٠٦، ٢٢٧. شذرات الذهب: ١: ٦٩.

حدّ كبير، فكان في معظم أوقاته ثملاً لا يعي من السكر. وقد هام في حبّه ونظم الكثير من الشعر فيه. كان منه:

أقولُ لصَحبٍ ضَمَّتِ الكأْسُ شَملَهُمْ ... وَداعي ضَبابات الهَوى يَترنَّمُ
خُذوا بِنَصيبٍ مِنْ نَعيمٍ وَلَذَّةٍ ... فَكُلٌّ وإنْ طالَ المَدى يَتَصَرَّمُ[1]

وجلس يوماً على الشراب وعن يمينه الفاجر الخبيث ابن زياد بعد قتله لسيّد الشهداء، قال:

اسْقِني شُربَةً تُرَوّي عِظامي ... ثُمَّ مِلْ فَاسْقِ مِثلَها ابْنَ زِياد
صاحِبُ السِّرِّ والأَمانَةِ عِندي ... ولِتَسديد مَغْنَمي وَجِهادي[2]

حكى هذا الشعر شكر يزيد وولاءه لصاحب سرّه الفاجر زميله في الكفر والإلحاد ابن زياد الذي اقترف أفظع جريمة في الأرض، وهي قتل ريحانة رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام.

ومن شعر هذا الفاجر في الخمر ما رواه المؤرّخون أنّ معاوية كان يتجسّس عليه فسمعه ينشد هذه الأبيات:

وَلا تَتْرُكوا يَومَ السُّرورِ إلى غَدٍ ... فَإنَّ غَداً يَأْتي بِما لَيْسَ يُعلَمُ
أَلا إنَّ أَهْنا العَيشِ ما سَمِحَتْ بِهِ ... صُروفُ اللَّيالي والحَوادِثُ تُؤْمُ

فأقرّه معاوية على فسقه، وقال: والله لا كنت عليه ولا نغصت عليه عيشه، ولم يردعه ولم ينغّص عليه عيشه لأنّه لم يقترف إثماً حسب ما يدين به من دين الجاهليّة. وقد شاع بين الناس ذلك.

---

(١) الكنى والألقاب: ٢: ٥٣.

(٢) مروج الذهب: ٢: ٧٤.

٣ـ الشغف بالقرود

كان يزيد شديد الولع بالقرود، وكان له قرد يأنس به قد جعله بين يديه، وكنّاه بأبي قيس، ويسقيه فضل كأسه من الخمر ويسكر معه، ويقول: هذا شيخ بني إسرائيل أصابته خطيئة فمسخ، ومن شدّة أنسه به كان يجلسه على أتان وحشيّة، ويرسله مع الخيل في حلبة السباق، وقد سبق الخيل مرّة فسرّ به وقال:

تَمَسَّكْ أَبا قيسٍ بِنَضْلِ زِمامِها ... فَلَيسَ عَلَيها إنْ سَقَطتَ ضَمانُ
فَقَدْ سَبَقَتْ خَيلَ الجَماعَةِ كُلِّها ... وَخَيلَ أَميرِ الْمُؤمِنينَ إتانُ[١]

وأرسله مرّة في حلبة السباق فطرحته الريح، فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه في مقابر المسلمين وأوعز إلى رعيّته التي تربّت بتربيته أن تعزّيه بمصابه الأليم بهذه الفاجعة التي رزئ بها، ورثاه بهذه الأبيات:

كَمْ مِنْ كِرامٍ وَقَومٍ ذو مُحافظَةٍ ... إلّا أَتانا يعزّي في أَبي قَيس
شَيخُ العَشيرةِ أمضاها وأَحملُها ... عَلَى الرُّؤوسِ وَفي الأَعْناقِ وَالرّيسِ
لا يُبعِدُ اللهُ قَبراً أنتَ ساكِنُهُ ... فيهِ جَمالٌ وفيهِ لِحيَةُ التَّيسِ[٢]

وشاع بين الناس شغف يزيد بالقرود فهجاه رجل من تنوخ بهذين البيتين:

يَزيدٌ صديقُ القِردِ مَالَ جِوارَنا ... فَحَنّ إلى أَرضِ القُرودِ يَزيدُ
فَتبّاً لِمَنْ أمْسى عَلَينا خَليفَةً ... صَحابَتُهُ الأَدنَونَ مِنهُ قُرودُ[٣]

أمثال هذا الفاسق الفاجر يكون حاكماً على المسلمين ووليّاً لأُمورهم، وهذا

---

(١) الأخبار الموفقيّات: ٣٤٦. أنساب الأشراف: ٥: ٣٠٠. مروج الذهب: ٣: ٦٨.
(٢) جواهر المطالب: ٢: ٣٠٤.
(٣) أنساب الأشراف: ٥: ٣٠٠.

من النتائج المباشرة لما أرادته الطغمة الحاكمة من قريش من صرف الخلافة عن أهل البيت، فقد رفعت شعارها «أبت قريش أن تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد»، فكان هذا المستهتر صورة لإرادة قريش.

٤ ـ الولع بالصيد

من صفات يزيد الولع بالصيد، ووصفه المؤرّخون بأنّه كان كلفاً بالصيد لاهياً به، وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة، ويهب لكلّ كلب عبداً يخدمه»[1].

٥ ـ الفسق والفجور

وتظاهر يزيد بالفسق والفجور، وكان من فسقه أنّه زنى بعمّته وغيرها من المحرّمات، فقد أطلق العنان لشهواته وفجوره، ولم يحفل بما حرّم الله تعالى من الموبقات.

هذه بعض نزعات يزيد، وهي وصمة عار وخزي عليه وعلى أبيه وعلى من مكّنهما من رقاب المسلمين.

مع الإمام الحسين عليه السلام

حينما تقلّد يزيد زعامة الأُمّة كان همّه الوحيد إرغام الإمام الحسين عليه السلام لأخذ البيعة منه أو تصفيته جسدياً، وذلك لعلمه بما يتمتّع به الإمام من مكانة اجتماعيّة وقداسة في نفوس المسلمين، فهو حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن وصيّه، وباب مدينة علمه، بالإضافة إلى ما اتّصف به الإمام من الصفات الرفيعة، كالعلم والتقوى والحكمة والإحاطة بما تحتاج إليه الأُمّة في أنظمتها السياسيّة والإداريّة،

---

(١) الفخري: ٤٥.

وهو الشخص الوحيد الذي ترنو إليه الأبصار، وتتطلّع إليه الأُمّة لقيادتها الروحيّة والزمنيّة. كما أنّ يزيد يعلم بوضاعته وحقارته وخساسته، فهو حفيد أبي سفيان العدوّ الأوّل للنبيّ ﷺ، الذي أشعل الحروب عليه، وهو ابن معاوية الذي ابتزّ سلطان المسلمين، وحكم فيهم بغير ما أنزل الله تعالى، ونشر فيهم الظلم والجور، وأنّه لا يملك أي صفة شريفة تؤهّله لزعامة الأُمّة. كلّ هذه الأُمور أمام يزيد، وليس عنده من وسيلة لبسط سلطانه إلّا بالقوّة وسفك الدماء، وهذا ما اختاره، واختاره أبوه من قبل في حربه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

رسالة يزيد للوليد

وبادر يزيد لإصدار أوامره المشدّدة إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة، وهو من عتلاء بني أُميّة يأمره بإرغام المعارضين لسلطانه، وأخذ البيعة منهم بالقوّة والقهر، وفي طليعتهم الإمام الحسين عليه السلام، فإن أبوا فليبعث برؤوسهم إليه.

أرأيتم هذا الاستهتار والاستهانة بأرواح الناس!

أرأيتم هذه النفس الشريرة التي لا تفقه إلّا إراقة الدماء!

استدعاء الإمام الحسين عليه السلام

أرسل الوليد في منتصف الليل[1] خلف الإمام الحسين ليأخذ البيعة منه سرّاً ولا يعلم بها أحد، ويتخلّص من تبعات التكليف الملقى عليه، ومضى الإمام تحفّ به الفتية الطاهرة من الأُسرة النبويّة، واستقبله الوليد بكلّ حفاوة وتكريم، ولمّا استقرّ المجلس بالإمام أخبره بهلاك الطاغية معاوية، وبادره الإمام قائلاً: **لِماذا دَعَوْتَني؟**

- دعوتك للبيعة ليزيد.

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ١٦٠.

فرمقه الإمام بطرفه وقال له: «**إنَّ مِثْلي لا يُبايِعُ سِرّاً، فَإذا خَرَجْتَ إلَى النّاسِ وَدَعَوْتَهُمْ لِلْبَيْعَةِ دَعَوْتَنا مَعَهُمْ**».

إنّما طلب الإمام تأجيل الدعوة حتّى يعقد الاجتماع العامّ فيعلن رفضه للبيعة، وقد فهم مروان بن الحكم مقصد الإمام فصاح بالوليد: **لئن فارقك الساعة، ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، حتّى تكثر القتلى بينك وبينه، احبسه، فإن بايع وإلّا ضربت عنقه**. ووثب أبو الأحرار فردّ بعنف وشجاعة مقالة هذا الإنسان الوضيع قائلاً: **يابْنَ الزَّرْقاءِ أَأَنْتَ تَقْتُلُنِي أَمْ هُوَ؟ كَذَبْتَ وَاللهِ وَلَؤُمْتَ**.

ثمّ التفت إلى الوليد فأخبره عن عزمه وتصميمه على رفض البيعة ليزيد قائلاً: **أَيُّهَا الْأَمِيرُ إنّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلائِكَةِ، وَمَحَلُّ الرَّحْمَةِ، بِنا فَتَحَ اللهُ وَبِنا خَتَمَ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فاسِقٌ، شارِبُ الْخَمْرِ، قاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلي لَا يُبايِعُ مِثْلَهُ، وَلكِنْ نُصْبِحُ وَتُصْبِحُونَ، وَنَنْظُرُ وَتَنْظُرُونَ أَيُّنا أَحَقُّ بِالْخِلافَةِ وَالْبَيْعَةِ**.

وأعلن الإمام تصميمه الكامل على رفض البيعة ليزيد، وبيّن الأسباب في ذلك، فذكر الصفات الماثلة في يزيد وهي لا تجعله أهلاً للخلافة، وذكر من صفاته:

١ - إنّ يزيد يشرب الخمر.

٢ - إنّه فاسق.

٣ - قاتل النفس المحرمة.

٤ - إنّه متجاهر بالفسق والفجور، ومع اجتماع هذه الصفات الشريرة فكيف يبايعه الإمام وهو ابن رسول الله ﷺ، وسيّد شباب أهل الجنّة، وأمل هذه الأُمّة، ومصدر كرامتها وشرفها الذي عقدت عليه الآمال في إنقاذها من هذا الكابوس المظلم.

إنّ البيعة ليزيد والرضا بحكومته خيانة للأُمّة، واعتداء على مكوّناتها الدينيّة

والاجتماعيّة . فلذا رفض الإمام بيعته رفضاً تامّاً . وصمّم على التضحية في سبيل الله تعالى .

الإمام مع ابن الحنفيّة

ولمّا عزم الإمام على مغادرة المدينة دعا أخاه محمّد المعروف بابن الحنفيّة وأوصاه بوصيّته الخالدة التي تحدّث فيها عن بعض الأسباب التي حفّزته إلى ثورته الكبرى على النظام القائم . وجاء فيها :

«إنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلا بَطِراً ، وَلا مُفْسِداً وَلا ظالِماً . وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدّي . أُريدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْروفِ . وَأَنْهىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَأَسيرَ بِسيرَةِ جَدّي وَأَبي عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِب . فَمَنْ قَبِلَني بِقَبولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ . وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ أَصْبِرُ حَتّىٰ يَقْضِيَ اللهُ تَعالىٰ بَيْني وَبَيْنَ الْقَوْمِ . وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ » .

من أجل هذه الأهداف النبيلة فجّر الإمام ثورته الكبرى التي أعزّ الله بها الإسلام ، وأوقفت المدّ الجاهلي بقيادة يزيد بن معاوية . ولا بدّ من وقفة قصيرة عن الأسباب التي تحدّث عنها الإمام في ثورته على يزيد ، وهي :

١ ـ طلب الإصلاح

السبب الأوّل في ثورة الإمام هو طلب الإصلاح للمسلمين ، وهو شامل للإصلاح الاجتماعي الذي أجهز عليه الأمويّون ، فأغرقوا البلاد بالرذائل والمنكرات . كما إنّه شامل للإصلاح الاقتصادي . فقد جهد الأمويّون على نهب ثروات الأُمّة وإنفاقها على فجورهم ولياليهم الحمراء .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

السبب الثاني في ثورة أبي الأحرار هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

فقد أمات الأمويّون المعروف ، وأحيوا المنكر ، وأعادوا مآثم الحياة الجاهليّة بجميع صورها وأبعادها ، ومن هو أوْلى من الحسين عليه السلام بتغيير الأوضاع السائدة في أمّة جدّه .

٣ ـ السير بمسيرة جدّه وأبيه

السبب الثالث في نهضة أبي الأحرار أن يسير بسيرة جدّه وأبيه لا يحيد عنها ، وقد اتّسمت سيرتهما بالإخلاص للحقّ ، والإيمان بالله تعالى ، وفي هذه المادة تعريض ضمني بسيرة الخلفاء الذين ابتزّوا الخلافة من الإمام أمير المؤمنين سيّد العترة الطاهرة ، ورفعوا شعارهم « لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد » ، وكان من النتائج المروعة لخلافتهم أنّ القيادة الإسلاميّة آلت إلى يزيد وأمثاله من اللصوص والخونة ، ورؤوس أبناء النبيّ صلى الله عليه وآله تُرفع على الرماح ، وعقائل الوحي سبايا يُطاف بهنّ في الأقطار والأمصار ، هذه هي النتائج المباشرة لإقصاء الخلافة عن أهل البيت .

٤ ـ إحياء الحقّ

السبب الرابع في ثورة أبي الشهداء إحياء الحقّ ، فلم يكن له أي مكسب غيره ، فقد ثار لينشر في دنيا الإسلام الحقّ ، ويميت الباطل ، ومن أروع قوله : « **فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبولِ الْحَقِّ فَاللهُ تَعالىٰ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ** » .

لقد حدّد خروجه على يزيد بأنّه من أجل إقامة الحقّ وإماتة الباطل .

لم يقل الإمام إنّه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابن وصيّه ، وسيّد شباب أهل الجنّة ، كلّ هذه العناوين طواها الإمام ، ودعا الأمّة باسم الحقّ إلى مناصرته والالتفاف حوله .

وغادر إمام الحقّ وسيّد المصلحين المدينة عاصمة جدّه ، واتّجه صوب مكّة لينشر كلمة الإسلام ، ويدعو الناس إلى مقاومة حكومة يزيد .

وسار موكب الإمام يطوي البيداء لا يلوي على شيء، وقد أحاطت بالإمام موجات من الأسى والشجون لأنه يرى الباطل قد استحكم، وشريعة الله تعالى قد أُهملت، وأنّه لا بدّ أن يتقدّم التضحية لإنقاذ الإسلام، وأن تكون تلك التضحية فريدة في نوعها لم يتقدم مثلها أحد من العظماء والمصلحين.

وكان سيّد الشهداء عليه السلام يتمثّل في مسيرته إلى مكّة بشعر يزيد بن المفرغ:

لَا ذَعَرْتُ السَّوامَ فِي فَلَقِ الصُّبْـ ـــحِ مُغِيراً وَلَا دُعِيْتُ يَزِيدا
يَوْمَ أُعْطى مِنَ المَنِيَّةِ ضَيماً وَالْمَنَايَا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدا[1]

لقد صمّم على التضحية ليقول كلمة الحقّ، ويسمو بدين الله، ويحطّم الباطل.

وسلك الإمام في مسيره إلى مكّة الطريق العامّ الذي يسلكه العامّة، فأشار عليه بعض أصحابه أن يحيد عنه ـ كما فعل ابن الزبير ـ مخافة أن يدركه الطلب من قِبل السلطة، فأجاب بعزم راسخ واطمئنان: «**لَا وَاللهِ! لَا فارَقْتُ هٰذَا الطَّرِيقَ أَبَداً أَوْ أَنْظُرَ إِلىٰ أَبْياتِ مَكَّةَ، أَوْ يَقْضِيَ اللهُ فِي ذٰلِكَ ما يُحِبُّ وَيَرْضىٰ**».

لم يضعف عزم الإمام ولم يوهن إرادته ما يواجهه من الأحداث الجسام لأنه على بصيرة من أمره.

في مكّة

ووصلت قافلة الإمام إلى مكّة ليلة الجمعة لثلاث ليال مضين من شعبان[2]، وقد حطّت في دار العباس بن عبدالمطّلب[3]، واستقبل الإمام استقبالاً حاشداً

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٢٥٣. الكامل في التاريخ: ٤: ١٧.

(٢) المنتظم: ٥: ٣٢٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق: ١٣: ٦٨.
وفي الأخبار الطوال: ٢٠٩: «إنّه نزل في شعب عليّ».

من المكّيين وغيرهم، وكانوا يختلفون إليه بكرة وعشيّة، ويسألونه عن أحكام دينهم، وأحاديث نبيّهم، وهم يسجّلون ما يفتي به، وما يرويه عن جدّه ﷺ، وكان بجميل منطقه، وسموّ أخلاقه مهوى القلوب، وهام الناس بحبّه ومودّته.

فزع السلطة

وفزعت السلطة المحلّيّة من قدوم الإمام إلى مكّة، وخافت أن يتّخذها مقرّاً سياسيّاً لدعوته وقاعدة لإعلان الثورة على حكومة دمشق، فخفّ عمرو بن سعيد الأشدق حاكم مكّة مسرعاً نحو الإمام وقال له: ما أقدمك؟

- عائذاً بِاللهِ وَبِهٰذَا الْبَيْتِ.

ورفع الأشدق بالوقت رسالة إلى سيّده يزيد يخبره بقدوم الإمام إلى مكّة، واختلاف الناس إليه، وإجماعهم على الاحتفاء به وتعظيمه، وأنّه يشكّل خطراً على حكومته، وخاف يزيد، فرفع مذكّرة إلى ابن عبّاس يتهدّد الإمام ويتوعّده، وأجابه ابن عبّاس أنّه ليس من نيّة الإمام مقاومته، وقد ذكرنا المذكّرتين في كتابنا (حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام).

اضطراب العراق

كان العراق ناقماً على حكومة معاوية، وكارهاً لها؛ لأنّ معاوية ساسهم بالعنف والظلم والجور، وسلّط عليهم الارهابي المجرم زياد بن أبيه، فأخذ البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر، وصبّ عليهم وابلاً من العذاب الأليم، وكانوا يترقّبون هلاك معاوية بفارغ الصبر، ولمّا علموا بهلاكه سادت فيهم الأفراح والمسرّات.

ولم ترضَ شيعة الكوفة بحكم يزيد ورفضت سلطانه، وذلك لما عرف به من الفسق والفجور، ورأوا أنّ الخروج على سلطانه واجب ديني هم مسؤولون عنه.

مؤتمر الشيعة

عقدت الشيعة مؤتمراً بقيادة زعيمها سليمان بن صرد الخزاعي[١]. فافتتح المؤتمر بخطاب جاء فيه: «إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكّة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ومجاهدو عدوّه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والقتل فلا تغرّوا الرجل في نفسه».

وتعالت الأصوات من كلّ جانب: «نقتل أنفسنا دونه، بل نقاتل عدوّه»[٢].

قرارات المؤتمر

وقرّر المؤتمر بالإجماع ما يلي:

١ ـ خلع بيعة يزيد.

٢ ـ إرسال وفد للإمام يدعونه للقدوم لمصرهم لتشكيل حكومةإسلاميّةبقيادته.

٣ ـ بعث رسائل للإمام من مختلف الطبقات لدعوة الإمام لقيادة الأُمّة، وفعلاً فقد نفّذوا ذلك.

الوفد

أوفدت الكوفة كوكبة من الشيعة بقيادة عبدالله الجدلي، لدعوة الإمام عليه السلام

---

(١) سليمان بن صرد الخزاعي:

أبو مطرّف سليمان بن صُرَد بن الجون بن أبي الجون عبد العزّى بن منقذ السلولي الخزاعي، من الزعماء القادة.

انظر في ترجمته: الإصابة: ٣: ١٤٤، رقم ٣٤٧٠. تاريخ الإسلام: ٣: ١٧. الأعلام: ٣: ١٢٧.

(٢) الإرشاد: ٢: ٣٦.

للقدوم إليهم.

الرسائل

أمّا المختار فكان العضو البارز من الذين كاتبوا الإمام بالقدوم للكوفة لإنقاذ المسلمين من ظلم الأمويّين وجورهم في الفترة التي عاشوها أيّام زياد بن أبيه.

وعلى أي حال، فقد عمد الكوفيّون إلى تدوين مئات الرسائل للإمام أظهروا فيها الطاعة والإخلاص له، ومن بينها هذه الرسالة وجاء فيها بعد البسملة:

«من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة[1]، ورفاعة بن شدّاد[2]، وحبيب بن مظاهر وشيعته والمسلمين من أهل الكوفة.

أمّا بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوّك العنيد ـ يعني معاوية ـ الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها، واغتصبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضاً منها، ثمّ قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله تعالى دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا امام غيرك فاقبل لعلّ الله تعالى يجمعنا معك على الحقّ، والنعمان بن بشير ـ حاكم الكوفة ـ في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة،

---

(١) **المسيّب بن نجبة بن ربيعة بن رباح الفزاري:**
تابعي، كان رأس قومه، شهد القادسيّة وفتوح العراق، كان مع عليّ عليه السلام في مشاهده، سكن الكوفة، وكان بطلاً متعبّداً ناسكاً.
انظر: الكامل في التاريخ: ٤: ٦٨ ـ ٧١. الإصابة: ٦: ٢٣٤، رقم ٨٤٤٢. الأعلام: ٧: ٢٢٥ و ٢٢٦.

(٢) **رفاعة بن شدّاد:**
كان من القرّاء والشجعان المقدّمين، من أهل الكوفة، من شيعة عليّ عليه السلام.
انظر: الكامل في التاريخ: ٤: ١٥٨ ـ حوادث سنة ٦٦هـ. الأعلام: ٣: ٢٩.

ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام ، إن شاء الله تعالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[١]

حكت هذه الرسائل إجماع أهل الكوفة من الشيعة وغيرهم على كراهتهم للأمويّين ، ورغبتهم الملحّة في أن يتولّى الإمام قيادة الحكم ، وقد عرضنا لتحليلها في كتابنا (الشهيد الخالد مسلم بن عقيل).

ومن بين الرسائل هذه الرسالة التي وقّعها عصابة من المجرمين ، أمثال شبث بن ربعي ، وحجّار بن أبجر العجلي ، ويزيد بن الحارث الشيباني ، وعزرة بن قيس الأحمسي ، وعمرو بن الحجّاج الزبيدي ، وهؤلاء قادة الفرق التي حاربت الإمام الحسين عليه السلام ، وقد جاء في رسالتهم إليه :

« أمّا بعد ، فقد اخضرّ الجناب ، وأينعت الثمار ، وطمت الجمام[٢] ، فأقدم على جندٍ لك مجنّدة ، والسلام »[٣].

حكت هذه الرسالة عن شيوع الأمل وازدهار الحياة وتهيئة البلاد عسكريّاً للأخذ بحقّ الإمام ، ولكنّها كانت مستعدّة لتقطيع أوصاله ، واجتثاث أهل بيته وأصحابه .

ومن هذه الرسائل هذه الرسالة ، جاء فيها بعد البسملة : « إنّا قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة ، فأقدِمْ علينا فنحن في مائة ألف سيف ، فقد فشا فينا الجور ، وعُمِل فينا بغير كتاب الله وسنّة نبيّه ... »[٤].

ومن بنودها :

---

(١) الإمامة والسياسة : ٢ : ٣ و ٤ .

(٢) الجمام : الآبار .

(٣) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول : ٧٤ .

(٤) تذكرة الخواص : ٢٤٨ .

« فأنت أحقّ بهذا الأمر من يزيد وأبيه ، الذي غصب الأمّة ، وشرب الخمور ، ولعب بالقرود والطنابير ، وتلاعب بالدين »[١].

وتتابعت الرسائل على الإمام تحثّه على القدوم إليهم ، ويقول المؤرّخون : إنّه اجتمع عنده في ثوب متفرّقة اثنا عشر ألف كتاب ، كما وردت قائمة بأسماء مائة وأربعين ألف شخص سجّلوا فيها بيعتهم ونصرتهم للإمام حال وصوله إلى مصرهم[٢].

وبمزيد من الأسى أنّ هؤلاء كانوا ينتظرون قدوم الإمام إليهم ليسقوا سيوفهم من دمه ، ويطعموا رماحهم ونبالهم من لحمه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

إيفاد مسلم للعراق

وتتابعت رسل أهل الكوفة كالسيل نحو الإمام الحسين عليه السلام ، وهي تحثه على المسير إليهم ، وتحمّله المسؤوليّة أمام الله تعالى والأُمّة إن لم يستجب لهم ، فرأى الإمام أن يختار للقيام بهذه المهمّة سفيراً له يعرفه باتّجاهات أهل الكوفة ، وصدق نيّاتهم ، فإن رأى منهم نيّة صادقة فيأخذ منهم البيعة ثمّ يتوجّه لهم .

واختار الإمام لسفارته ثقته وكبير أهل بيته مسلم بن عقيل ، وهو من أفذاذ الهاشميّين في وفور عقله وشجاعته ، وصدق إيمانه ، وعرض الإمام عليه السلام ذلك عليه فاستجاب له وزوّده بهذه الرسالة :

« مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلى مَنْ بَلَغَهُ كِتابِي هٰذا مِنْ أَوْلِيائِهِ وَشِيْعَتِهِ فِي الْكُوفَةِ ، سَلامٌ عَلَيْكُمْ .

أَمّا بَعْدُ :

---

(١) تذكرة الخواص : ٢٤٨ .

(٢) الوافي في المسألة الشرقيّة : ١ : ٤٣ .

فَقَدْ أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ ، وَفَهِمْتُ ما ذَكَرْتُمْ مِنْ مَحَبَّتِكُمْ بِقُدُومِي عَلَيْكُمْ ، وَأَنا باعِثٌ إِلَيْكُمْ بِأَخِي ، وَابْنِ عَمِّي ، وَثِقَتِي مِنْ أَهْلِي مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ لِيَعْلَمَ لِي كُنْهَ أَمْرِكُمْ ، وَيَكْتُبَ إِلَيَّ بِما يَتَبَيَّنُ لَهُ مِن اجْتِماعِكُمْ ، فَإِنْ كانَ أَمْرُكُمْ عَلَى ما أَتَتْنِي بِهِ كُتُبُكُمْ ، وَأَخْبَرَتْنِي بِهِ رُسُلُكُمْ أَسْرَعْتُ بِالْقُدُومِ إِلَيْكُمْ وَالسَّلامُ»[١].

أسند الإمام سفارته لهذا القطر الذي يرزح تحت الحكم الأموي إلى أسمى شخصيّة في الأُسرة الهاشميّة ، وهو مسلم ابن عمّه ، ليكتشف الأوضاع الراهنة والتيّارات السياسيّة ، ومن المؤكّد أنّ هذه الأُمور الحسّاسة البالغة الأهميّة إنّما تناط بشخص له الدراية التامّة في شؤون المجتمع ، ومعرفة اتّجاهاتهم الفكريّة والسياسيّة .

وغادر مسلم مكّة ليلة النصف من رمضان[٢] ، وعرج في طريقه إلى المدينة ، فصلّى في مسجد النبيّ ﷺ ، وطاف بضريحه ، وودّع أهله وأصحابه ، وكان ذلك هو الوداع الأخير ، ثمّ اتّجه صوب العراق وأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتّى انتهى إلى الكوفة .

في ضيافة المختار

اختار مسلم النزول في بيت المختار الثقفي لأنّه من أشهر أعيان الشيعة ، وأحد سيوفهم ، ومن أحبّ الناس وأنصحهم وأخلصهم للإمام الحسين عليه السلام ، كما كانت له مكانة اجتماعيّة متميّزة في أوساط الكوفيّين ، وبالإضافة لذلك فقد كان مسلم صديقاً حميماً للمختار ، وبينهما روابط ومودّة منذ نعومة أظفارهما[٣] .

---

(١) الأخبار الطوال : ٢١٠ .

(٢) مروج الذهب : ٣ : ٥٤ .

(٣) الإرشاد : ٢٢٦ . الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٦٧ .

وفتح المختار أبواب داره لمسلم، وقابله بمزيد من الحفاوة والتكريم وحسن الضيافة، ودعا الشيعة علناً للتشرّف بمقابلته، ومبايعته للإمام الحسين عليه السلام. فأقبلوا إليه من كلّ حدب وصوب، وهم يعلنون فرحتهم الكبرى بقدومه.

وظهر أمر المختار في الكوفة، وانتشر صيته عند الشيعة، وعرفته الأوساط الرسميّة والمقرّبة للسلطة بأنّه داعية آل النبيّ صلى الله عليه وآله، وأنّ له مركزاً مهمّاً عندهم، فقد أصبحت داره المقرّ الرئيسي للدعوة الحسينيّة.

وبذل المختار جميع جهوده ومساعيه للدعوة لمبايعة الإمام الحسين عليه السلام، كما كان يشيع وينشر فضائل آل البيت عليهم السلام، ويقدح في أعدائهم الأمويّين، ويذكر مثالبهم، وما اقترفوا به من الخسّة ولؤم الطبع.

البيعة للإمام الحسين عليه السلام

واثالت الشيعة في بيت المختار على مسلم تبايعه للإمام الحسين عليه السلام وهي إنّما تبايع الله ورسوله، وكانت صيغة البيعة متّسمة بهذا الطابع: الدعوة إلى كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسمة الغنائم بين المسلمين بالسويّة، وردّ المظالم إلى أهلها، والمسالمة لمن سالموا، والمحاربة لمن حاربوا.

وكان حبيب بن مظاهر الأسدي هو الذي يأخذ البيعة من الناس للحسين عليه السلام.

عدد المبايعين

وتسابقت جماهير الكوفة إلى بيت المختار برغبة ملحّة إلى البيعة للإمام الحسين عليه السلام على يد سفيره مسلم بن عقيل، وهذه بعض أقوال المؤرّخين في عددهم:

١ ـ أربعون ألفاً.

٢ ـ ثلاثون ألفاً.

٣ ـ ثمانية وعشرون ألفاً.

٤ ـ ثمانية عشر ألفاً حسب ما جاء في رسالة مسلم إلى الإمام الحسين عليه السلام.

٥ ـ اثنا عشر ألفاً[١].

رسالة مسلم للإمام الحسين عليه السلام

ووثق مسلم بنجاح الدعوة، وهاله ما رأى من مظاهر الولاء والتعظيم للإمام الحسين عليه السلام، فكتب له رسالة يستحثّه على القدوم إلى الكوفة، وهذا نصّها بعد البسملة:

أَمَّا بَعْد.. فإنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وقَدْ بايعني مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ أَلْفاً، فَعَجِّلِ الْإِقْبالَ حِيْنَ يأْتيكَ كِتابِي، فإنَّ النّاسَ كُلَّهُمْ مَعَكَ، لَيْسَ لَهُمْ فِي آلِ معاوِيَةَ رَأْيٌ وَلَا هَوىً، وَالسَّلام[٢].

كتب هذه الرسالة قبل شهادته ببضع عشرة ليلة[٣]، ولم يرَ مسلم أيّة مقاومة لسفارته ودعوته، وإنّما رأى ترحيباً حارّاً، وإجماعاً شاملاً على البيعة للإمام الحسين عليه السلام وتعطّشاً لرؤيته.

وحمل كتاب مسلم كوكبة من الشيعة إلى الإمام عليه السلام، منهم البطل المعظّم عابس الشاكري، وهو من خيار الشيعة، ومن أفذاذهم، ولازم الإمام في قدومه إلى العراق حتّى استشهد بين يديه.

---

(١) مروج الذهب: ٣: ٥٤. الصراط السوي في مناقب آل النبيّ: ٨٦ من مصورات مكتبة الإمام الحكيم العامّة. تهذيب التهذيب: ٢: ٣٠٢. الإصابة: ٢: ١٥. الحدائق الورديّة: ١: ١١٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٢٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٢٤.

وقدم الوفد إلى مكّة فسلّموا الرسالة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وذكروا ما لاقاه مسلم من الترحيب والحفاوة والتكريم، وإجماع الكوفيّين على مبايعته. فعند ذلك تهيّأ الإمام للسفر إلى الكوفة.

موقف النعمان بن بشير

كان موقف النعمان بن بشير حاكم الكوفة من الثورة متّسماً بالضعف والتسامح؛ لأنه كان يقيم في نفسه البغض ليزيد لبغضه للأنصار، وهو منهم، ولأنّ المختار الذي احتضن الثورة ومن أبرز أعضائها كان زوجاً لبنته عمرة، فلذا كان متسامحاً مع الثورة، ولم يتّخذ موقفاً متّسماً بالشدّة معها، وقد عابه الحزب الأموي على موقفه المتّسم باللين والتسامح، وعدم الاهتمام بسلامة الدولة وحفظ النظام، فأجابهم: «لأن أكون ضعيفاً وأنا في طاعة الله تعالى أحبّ لي من أن أكون قويّاً في معصية الله تعالى، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله»[1].

وقد أعطى موقعه الشيعة قوّة للتمرّد ودفعهم للعصيان على الحكومة، وكان من الطبيعي أن ينتقم منه عملاء الحكم الأموي، فقد ساءهم إلى حدّ بعيد هذا التسامح مع الثوّار، وعدم اتّخاذه أي مكروه معهم.

وممّا زاد في فزع الحزب الأموي تجاوب الرأي العامّ مع مسلم، واتّساع نطاق الثورة، وغضّ السلطة المحلّيّة النظر عنها، فلم تقم بأي إجراء ضدّ الثوّار.

وسارع الحزب إلى الاتّصال بحكومة دمشق، وطلبوا منها اتّخاذ الإجراءات الفوريّة قبل أن ينفصل العراق عن دمشق ويأخذ استقلاله.

ورفع الحزب الأموي مجموعة من الرسائل إلى يزيد كان منها هذه الرسالة:

«أمّا بعد.. فإنّ مسلم بن عقيل قدم الكوفة، وبايعته الشيعة للحسين بن عليّ،

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣: ٢٠٦.

فإن كان لك بالكوفة حاجةٌ فابعث إليها رجلاً قوياً ينفّذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوّك ، فإنّ النعمان بن بشير رجلٌ ضعيف أو هو يتضعّف »[١].

تدعو هذه الرسالة إلى إقصاء النعمان عن مركزه واستبدال شخص آخر مكانه يكون شديد البطش ، ويعمل بقسوة وصرامة للقضاء على الثورة ، وكتب بمثل هذه الرسالة عمر بن سعد ، وعمارة بن عقبة .

وفزع يزيد من توالي الرسائل عليه من عملائه في العراق بشأن البيعة للإمام الحسين عليه السلام من العراقيّين ، وهو يعلم أنّ العراق مركز القوّة العسكريّة في العالم الإسلامي ، وأنّ المواطنين فيه يبغضونه ويبغضون أباه لما صبّ عليهم من صنوف الظلم والجور ، كما إنّ الأغلبيّة الساحقة في العالم الإسلامي ناقمة عليه لما عرف به من الفسق والفجور ومتعطّشة لحكم الإمام الحسين عليه السلام ليقيم فيهم الحقّ والعدل .

وعلى أي حال ، فقد شعر يزيد بالخطر الذي يهدّد حكومته فاستدعى سرجون الرومي ، وكان متمرّساً في الشؤون السياسيّة ، كما كان مستودعاً لأسرار أبيه ، ومن أدهى السياسيّين وأكثرهم مكراً ، ولمّا مثل عنده عرض عليه الأمر ، فتأمّل سرجون ثمّ أدلى برأيه باستعمال ابن زياد ، وأخرج له عهداً بولاية الكوفة من أبيه معاوية ، فاستجاب له يزيد بالرغم من كراهيّته له ولأبيه ، لأنّه أشار على معاوية أن لا يرشّح يزيداً للخلافة وذلك لخلاعته ومجونه ، واستجاب يزيد لرأي سرجون ، فكتب لابن زياد بولاية الكوفة ، فقد خضع العراق بأسره لحكمه ، وحينما تسلّم ولاية العهد طار فرحاً ، فقد تمّت بوارق آماله بعد ما كان مهدّداً بالعزل عن ولاية البصرة ، واتّجه فوراً نحو الكوفة ، وأقام أخاه عثمان بن زياد والياً على البصرة مكانه ، وأخذ الطاغية يجد في السير لا يلوي على شيء ، وقبل أن يصل إلى الكوفة لبس ثياباً يمانيّة وعمامة سوداء ليوهم مَن رآه أنّه الإمام الحسين عليه السلام ، ودخل الكوفة .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٦٧ .

في قصر الإمارة

وأسرع الخبيث نحو قصر الإمارة ، وقد علاه الفزع ، وساءه ما رأى من فرح الناس بقدوم الإمام الحسين ظانّين أنّه هو ، ولمّا انتهى إلى باب القصر وجده مغلقاً ، والنعمان بن بشير حاكم الكوفة مشرف من أعلى القصر ، وقد توهّم أنّ القادم هو الحسين لأنّ أصوات الناس قد تعالت بالترحيب به ، وانبرى النعمان قائلاً : ما أنا بمؤدٍّ إليك أمانتي يابن رسول الله ، وما لي في قتالك من إرب .

ولمس ابن مرجانة في كلامه الضعف والانهيار ، فصاح به : افتح لا فتحت ، فقد طال ليلك .

ولمّا تكلّم عرفه بعض من كان خلفه فصاح بالناس : إنّه ابن مرجانة وربّ الكعبة ، وحينما سمعوا ذلك جفلوا وخفّوا مسرعين إلى دورهم .

وبادر ابن مرجانة إلى بيت المال فاستولى على ما فيه ، وكذلك استولى على السلاح ، وجمع حوله عملاء الحكم الأموي من ابن سعد وشمر بن ذي الجوشن وشبث بن ربعي وغيرهم ، وأخذوا يحدّثونه عن الثورة ، ويعرّفونه بأعضائها البارزين ، وقد اشتركوا معه في وضع المخطّطات الهادفة للقضاء على الثورة .

خطاب ابن زياد في الكوفة

وعندما انبثق نور الصبح أمر ابن مرجانة بجمع الناس في المسجد الأعظم ، فاجتمعت فيه الجماهير ، فاعتلى المنبر وخطب الناس قائلاً :

أمّا بعد .. فإنّ أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ ولّاني مصركم وثغركم ، وفيئكم ، وأمرني بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مريبكم ، فأنا لمطيعكم كالوالد البرّ الشفيق ، وسيفي وسوطي على من ترك أمري ، وخالف عهدي ، فَلْيَبْقِ امرؤ على نفسه ، الصدق ينبئ

عنك لا الوعيد»[١].

نشر الارهاب

وعمد ابن زياد إلى نشر الارهاب وإشاعة الخوف، فقد أمر بجمع الناس في الجامع وخطب فيهم قائلاً:

«أمّا بعد.. فإنّه لا يصلح هذا الأمر إلّا في شدّة من غير عنف، ولين من غير ضعف، وأن آخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والوليّ بالوليّ».

فانبرى إليه أسد بن عبدالله المرّي فردّ عليه قائلاً: «أيّها الأمير، إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٢]، إنّما المرء بجدّه، والسيف بحدّه، والفرس بشدّه، وعليك أن تقول وعلينا أن نسمع، فلا تقدّم فينا السيّئة قبل الحسنة».

وأفحم ابن زياد، فنزل من المنبر ودخل قصر الإمارة[٣].

واضطرّ مسلم إلى تغيير مقرّه، وإحاطة نشاطه السياسي بكثير من السرّ والكتمان، فقد شعر بالخطر الذي داهمه بقدوم الطاغية ابن مرجانة، الذي لا يتورّع من اقتراف الجريمة، ولا يرجو لله وقاراً، ولا يؤمن بالقيم الإسلاميّة.

وأجمع رأي مسلم على الالتجاء إلى دار هاني بن عروة، فهو سيّد المصر، وزعيم مراد، وعنده من القوّة ما يضمن حماية الثورة والتغلّب على الأحداث، ومضى مسلم إلى دار هذا الزعيم العربي الكبير، فرحّب به، واستقبله بحفاوة بالغة[٤].

---

(١) مقاتل الطالبيّين: ٩٧.

(٢) الأنعام ٦: ١٦٤. الإسراء ١٧: ١٥. فاطر ٣٥: ١٨. الزمر ٣٩: ٧.

(٣) الفتوح: ٥: ٦٧.

(٤) وجاء في الأخبار الطوال: ٢١٣: «أنّ هانئاً قد ثقل عليه استجارة مسلم به، وأنّه استجاب ⇦

واستقرّ مسلم في دار هاني واتّخذها مقرّاً للثورة. وقد احتفّ به هاني ودعا القبائل إلى مبايعته. فبايعه في منزله ثمانية عشر ألفاً[١]. وقد أخبر مسلم هانئاً بمخطّطات الثورة. وأحاطه علماً بدعاتها وأعضائها البارزين.

التجسّس على مسلم عليه السلام

وأخطر عمليّة قام بها ابن زياد هي التجسّس على مسلم ومعرفة أنشطته السياسيّة. والوقوف على نقاط القوّة والضعف عنده. وقد اختار للقيام بهذه المهمّة معقلاً. وكان من صنائعه وتربّى في كنفه. وكان فطناً ذكيّاً. فأعطاه ثلاثة آلاف درهم وأمره أن يتّصل بالشيعة ويعرّفهم أنّه من أهل الشام. وكانت الصبغة السائدة على الموالي المودّة لأهل البيت. حتّى ينفي بذلك الريب عنه. وقال له: «إذا التقى بهم فليعرّفهم أنّه ممّن أنعم الله تعالى عليه بحبّ أهل البيت. وأنّه قد بلغه قدوم رجل منهم إلى الكوفة يدعو للإمام الحسين. وعنده مال يريد أن يعطيه له حتّى يستعين به على حرب عدوّه».

ومضى معقل في مهمّته فدخل الجامع وجعل يفحص ويسأل عمّن له معرفة بمسلم بن عقيل. فأُرشد إلى مسلم بن عوسجة. فانبرى إليه وأظهر له الإخلاص والولاء للعترة الطاهرة وقال له: «إنّي أتيتك لتقبض منّي هذا المال. وتدلّني على صاحبك لأُبايعه. وإن شئت أخذت بيعتي قبل لقائي له».

فخدع مسلم وقال له: «لقد سرّني لقاؤك إيّاي لتنال الذي تحبّ. وينصر الله تعالى بك أهل نبيّه. وقد ساءني معرفة الناس إيّاي قبل أن يتمّ مخافة هذا الطاغية

⇦ له على كره». ولا صحّة لهذا القول. فإنّ مسلماً لو شعر بتثاقله لما التجأ إليه. وذلك لما عرف به مسلم من الإباء وعزّة النفس. وقد عرضنا لذلك في كتابنا (حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام).

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٢٤.

وسطوته».

ثمّ أخذ منه البيعة والمواثيق المغلّظة على النصيحة وكتمان الأمر[١].

وفي اليوم الثاني أدخله على مسلم فبايعه وأخذ منه المال وأعطاه إلى أبي ثمامة الصائدي، وكان قد عيّنه لقبض المال ليشتري به السلاح والكراع، وكان معقل أوّل من يدخل على مسلم، وآخر من يخرج منه، ووقف على جميع أسرار الثورة وشؤونها، وكان ينقل ذلك بتحنّظ إلى ابن زياد حتّى أحاطه علماً بجميع المخطّطات السياسيّة للثورة[٢].

رسل الغدر لهاني

وأنفق ابن زياد ليله ساهراً مع حاشيته في كيفيّة اعتقال هاني الذي هو أعظم شخصيّة في المصر، فإذا قضى عليه فقد استأصل الثورة، وطوى معالمها، أمّا إلقاء القبض عليه فهو غير ممكن، فرأوا أنّ خير وسيلة أن يدعوه إلى زيارة ابن زياد، ويلقي عليه القبض في القصر، وشكّل لذلك وفداً يتألّف من الذوات التالية:

١ ـ حسّان بن أسماء بن خارجة زعيم فزارة.

٢ ـ محمّد بن الأشعث زعيم كندة.

٣ ـ عمرو بن الحجّاج.

ولم يكن لحسّان بن أسماء علم بالمؤامرة التي دُبّرت ضدّ هاني، وإنّما كان يعلم بها محمّد بن الأشعث وعمرو بن الحجّاج، وأقبل الوفد إلى هاني وهم يحملون له عواطف ابن زياد ورغبته الملحّة في زيارته.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٦٩.

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٥.

اعتقال هاني

وأسرع الوفد إلى هاني عشيّة فوجدوه جالساً على باب داره ، فسلّموا عليه وقالوا له : ما يمنعك من لقاء الأمير ، فإنّه قد ذكرك ، وقال : لو أعلم أنّه شاكٍ لعدته .

واعتذر بأنّه مريض ، فأبطلوا ذلك وقالوا : إنّه قد بلغه أنّك تجلس كلّ عشيّة على باب دارك .

وأخذوا يلحّون عليه في زيارته ، فاستجاب لهم على كره ، ودعا بثيابه فلبسها ، وركب بغلته ، فلمّا كان قريباً من القصر أحسّ بالشرّ ، ورام الانصراف إلى منزله ، إلّا أنّ الوفد أخذوا يلحّون عليه حتّى أدخلوه على ابن مرجانة ، فاستقبله بعنف وشراسة قائلاً : أتتك بخائن رجلاه يسعى .

وكان شريح إلى جانبه فقال له :

أُرِيـــدُ حَـياتَهُ وَيُـرِيدُ قَـتْلي عَذِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرادٍ[1]

وذعر هاني فقال له : ما ذاك أيّها الأمير ؟

فصاح به الطاغية بعنف وغضب : إيه يا هانئ ما هذه الأُمور التي تتربّص في دارك لأمير المؤمنين وعامّة المسلمين ؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك ، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وظننت أنّ ذلك يخفى عليّ ، فأنكر هاني ذلك وقال : ما فعلت ذلك ، وما مسلم عندي .

- بلى قد فعلت .

---

(١) الأغاني : ١٥ : ١٦٦ . والبيت لعمرو بن معدي كرب .

وروي : « أُريد حياته ... » كما في الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٨ . تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٢٧٢ .

وطال النزاع بينهما ، فدعا ابن زياد معقلاً ، فلمّامثل عنده قال لهاني : أتعرف هذا ؟

- نعم .

وسقط ما في يد هاني وأطرق برأسه إلى الأرض ، ولكن سرعان ما سيطرت شجاعته على الموقف فقال لابن مرجانة : لقد كان الذي بلغك ولن أُضيّع يدك عندي تشخص لأهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم ، فإنّه جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك[١] .

فثار ابن زياد وصاح به : والله لا تفارقني حتّى تأتيني به .

وسخر منه هانئ وقال له : لا آتيك بضيفي أبداً .

وطال النزاع بينهما ، فانبرى مسلم بن عمرو الباهلي وطلب من ابن مرجانة أن يخلي بهاني ليقنعه ، فأذن له بذلك ، فقام وخلا بهاني بناحية بحيث يراهما الطاغية ويسمع صوتهما إذا علا ، وحاول الباهلي إقناع مسلم ، فلم يجد إلى ذلك سبيلاً ، وقال الباهلي لابن زياد : أيّها الأمير ، أبى أن يسلّم مسلماً أو يُقتل[٢] .

وصاح الطاغية بهاني : تأتيني به أو لأضربنّ عنقك .

فلم يعبأ هاني وقال : إذن تكثر البارقة حولك .

فثار الطاغية وانتفخت أوداجه وصاح به : وا لهفاه عليك أبا لبارقة تخوّفني ؟[٣]

وصاح بغلامه مهران قائلاً : خذه ، فأخذ بضفيرتي هاني ، وكان بيد الطاغية قضيب فاستعرض به وجهه ، وضربه ضرباً عنيفاً حتّى كسر أنفه ونثر لحم خدّيه وجبينه على لحيته ، حتّى تحطّم القضيب ، وسالت الدماء على ثيابه ، وعمد هاني

---

(١) مروج الذهب : ٣ : ٧ . سمط النجوم العوالي : ٣ : ٦١ .

(٢) الفتوح : ٥ : ٨٣ .

(٣) **البارقة** : السيوف التي يلمع بريقها .

إلى قائم سيف شرطي محاولاً اختطافه ليدافع به عن نفسه، فصاح به ابن زياد: أحروري أحللت بنفسك، وحلّ لنا قتلك.

ثمّ أمر باعتقاله في أحد بيوت القصر.

وانتهى خبر هاني إلى أُسرته، فاندفعت بثاقل كالحشرات إلى القصر، وقد قاد جموعها الانتهازي عمرو بن الحجّاج، الذي لم يعرف الشرف والكرامة، فأقبل ومعه مذحج وقد رفع عقيرته لتسمع السلطة مقالته.

«أنا عمرو بن الحجّاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة».

وحفل كلامه بالخنوع والمسالمة للسلطة، وليس فيه أي اندفاع لإنقاذ هاني، والتفت ابن زياد إلى شريح القاضي الذي هو من عملاء السلطة، فقال له: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثمّ اخرج فأعلمهم أنّه حيّ، ودخل شريح على هاني، فلمّا بصر به صاح: «يا للمسلمين، أهلكت عشيرتي؟ أين أهل الدين؟ أم أين أهل المصر؟ أيخلّوني وعدوّهم.

وسمع هاني الأصوات فالتفت إلى شريح قائلاً: يا شريح، إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة أنفر أنقذوني[1].

وخرج شريح، وكان عليه عين لابن زياد مخافة أن يدلي بشيء مخالف لرغبات السلطة، فقال شريح: قد نظرت إلى صاحبكم وأنّه حيّ لم يُقتل.

وبادر عمرو بن الحجّاج قائلاً: إذا لم يقتل فالحمد لله[2].

وولّوا منهزمين كأنّما أُتيح لهم الخلاص من السجن وهم يصحبون العار والخزي.

---

(١) و (٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧١.

ثورة مسلم عليه السلام

ولمّا علم مسلم ما جرى على هاني بادر لإعلان الثورة على ابن زياد لعلمه أنّه سيلاقي نفس المصير الذي لاقاه هانئ، فأوعز إلى عبدالله بن حازم أن ينادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور، فاجتمع إليه أربعة آلاف[١]، وقيل: أربعون ألفاً[٢]، وهم ينادون بشعار المسلمين: «يا منصور أمت».

ونظّم مسلم جيشه، وأسند القيادات العامّة فيه إلى من عرفوا بالكفاءة والولاء لأهل البيت، وهم:

١ ـ عبدالله بن عزيز الكندي، جعله على ربع كندة.

٢ ـ مسلم بن عوسجة، جعله على ربع مذحج.

٣ ـ أبو ثمامة الصائدي، جعله على ربع قبائل تميم وهمدان.

٤ ـ العبّاس بن جعدة الجدلي، جعله على ربع المدينة.

واتّجه مسلم بجيشه نحو قصر الإمارة، فأحاطوا به[٣]، وكان ابن زياد قد خرج من القصر ليخطب الناس على إثر اعتقاله لهاني، فدخل إلى المسجد وصعد إلى المنبر، وقد احتفّ به أصحابه وبأيديهم أعمدة الحديد، وشهر بعضهم السيوف للحفاظ عليه، فخطب في أهل الكوفة قائلاً: «أمّا بعد! يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله، وطاعة أئمّتكم ولا تختلفوا، ولا تفرّقوا فتهلكوا، وتذلّوا، وتندموا، وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أُعذر من أنذر»[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧١.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢: ٣٥١.

(٣) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٥٧٤. الفتوح: ٥: ٤٩.

وما أتمّ الطاغية خطابه حتّى سمع الضجّة وأصوات الناس قد علت، فسأل عن ذلك فقيل له: «الحذر، الحذر، هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه».

واختطف الرعب لونه، وسرت الرعدة بأوصاله، فأسرع نحو القصر يلهث كالكلب من شدّة الخوف، وهذا هو سمت الجبناء، فدخل القصر، وأغلق أبوابه خائفاً وجلاً، ولم يكن عنده قوّة تحميه سوى ثلاثين رجلاً من الشرطة، وعشرين رجلاً من وجوه الكوفيّين، وتزايد أتباع مسلم حتّى بلغوا ثمانية عشر ألفاً حسب ما يقول بعض المؤرّخين[١].

حرب الأعصاب

ولم يجد الطاغية وسيلة تمكّنه من إنقاذه سوى حرب الأعصاب والدعايات الكاذبة التي تلعب دوراً مهمّاً في مجريات الأحداث، وقد انتدب لهذه المهمّة عملاءه وعبيده، وهم:

١ ـ كثير بن شهاب.

٢ ـ القعقاع بن شور الذهلي.

٣ ـ شبث بن ربعي التميمي.

٤ ـ حجّار بن أبجر.

٥ ـ شمر بن ذي الجوشن الضبابي[٢].

واندسّ هؤلاء في صفوف جيش مسلم، فأخذوا يشيعون الارهاب، وينشرون الأراجيف، ويظهرون لهم الإخلاص والولاء الكاذب خوفاً عليهم من جيوش أهل

---

(١) أنساب الأشراف: ٢: ٣٣٨. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٥٧٤. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧١.
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٥٧٥. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٢.

الشام، وكان ممّا قاله كثير بن شهاب: «أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه الجنود - يعني جنود يزيد - قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير - يعني ابن زياد - العهد لئن أقمتم على حربه، ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام من غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا تبقى فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت أيديها»[1].

وكان هذا التهديد كالصاعقة على رؤوس الكوفيّين، فقد حمل ألواناً مروّعة من الارهاب، وهي:

١ - التهديد بجيوش أهل الشام التي زحفت لمحاربتهم، وهي ستشيع فيهم القتل والتنكيل والدماء، وهو ادّعاء كاذب لا نصيب له من الصحّة.

٢ - حرمانهم من العطاء، وقد كانت الكوفة حامية عسكريّة تعيش على رواتب الدولة.

٣ - تجهيزهم وبعثهم في مغازي أهل الشام، وزجّهم في ساحات الحروب.

٤ - إنذارهم بأنّ ابن زياد سوف يعلن الأحكام العرفيّة في مصرهم، ويسوسهم بسياسة الارهابي أبيه زياد الذي أشاع فيهم الموت والدمار.

ومن ألوان الإشاعات التي خدعت جماهير أهل الكوفة ما ادّعوه: «يا أهل الكوفة، اتّقوا الله، ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هذه الأمّة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموها، وجرّبتم شوكتها»[2].

وعملت هذه الاشاعات في نفوس الكوفيّين ما تحمله الأسلحة المبيدة،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٠٨.

(٢) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام: ٢: ٣٨٤.

فقد انهارت أعصابهم، وغشيتهم أمواج من الموت، وراح بعضهم يقول لبعض: «ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام؟ ينبغي لنا أن نقيم في منازلنا، وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم»[١].

وكانت المرأة تأتي إلى ابنها أو أخيها أو زوجها، وهي مصفرّة الوجه، قد سرت الرعدة من الخوف في أوصالها فتتوسّل له وتقول: «الناس يكفونك»[٢].

وكان الرجل يأتي إلى ولده وأخيه فيملأ قلبه رعباً وخوفاً، ويأخذ بيده إلى منزله، وقد نجح ابن زياد إلى حدّ بعيد في هذه الدعايات المضلّلة، كما نجح معاوية في رفع المصاحف في صفّين.

وسيطر ابن زياد على الموقف سيطرة كاملة، ولم تعد هناك أيّة قوّة تحمي مسلماً وتذبّ عنه، فقد خلع الكوفيّون ما كانوا يرتدونه من التمرّد على بني أُميّة والطاعة للإمام الحسين عليه السلام، فانهزموا شرّ هزيمة سجّلها التاريخ في جميع الأحقاب والآباد، فقد راح بعضهم يقول لبعض: «ما لنا والدخول بين السلاطين»[٣].

ولم يمضِ قليل من الوقت حتّى انهزم معظم الكوفيّين، وولّوا الأدبار منهزمين في أثناء الصلاة، وما إن أنهى ابن عقيل صلاته حتّى لم يبق أي أحد منهم يدلّه على الطريق الذي يسلكه، وبقي حيراناً لا يدري إلى أين مسراه ومولجه[٤].

في ضيافة طوعة

وسار القائد العظيم سليل هاشم وفخر عدنان متلدداً في أزقّة الكوفة وشوارعها،

---

(١) الفتوح: ٥: ٥٠.

(٢) الإرشاد / المفيد: ٢: ٥٤. الكامل في التاريخ: ٣: ٢٧٢. تاريخ أبي الفداء: ١: ٢٦٤.

(٣) الإمامة والسياسة: ٢: ٣.

(٤) مقامات الحريري: ١: ١٩١.

يلتمس داراً لينفق فيها بقيّة الليل . وقد خلت المدينة من المارّة ، وعادت كأنّها واحة موحشة قد أعلنت فيها حالة الطوارئ والمنع من التجوّل ، فقد أسرع كلّ واحد من جيشه وأعوانه إلى داره ، وأغلق عليه الأبواب مخافة أن تعرفه مباحث الأمن ، وأعوان ابن زياد أنّه كان مع ابن عقيل فتلقي عليه القبض .

وأحاطت بالبطل تيّارات مذهلة من الألم كاد قلبه أن ينفجر منها ، وقد هاله هذا الانقلاب الهائل من أصحابه الذين أجمعوا على التنكّر له ونكث بيعته ، واستبان له أنّه ليس في المصر رجل شريف يقوم بضيافته وحمايته ، وسار لا يدري أين مأواه ومولجه وهو حائر الفكر ، خائر القوى ، حتّى انتهى إلى سيّدة يقال لها طوعة ، هي سيّدة من في المصر رجالاً ونساءً ، بما تملكه من نبل وشهامة وشرف ، وكانت أُمّ ولد للأشعث بن قيس أعتقها وتزوّجها أسيد الحضرمي ، فولدت منه بلالاً ، وكانت السيّدة تنتظر ابنها وتترقّب طلوعه خوفاً عليه من الأحداث الرهيبة التي حلّت في المصر ، ولمّا رآها مسلم بادرها بالسلام ، فردّت عليه السلام بتثاقل ، وقالت له : ما حاجتك ؟

- اسقني ماءً .

وسارعت إلى دارها وجاءته بالماء ، وشرب منه ثمّ جلس ، فارتابت منه وقالت له : ألم تشرب الماء ؟

- بلى .

- اذهب إلى أهلك ، إن مجلسك مجلس ريبة[1] .

وسكت مسلم ، فأعادت عليه القول ، وهو ساكت ، وكرّرت عليه القول ثالثاً ، فلم يجبها ، فذعرت منه وصاحت به : سبحان الله ! إنّي لا أحلّ لك الجلوس على بابي .

---

(١) تذهيب التهذيب : ١ : ١٥١ .

ولمّا حرّمت عليه الجلوس لم يجد بدّاً من الانصراف ، فقال لها بصوت خافت حزين النبرات : ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة ، فهل لك من أجر ومعروف ، ولعلّي أكافئك بعد اليوم .

وشعرت المرأة بأنّ الرجل غريب ، وأنّ له شأناً كبيراً ومكانة عظيمة يستطيع أن يجازيها على معروفها بالبرّ والإحسان ، فبادرته قائلة : ما ذاك ؟

فقال لها وعيناه تفيضان دموعاً : أنا مسلم بن عقيل كذّبني القوم وغرّوني .

فقالت المرأة بدهشة وإكبار : أنت مسلم بن عقيل .

نعم[1] .

وانبرت السيّدة بكلّ خضوع وإجلال فسمحت لضيفها الكبير بالدخول لمنزلها ، وقد حازت الشرف والسيادة على جميع قبائل الكوفة ، فقد آوت باحترام بالغ سليل هاشم ، وسفير ريحانة رسول الله ﷺ ، فأدخلته في بيت في دارها غير البيت الذي تأوي إليه ، وجاءته بالضياء والطعام ، فأبى أن يأكل ، فقد مزّق الأسى قلبه الشريف ، وأيقن بالرزء القاصم ، وكان أكثر ما يشغل فكره ، ويقضّ مضجعه كتابه للحسين بالقدوم إلى الكوفة ، وما سيجري عليه من الخطوب إن قدم لها .

ولم يمض قليل من الوقت حتّى جاء بلال ابن السيّدة طَوعة ، فرآها تكثر الدخول والخروج إلى ذلك البيت ، وهي غارقة بالفرح والاعتزاز بضيفها العظيم ، واستراب ولدها من ذلك فسألها عن الأمر ، فأنكرته ، فألح عليها ، فأخبرته بالأمر بعد أن أخذت منه العهود بكتمان الأمر وعدم إفشائه .

وطارت نفس الخبيث فرحاً وسروراً ، وأنفق ليله ساهراً يترقّب بفارغ الصبر انبثاق نور الصبح ليخبر السلطة بمقام مسلم عندهم ، حتّى ينال الجائزة والقرب من الدولة

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٢ .

وقد تنكّر هذا الخبيث للأخلاق العربيّة التي تلتزم بحماية الضيف وتكريمه، وإنّا لنتّخذ من هذه البادرة وغيرها من الأحداث التي جرت مقياساً لانهيار الأخلاق العربيّة والأعراف الإنسانيّة في ذلك المجتمع الذي تنكّر لجميع الأخلاق.

وعلى أي حال، فقد طوى مسلم ليلته بأسى وحزن قد ساورته الهموم والآلام، وكان فيما يقول المؤرّخون قد طوى شطراً من الليل في الصلاة وقراءة القرآن، وقد خفق في بعض الليل فرأى عمّه الإمام أمير المؤمنين فأخبره بسرعة اللحاق به، فزاده ذلك يقيناً بقرب الأجل المحتوم منه.

ولمّا انهزمت جيوش مسلم وولّت الأدبار على أعقابها تصحب معها العار والخزي، راح الطاغية يتأكّد من نجاح مخطّطه، فعهد إلى أذنابه وعملائه بالإشراف على أجنحة المسجد خوفاً من أن يكون قد كمن فيه الجيش، وأخذوا يدلون القناديل، ويشعلون النار في القصب، ويدلونها بالحبال فتصل إلى صحن الجامع، وفعلوا ذلك في جميع جنبات الجامع، فلم يروا إنساناً، فعند ذلك اطمأنّ الطاغية بفشل ثورة مسلم ونجاح مخطّطه[١].

إعلان حالة الطوارئ

وأعلن الطاغية في الصباح حالة الطوارئ في جميع أنحاء المصر، وأوعز إلى المدير العامّ لشرطته الحصين بن نمير بتنفيذ ما يلي:

١ ـ تفتيش جميع الدور والمنازل في الكوفة تفتيشاً دقيقاً للبحث عن مسلم، وإلقاء القبض عليه.

٢ ـ الإحاطة بالسكك والطرق في الداخل والخارج لئلّا يهرب منها مسلم.

٣ ـ الاعتقالات الواسعة لجميع المؤيّدين للثورة، والمتجاوبين معها، أو لمن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢٠٩ و ٢١٠.

كانت له أدنى ميول مع الخطّ العلوي. وقد ألقت الشرطة القبض على هؤلاء الأشخاص:

- عبدالأعلى بن يزيد الكلبي.
- عمارة بن صلخب الأزدي.
- عبدالله بن نوفل بن الحارث.
- المختار الثقفي.
- الأصبغ بن نباتة.
- الحارث بن الأعور الهمداني[1].

راية الأمان

وكان الطاغية ماهراً بأساليب المكر والخداع التي استطاع بها أن يتغلّب على الأحداث ويدمّر أقوى ثورة التفت حولها الجماهير، وآمنت بها، للحصول على غد مشرق لها، فقد أوعز إلى عميله محمّد بن الأشعث الذي هو من أسرة ما أنجبت شريفاً قطّ أن يرفع راية الأمان، ويعلن إلى الملأ أنّ من انضمّ إليها كان آمناً. أمّا أسباب ذلك ـ فيما نحسب ـ فهي:

١ ـ التعرّف على العناصر الموالية لمسلم لإلقاء القبض عليها.

٢ ـ إعلان الانتصار الكامل على الثورة والقضاء عليها.

٣ ـ شلّ حركة المقاومة، وإظهار السيطرة الكاملة عليها في الشارع، بل وفي جميع مناحي البلاد.

ورفعت راية الأمان فسارع الكوفيّون زرافات ووحداناً، فانضمّوا إليها لنفي

---

(١) أنساب الأشراف: ٥: ٣١٤.

التهمة ، وإظهار الولاء والإخلاص للحكم القائم[١].

انضمام المختار لراية الأمان

اتّفق المختار مع مسلم على إعلان الثورة في وقت خاصّ ، ومضى إلى ضيعة له خارج الكوفة مستنجداً بجماعة ، فاستجابوا له ، وقدم بهم إلى الكوفة في الوقت الذي فشلت فيه الثورة لأنّها في غير وقتها ، فقد اضطرّ مسلم لتقديمها حينما حبس هاني ، ولمّا رأى المختار أنّ الأوضاع قد تغيّرت ، وأنّ الثورة قد منيت بالانقلاب ، وأنّ ابن زياد قد سيطر على الموقف سيطرة كاملة ، اضطرّ إلى الانضمام إلى راية الأمان للحفاظ على حياته ، ولكنّ ذلك لم يخف على عملاء السلطة ، فقد ألقوا القبض عليه وزجّوه في السجن[٢].

خطبة ابن زياد

ولمّا أيقن ابن زياد بفشل ثورة مسلم ، وتبدّل قوّاته المسلّحة ، أمر بجمع الناس في الجامع ، فتوافدت الجماهير وقد علاها الفزع ، وخيّم عليها الخوف ، واعتلى الطاغية المنبر وهو يرعد ويبرق ، ويتوعّد ويتهدّد ، فقال : « أيّها الناس ، إنّ مسلم بن عقيل أتى هذه البلاد ، وأظهر العناد ، وشقّ العصا ، وقد برئت الذمّة من رجل أصبناه في داره .. ومن جاء به فله ديته ، اتّقوا الله عباد الله ، والزموا طاعتكم وبيعتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم ، والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية ، وله في كلّ يوم حاجة مقضيّة »[٣].

وحفل هذا الخطاب بالقسوة والصرامة ، وفيه هذه النقاط :

---

(١) هذه البحوث مستقاة من الجزء الثاني والثالث من حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام .

(٢) مقتل الخوارزمي : ٢ : ١٧٧ و ١٧٨ .

(٣) الفتوح : ٤ : ٩٠ .

١ ـ الحكم بالإعدام على كلّ من آوى مسلماً ، مهما كانت لذلك الشخص من مكانة اجتماعية .

٢ ـ إنّ دية مسلم تكون لمن جاء به .

٣ ـ إنّ من ظفر بمسلم وجاء به ، فإنّ السلطة تمنحه عشرة آلاف درهم .

٤ ـ إنّ من يأتي بمسلم يكون من المقرّبين عند يزيد ، وينال ثقة السلطة به .

٥ ـ تكافئ السلطة من جاء به بقضاء حاجة له في كلّ يوم .

وتمنّى أكثر أولئك الأوغاد الظفر بمسلم لينالوا المكافأة من ابن مرجانة والتقرّب لسيّده يزيد .

الإفشاء بمسلم عليه السلام

وطالت تلك الليلة على بلال ابن السيّدة الفاضلة طوعة ، فقد ظلّ يترقّب بفارغ الصبر طلوع الصبح ليخبر السلطة بمقام مسلم عندهم ، ولم يرقد تلك الليلة من الفرح والسرور ، ولمّا طلع الصبح بادر إلى القصر بحالة تلفت النظر إليها من الدهشة ، فقصد عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث الذي هو من أعمدة السلطة الأمويّة ، فسارّه وأخبره بمكان مسلم عندهم ، فأمره عبدالرحمن بالسكوت لئلّا يسمع أحد بخبره فيبادر بإخبار ابن زياد فينال الجائزة منه ، وأسرع عبدالرحمن إلى أبيه محمّد بن الأشعث فأخبره بالأمر ، وفطن ابن زياد إلى خطورة الأمر فبادر قائلاً لابن الأشعث : ما قال لك عبدالرحمن ؟

ـ أصلح الله الأمير ، البشارة العظمى .

ـ ما ذاك ؟ مثلك من بشّر بخير .

ـ إنّ ابني هذا أخبرني أنّ مسلم بن عقيل في دار طوعة .

وطار الطاغية فرحاً ، وانبرى يمنّي ابن الأشعث بالمال والجاه قائلاً : قم فأتني به ،

ولك ما أردت من الجائزة والحظّ الأوفى. لقد تمّت آمال ابن مرجانة من الظفر بسليل هاشم ليجعله قرباناً إلى أمويّته اللصيقة التي نحر في سبيلها هو وأبوه جميع القيم الإنسانيّة، واستباحا كلّ ما حرّمه الله تعالى من إثم وفساد.

الهجوم على مسلم

وندب الطاغية الدنس لحرب مسلم كلاً من عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطته، ومحمّد بن الأشعث[1]. وضمّ إليهما ثلاثمائة رجل من صناديد الكوفة وفرسانها وأقبلت تلك الوحوش القذرة لحرب القائد العظيم الذي أراد أن يحرّرهم من الذلّ والعبودية، وينقذهم من الظلم والجور..

ولمّا سمع وقع حوافر الخيل وزعقات الرجال علم أنّه قد أُتي إليه، فبادر إلى فرسه فأسرجه وألجمه وصبّ عليه درعه، وتقلّد سيفه، والتفت إلى السيّدة طوعة فشكرها على ضيافتها، وأخبرها أنّ ما أتي إليه من قِبل ابنها الخبيث اللئيم قائلاً:

«رَحِمَكِ اللهُ، وجزاكِ عَنّي خَيْراً.. اعْلَمي إنّما أُتِيتُ مِنْ قِبَلِ ابْنِكِ»[2].

واقتحم عليه الجيش، فشدّ عليهم بشجاعة لا توصف، فكان يضربهم بسيفه، فينفرّون منهزمين أمام بطل هاشم، ثمّ عادوا إليه فأخرجهم من الدار وانطلق نحوهم ببسالة في السكة شاهراً سيفه لم يختلج في قلبه رعب ولا خوف، فجعل يحصد رؤوسهم بسيفه، ويجندل أبطالهم، وقد أبدى من البطولات النادرة ما لم يشاهد مثله في جميع عمليّات الحروب، وكان يقاتلهم وهو يرتجز:

هُوَ الْمَوْتُ فَاصْنَعْ وَيْكَ ما أَنْتَ صانِعُ ... فَأَنْتَ بِكَأْسِ الْمَوْتِ لا شَكَّ جارِعُ

---

(١) تذهيب التهذيب: ١: ١٥١.

(٢) الفتوح: ٥: ٩٢ ـ ٩٣.

فَصَبْراً لِأَمْرِ اللهِ جَلَّ جَلالُهُ فَحُكْمٌ قَضاء اللهِ في الْخَلْقِ ذائِعُ[١]

أنت يا سليل هاشم وفخر عدنان لم تحفل بالموت وتجرّعت غصصه برضا وطمأنينة، لم تجزع، ولم تخف. شأن ابن عمّك الحسين الذي استقبل الموت في كربلاء بثغر باسم، ونفس أبيّة كريمة. قد آثرت حدّ السيوف والرماح على الموت بذلّ. لقد أبدى مسلم من رباطة الجأش، وقوّة البأس ما حيّر الألباب وحيّر العقول. فقد قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً[٢] ما عدا الجرحى. وكان من قوّته النادرة التي لم يحدّث التاريخ لها مثيلاً أنّه يأخذ الرجل منهم فيرمي به فوق البيت[٣]. وليس هذا غريباً عليه، فعمّه الإمام عليّ بن أبي طالب أشجع الناس وأقواهم ذراعاً، وأشدّهم عزيمة.

ألوان قاسية من الحرب

واستعمل الأنذال الجبناء ألواناً قاسية من الحرب، كان منها:

١ ـ رميه بالحجارة من أعلى الدور.

٢ ـ القذف بشعل النار من أعلى الدور.

بالإضافة إلى الأسلحة المتعارفة في ذلك العصر من السيوف والرماح والنبال، ولو كانت الحرب معه في ميدان فسيح لأتى عليهم، ولكنّها في الأزقّة والشوارع[٤].

فشل الجيوش عن مقاومته

وعجزت جيوش أهل الكوفة عن مقاومة البطل العظيم، فقد أشاع فيهم القتل

---

(١) و (٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٢١٢.

(٣) الدرّ النضيد: ١٦٤. نفس المهموم: ٥٧.

(٤) المحاسن والمساوئ / البيهقي: ١: ٤٣.

وألحق بهم خسائر فادحة . فاستنجد الخائن الجبان محمّد بن الأشعث بسيّده ابن مرجانة أن يمدّه بالخيل والرجال . فقد عجز عن مقاومة مسلم . ولامه الطاغية قائلاً: سبحان الله ! بعثناك إلى رجل واحد تأتينا به . فثلم في أصحابك هذه الثلمة العظيمة[١].

وثقل هذا التقريع على ابن الأشعث . وراح يشيد ببطولات ابن عقيل قائلاً: أتظنّ أنّك أرسلتني إلى بقّال من بقّالي الكوفة أو جرمقاني من جرامقة[٢] الحيرة . وإنّما بعثتني إلى أسد ضرغام وسيف حسام في كفّ بطل همام من آل خير الأنام[٣].

وأمدّه ابن زياد بقوى مكثّفة من الجيش . فجعل البطل العظيم يقاتلهم وهو يرتجز:

أَقْسَمْتُ لا أُقْتَلُ إِلَّا حُرّاً ... وَإِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ شَيْئاً نُكْرا

كُلُّ امْرِئٍ يَوماً مُلاقٍ شَرّاً ... وَيَخْلِطُ الْبَارِدُ سُخْناً مُرّا

رُدَّ شُعاعُ الشَّمْسِ فَاسْتَقَرّا ... أَخافُ أَنْ أُكْذَبَ أَوْ أُغَرّا[٤]

أمّا أنت يابن عقيل فسيّد الأحرار . وزعيم الأباة . فقد رفعت شعار الكرامة الإنسانيّة . وسجّلت فخراً للإسلام . فإنّك من قادة العظماء . وأمّا خصومك الحقراء الذين بايعوك ثمّ نقضوا بيعتك . وعكفوا عليك يقاتلونك فإنّهم العبيد الحقراء الذين سجّلوا لأنفسهم العار والخزي .

---

(١) الفتوح: ٥: ٦٣.

(٢) **الجرامقة**: قوم من العجم صاروا إلى الموصل.

(٣) الفتوح: ٥: ٩٣.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٨٠.

أمان ابن الأشعث

وعجز ابن الأشعث عن مقاومة مسلم، فعرض عليه الأمان بعد ما سمعه ينشد: «أخافُ أَنْ أُكْذَبَ أَوْ أُغَرّا»، فلم يعن به مسلم، وإنّما مضى يقاتلهم بعنف وضراوة، وقد فرّوا منهزمين بين يديه، وأضرّ به رميه بالحجارة، فقال لهم: وَيْلَكُمْ! ما لَكُمْ تَرْمُونَنِي بِالْحِجارَةِ، كما تُرْمَى الْكُفّارُ! وأنا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْأَبْرارِ. وَيْلَكُمْ أما تَرْعَوْنَ حَقَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَذُرِّيَّتِهِ.

وضاق ابن الأشعث من مسلم، فصاح بالجيش ذروه حتّى أكلّمه، ودنا منه فقال له: يابن عقيل، لا تَقْتُلْ نَفْسَكَ، أنت آمن، ودمك في عنقي.

فلم يحفل به مسلم وردّ عليه قائلاً: يابن الأشعث، لا أعطي بيدي أبداً، وأنا أقدر على القتال، والله لا كان ذلك أبداً.

وحمل مسلم على ابن الأشعث، ففرّ القذر الجبان يلهث كالكلب، وأخذ العطش القاسي من مسلم مأخذاً عظيماً فجعل يقول: «اللّٰهُمَّ إنَّ الْعَطَشَ قَدْ بَلَغَ مِنّي».

لقد كان له أُسوة بابن عمّه سيّد الأحرار الإمام الحسين عليه السلام الذي قتل عطشاناً.

وتكاثرت الجنود على مسلم وقد منيت بالذعر والخوف من هذا الأسد الضرغام، الذي لا يشابهه أحد في شجاعته ومحنته، وصاح ابن الأشعث بالعبيد من جنوده قائلاً: إنّ هذا هو العار والفشل أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع، احملوا عليه بأجمعكم حملة واحدة[1].

وحمل الأرجاس عليه حملة واحدة طعناً بالرماح ورمياً بالحجارة، وضربه الخبيث بكير بن حمران ضربة منكرة على شفته العليا، وأسرع السيف إلى السفلى، وضربه مسلم ضربة أردته إلى الأرض.

---

(١) الفتوح: ٥: ٩٤ و ٩٥.

أسره

وبعدما أُثخن مسلم بالجراح ، وأعياه نزيف الدم ، انهارت قواه وضعف عن المقاومة ، فأسرع إليه رجل من خلفه فطعنه بالرمح طعنة غادرة ، فسقط إلى الأرض ، فأسرعوا إلى أسره ، وحمل فخر العلويّين وسيّد العرب أسيراً إلى أقذر وأخبث إنسان ، وودّ مسلم أنّ الأرض وارته ولا يمثل أمام هذا القذر الخبيث .

مع الباهلي

وجيء بالقائد العظيم أسيراً تحفّ به عبيد ابن مرجانة ، وقد علاهم الفرح والسرور بإحرازهم النصر الذي يرونه ، وقد بلغ العطش من مسلم مأخذاً عظيماً ، فرأى جرّة من الماء ، فقال لمن حوله : اسْقُوني مِنْ هٰذا الْماءِ .

فانبرى إليه لئيم دنس وضيع فقال له : أتراها ما أبردها ؟! والله لا تذوق منها قطرة حتّى تذوق الحميم في نار جهنّم .

ولا حدّ لقذارة الإنسان وضعته ووحشيّته ، فما ضرّ هذا الوغد الزنيم أن يسقي هذا البطل العظيم الماء ، وهو أسير بين أيديهم ، لا يملك من أمره شيئاً ، وكان هذا التردّي والسقوط هو السمت البارز في الأمويّين وأتباعهم الأنذال ، وانبرى مسلم فأراد التعرّف على هذا الإنسان الممسوخ قائلاً له : مَنْ أَنْتَ ؟

فأجابه منتخراً بأنّه من عبيد الأمويّين الأرجاس قائلاً : أنا من عرف الحقّ إذ تركته ، ونصح الأُمّة والإمام إذ غششته ، وسمع وأطاع إذ عصيته ، أنا مسلم بن عمرو الباهلي .

أي حقّ عرفه الباهلي ، الذي غاص في الباطل ، وماج بالإثم ، إنّ من عظيم ما يعتز به أنّه عبد لأرجاس البشريّة بني أُميّة الذين يمثّلون المنكر والإثم ، والذين هم صفحة عار وخزي على البشريّة جمعاء ، ولم يتركه مسلم وإنّما ردّ عليه قائلاً : لِأُمّكَ

الثُّكْلُ . ما أجْفاكَ وَما أقْسَى قَلْبَكَ وَأغْلَظَكَ ؟! أنْتَ يابْنَ باهلة أوْلَى بالْحَميم وَالْخُلُودِ في نارِ جَهَنَّمَ مِنِّي .

واستحيا عمارة بن عقبة أو عمرو بن حريث من جفوة الباهلي . فدعا بماء فصبّه في قدح وناوله لمسلم . فكان كلّما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً . وفعل ذلك ثلاثاً . وقد ذاب قلبه من الظمأ . فأعرض عن الماء وقال : لَوْ كانَ مِنَ الرِّزْقِ الْمَقْسُومِ لَشَرِبْتُهُ[1] .

وهكذا شاءت المقادير أن يحرم من الماء ويموت عطشاناً أسوة بريحانة رسول الله ﷺ . وسيّد شباب أهل الجنّة[2] .

مع ابن مرجانة

وكان من أقسى ما رزئ به مسلم أن يدخل أسيراً على أخسّ إنسان . الباغي ابن الباغية . فقد ودّ أنّ الأرض وارته ولا يمثل أمامه . لكنّ المقادير قد شاءت ذلك . فقد دخل وقد حنّت به الشرطة والعملاء . فلم يحفل فخر هاشم بابن زياد . فسلّم على الحاضرين . ولم يسلّم عليه . فأنكر عليه صعلوك من عملاء ابن زياد قائلاً له : هلّا تسلّم على الأمير ؟

فصاح به مسلم محتقراً له ولأميره : اسْكُتْ لا أُمَّ لَكَ . ما لَكَ وَالْكَلام ؟ وَاللهِ لَيْسَ لِي بِأَمِيرٍ فَأُسَلِّمَ عَلَيْهِ .

وكيف يكون ابن مرجانة أميراً على مسلم سيّد الأحرار . وزعيم الأباة . وممثّل الكرامة الإنسانيّة ؟ إنّما هو أمير على أولئك الأنذال الذين لم يعرفوا الشرف . ولم يألفوا إلّا الخنوع والذلّ والعبوديّة . والتاع الطاغية من كلام مسلم وتبدّد جبروته .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٢٧٣ .

(٢) هذه البحوث مستقاة من حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وكتاب مسلم بن عقيل .

فصاح به : لا عليك سلّمتَ أم لم تسلّم فإنّك مقتول .

ولم يفته الطاغية شيئاً سوى سفك الدماء ، وحسب أنّ ذلك يرهب مسلماً أو يخيفه ، فانبرى إليه ببسالة واعتزاز قائلاً : إِنْ قَتَلْتَنِي فَقَدْ قَتَلَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْكَ مَنْ كَانَ خَيْراً مِنِّي .

ولذع هذا الكلام الحافل بمعاني الشرف وسموّ النفس ابن زياد ، فراح يشتم مسلماً قائلاً : يا شاقُّ ، يا عاقُّ خرجتَ على إمام زمانك ، وشققت عصا المسلمين ، وألقحت الفتنة .

أي إمام خرج عليه مسلم ؟

أيّ عصاً للمسلمين شقّها ؟

أيّ فتنة ألقحها ؟

لقد خرج مسلم على الفاجر ابن الفاجر قرين الفهود والقرود ، خرج لينقذ المسلمين من ويلات الأمويين وفسقهم وجبروتهم ، وينشر راية العدل والكرامة .

وانبرى مسلم محتقراً للطاغية قائلاً له : وَاللهِ ما كانَ معاويةُ خَلِينَةً بِإجماعِ الْأُمَّةِ ، بَلْ تَغَلَّبَ عَلىٰ وصيِّ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحِيْلَةِ ، وَأَخذَ مِنْهُ الْخِلَافَةَ بِالْغَصْبِ ، وَكَذٰلِكَ ابْنُهُ يَزِيدُ .. وَأَمَّا الْفِتْنَةُ فَإِنَّما أَلْقَحْتَها أَنْتَ وَأَبُوكَ زِيادٌ مِنْ بَنِي عِلَاجٍ . وَأَنا أَرْجُو أَنْ يَرْزُقَنِي اللهُ الشَّهادَةَ عَلىٰ يدِ شَرِّ بَرِيَّتِهِ ، فَوَاللهِ ما خالَفْتُ ولَا كَفَرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ ، وَإِنَّما أَنا فِي طاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَنَحْنُ أَوْلىٰ بِالْخِلَافَةِ مِنْ مُعاوِيَةَ وَابْنِهِ يَزِيدَ .

وجرت مشادّة كلاميّة بين الطاغية ومسلم ، وقد احتقره مسلم عليه السلام وأطاح بغلوائه .

وصيّة مسلم عليه السلام

نظر مسلم في مجلس ابن زياد فرأى عمر بن سعد ، وهو من فسّاق العرب

وأجلافهم ، فأراد أن يعهد إليه بوصيّته قائلاً له : لَا أَرىٰ فِي الْمَجْلِسِ قُرَشِيّاً غَيْرَكَ ، وَلِيَ إِلَيْكَ حاجَةٌ وَهِيَ سِرٌّ .

واستشاط الطاغية غضباً حيث نفاه مسلم من قريش ، وأبطل إلحاقه ببني أُميّة ، ولم يستطع الطاغية أن يقول شيئاً ، وامتنع الحقير الدنس عمر بن سعد ـ الذي امتنع أبوه من البيعة للإمام أمير المؤمنين ـ من قبول الوصيّة وذلك ليكسب مودّة سيّده ابن مرجانة .

وأمر ابن زياد عمر بالاستجابة لمسلم ، فأوصاه بما يلي :

١ ـ على مسلم دين بالكوفة يبلغ سبعمائة درهم ، فعليه أن يبيع سيفه ودرعه ليوفّيها عنه .

٢ ـ أن يستوهب جثّته من ابن زياد فيواريها .

٣ ـ أن يكتب للحسين يخبره بما جرى عليه ، وسارع الحقير الدنس إلى ابن زياد فأخبره بوصيّة مسلم ، فقال له منكراً لإفشائه وصيّة مسلم : لا يخونك الأمين ، ولكن قد يؤتمن الخائن ، أمّا ماله فهو لك ولسنا نمنحك أن تصنع فيه ما أحببت ، وأمّا الحسين فإن لم يُرِدْنا لم نُرِدْه ، وإن أرادنا لم نكفّ عنه ، وأمّا جثّته فإنّا لم نُشفّعك فيها [1] .

إلى الرفيق الأعلى

آن للقائد العظيم مفارقة الحياة ، وقد صحب معه الفخر والشرف والكرامة ، فقد أمر الطاغية بتنفيذ الإعدام فيه ، وقد ندب لذلك بكير بن حمران ، وهو من الممسوخين ، فقال له : خذ مسلماً ، واصعد به إلى أعلى القصر ، واضرب عنقه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤ : ٢٨٢ . الكامل في التاريخ : ٤ : ٣٤ .
وفي الإرشاد : ٢٣٩ : « أمّا جثّته فإنّا لا نبالي إذا قتلناه ما نصنع بها » .

ليكون ذلك أشفى لصدرك.

واستقبل مسلم الموت بثغر باسم، فصعد إلى القصر وهو يسبّح الله تعالى ويستغفره، ويقول: اللّهمّ احْكُمْ بَيْنَنا وبَيْنَ قَوْمٍ غَرُّونا، وَخَذَلُونا[1].

وأشرف به الجلّاد على موضع الحذّائين فضرب عنقه، ورمى بجسده إلى الأرض، وقد انطوت بشهادة مسلم صفحة مشرقة من أروع صفحات الشرف والعقيدة في الإسلام، وهو أوّل شهيد من الأسرة النبويّة يقتل علناً أمام المسلمين.

تنفيذ الإعدام في هاني

وأمر الطاغية بإعدام الزعيم الكبير هانئ بن عروة، زعيم الكوفة، وسيّد قبائلها ليشيع الرعب، ويقضي على المعارضة لحكمه، وأخرج هانئ من السجن فجعل يستنجد بأُسرته قائلاً: وا مذحجاه! ولا مذحجَ لي اليوم. واعشيرتاه!

ولو كانت عند مذحج صبابة من الغيرة والشرف لأنقذوا زعيمهم من أيدي الجلّادين، ونفّذ فيه حكم الإعدام، وقد سيطر الطاغية على الكوفة، ولم يعد أي متنفّس فيها.

السحل في الشوارع

وأوعز الطاغية إلى أذنابه من سفلة المجتمع بسحل جثّة مسلم وهانئ بن عروة في الشوارع والأسواق، فعمد أولئك العبيد إلى شدّ أرجلهما بالحبال، وراحوا يسحلونهما في الطرق[2]، لإظهار قدرة الدولة لتكون عبرة لكلّ من تحدّثه نفسه بالتمرّد على الحكم القائم وتخويف العامّة.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦: ٢١٣.

(٢) أنساب الأشراف: ١: ١٥٥. الدرّ النظيم: ١٦٠. مقتل الخوارزمي: ١: ٢١٥.

لقد سحبت جثّة هانئ أمام مذحج وأتباعهم الذين يشكّلون الأغلبيّة الساحقة من سكّان الكوفة، ولو كان عندهم نفحة من الشرف لانبروا إلى تخليص جثّة زعيمهم من أيدي السفلة والغوغاء الذين بالغوا في إهانته والحطّ من شأنه.

صلب الجثّتين

ولمّا قضى الطاغية إربه في سحل جثتي مسلم وهانئ في الشوارع أمر بصلبهما، فصلبا منكوسين[1] في الكناسة. فكان مسلم أوّل قتيل صلبت جثّته من الأُسرة النبويّة.

وهذا التمثيل الفظيع هو من السمات البارزة في السياسة الأمويّة التي لم تلتزم بأيّ عرف من الأعراف الإنسانيّة.

وعلى كلّ حال، فقد أخضع الطاغية بعد قتل مسلم وهانئ العراق، وارتمت جميع أوساطه تحت قدميه من دون أيّة مقاومة.

إعلان الأحكام العرفيّة

وبعد ما أطاح الطاغية بثورة مسلم قبض على العراق بيد من حديد، فأعلن فوراً الأحكام العرفيّة في جميع أنحاء العراق، واعتمد في تنفيذ خططه على القسوة والظلم والارهاب، فكان اسمه الكريه موجباً للفزع والخوف، كما كان اسم أبيه من قبل، لقد أعدم الطاغية وسجن كلّ من كان يحقد على الأمويّين، أو له ضلع بالاشتراك في البيعة للإمام الحسين عليه السلام، وبهذه الأساليب الرهيبة ساق الناس لحرب الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان يحكم بالموت على كلّ من يتخلّف أو يرتدع عن الخوض في المعركة ضدّ الإمام.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢: ٩٤.

الطاغية مع المختار

كان الطاغية الفاجر على علم بدور المختار في مساندة الثورة، وإنّه من أعضائها البارزين، وإنّ بيته كان مركزاً لها، وقد ساهم بدور نشط وفعّال في أخذ البيعة للإمام الحسين عليه السلام، وأنّه أقبل بكوكبة من الرجال لنصرة مسلم، كلّ ذلك يعلمه ابن زياد، ولمّا استتبّ له الأمر أدخله الشرطة عليه، فقابله الطاغية بغضب وعنف وصاح به: أنت المقبل علينا في الجمع لتنصر ابن عقيل ؟

فأنكر المختار ذلك، وقال له: لم أفعل هذا، ولكنّي أقبلت وانضممت تحت راية عمرو بن حريث.

وشهد له ابن حريث بذلك، فأحجم عن قتله، ومضافاً لذلك مراعاته لعلاقته مع عبدالله بن عمر الذي كان زوجاً لأُخته، مضافاً لعلاقته مع النعمان بن بشير الحاكم الأسبق للكوفة، فقد كان زوجاً لابنته.

واستعرض الطاغية وجه المختار بقضيب كان معه فشتر عينه وسال الدم على وجهه، وقال له: لولا شهادة عمرو بن حريث لك لضربت عنقك.

ثمّ أمر بزجّه في السجن، فاعتقل فيه، وكان معه ميثم التمّار تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وصاحبه الوفيّ الذي أضفى الإمام عليه الكثير من المغيّبات والأحداث الجسام التي ستقع، والتي منها شهادة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، ومقتل ميثم على يد هذا الطاغية، وانّ المختار سينجو منه، ويأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، ويقتل الطاغية، فحدّث بها المختار وصار المختار على يقين من ذلك؛ لأنّ ميثماً من خلّص أصحاب الإمام، ومن حواريّه، والإمام لا يقول إلّا حقّاً، فهو وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه، وقد تحقّق جميع ذلك، فقد استشهد ميثم، واستشهد الإمام الحسين عليه السلام، ونجا المختار[1].

---

(١) إعلام الورى: ١٧٦.

توسّط ابن عمر في شأن المختار

رفع المختار من السجن بصورة سرّيّة جدّاً إلى ابن عمر زوج أخته يطلب منه التوسّط في شأنه عند يزيد لإطلاق سراحه، وإنقاذه من سجن الطاغية ابن زياد. فقد عانى فيه ضروباً شاقّة من المحن والتنكيل. ولمّا وصلت رسالته إلى ابن عمر علمت زوجته ذلك. فأخذت تبكي وتتوسّل وتتضرّع إليه في التوسّط ليزيد لإنقاذ أخيها. فاضطرّ لإجابتها. فكتب إليه في شأنه. فاستجاب له يزيد. وكتب لابن زياد يأمره بالإفراج عنه. ولمّا انتهت إلى ابن زياد رسالة يزيد دعا المختار وأمره بمغادرة الكوفة. ولم يسمح له بالإقامة فيها سوى ثلاثة أيّام ليصلح فيها شأنه. فإن انتهت وهو فيها فقد برئت منه الذمّة. وفعلاً فقد غادر الكوفة بعد انتهاء المدّة إلى المدينة أو إلى الطائف الذي هو مقرّ أسرته. وإنّما حدّد ابن زياد هذه المدّة القصيرة لأنّ المختار كان يشكّل خطراً عليه. وذلك لما يتمتّع به من المواهب والقابليّات التي يسيطر بها على الجمهور.

ولم نعلم المدّة التي قضاها المختار في سجن الطاغية. وأكبر الظنّ أنّها تزيد على السنة. وقد عانى فيها ضروباً من المحن والتنكيل. وقد رحل إلى الطائف فأقام فيه. حتّى ظهر أمر ابن الزبير فالتحق به.

رأي غريب

ومن الغريب ما ذكره اليعقوبي أنّ المختار أقبل في جماعة عليهم السلاح يريدون نصر الحسين عليه السلام. فأخذه عبيدالله فحبسه وضربه بالقضيب حتّى شتر[1] عينه[2].

إنّ المختار لمّا أقبل بجماعة إنّما هو لنصرة مسلم لا لنصرة الحسين عليه السلام. فإنّه

---

(١) الشَّتْر: انقلاب جفن العين.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٥.

لم يأتِ بعد إلى العراق.

المختار مع ابن العرق

والتقى المختار في مسيره إلى الحجاز مع شخص يدعى ابن العرق، فسأله عن عينه التي شترها ابن زياد، فأخبره بالحادث، وأعتب قائلاً: قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إرباً.

ثمّ قال له: إذا سمعت بمكان قد ظهرت به في عصابة من المسلمين أطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطفّ سيّد المسلمين، وابن سيّدها، وابن بنت سيّد المرسلين الحسين بن عليّ، فوربّك لأقتلنّ بقتله عدّة القتلى التي قتلت على دم يحيى بن زكريّا عليه السلام.

فقال ابن العرق: سبحان الله! وهذه أعجوبة.

فقال له المختار: هو ما أقول لك فاحفظه عنّي حتّى ترى مصداقه.

ثمّ سأله المختار عن الحجاز، وعن عبدالله بن الزبير، فعلم أنّه لم يظهر بدعوته، ولكنّه مصمّم على إعلانها، وأنّه عائذ بالبيت الحرام، ويبايع سرّاً ولو اشتدّت شوكته، وكثرت رجاله لظهر.

وسارع المختار قائلاً: أنا رجل العرب اليوم، وإن اتّبع رأيي أكفه أمر الناس، إنّ الفتنة قد أبرقت[1].

حكت هذه الكلمات طموح المختار، وأنّه الرجل الأوّل في العالم العربي، وأنّ ابن الزبير لو تابعه في آرائه لكفاه أمر الناس.

لقد كان المختار على ثقة واطمئنان بما سيحرزه من النصر في إبادة العناصر

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٧١.

المخرّبة التي لا ترجو لله تعالى وقاراً. استمعوا إلى قوله: أما وربّ البحار، والنخيل والأشجار، والمهامِه والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبّار، بكلّ لدن[1] خطّار[2]، ومهنّد بتّار، بجموع الأنصار، ليسوا بميّل[3] أغمار[4]، ولا بعزّل أشرار، حتّى إذا أقمتُ عمود الدين، ورأبت شعب صدع المسلمين، وشفيتُ غليل صدور المؤمنين، وأدركت ثأر النبيّين، لم يكبر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى[5].

وأنت ترى إيمانه الوثيق بالتغلّب على الأحداث، واجتثاثه للفسقة المخرّبين الذين اقترفوا كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم، وإنّه إذا حقّق مآربه وآماله فلا يخاف من الموت.

ومن المؤكّد أنّ ما أخبر به المختار من تحقّق النصر على يده كان ذلك ممّا أخبره به ميثم التمّار تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أحاطه بكثير من الملاحم، كان منها ما أخبر به المختار.

---

(١) **اللدن**: اللَيّن من كلّ شيء.

(٢) **خطّر الرجل بسيفه ورمحه**: رفعه مرّة ووضعه أُخرى، **وخطّر الرمح**: اهتزّ، فهو خطّار. القاموس المحيط: ٤: ٢٢٦، مادّة «لدن»، و: ٢: ٢٢، مادّة «خطر».

(٣) **الميّل**: جمع أميل، وهو الكسل الذي لا يحسن الركوب والفروسية، يميل على السرج في جانب.

(٤) **الأغمار**: جمع غُمر، وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرّب الأُمور. القاموس المحيط: ٤: ٥٣، مادّة «ميل»، و: ٢: ١٠٤، مادّة «غمر».

(٥) تاريخ الأُمم والملوك: ٤: ٤٥٠. الكامل في التاريخ: ٤: ١٧٣.

الثَّوْرَةُ الحُسَيْنِيَّةُ

أَسْبَابُهَا. مَآسِيهَا. آثَارُهَا

إنّ أفجع كارثة في تاريخ الإنسانيّة في جميع الأحقاب والآباد هي شهادة الإمام الحسين عليه السلام على أيدي الطغمة الأمويّة الحاكمة التي اقترفت معه من الفظائع ما لا توصف لقسوتها ومرارتها، ولم ترع حقّ النبيّ صلى الله عليه وآله في عترته التي هي أوْلى بالرعاية من كلّ شيء.

إنّ ما عاناه أبو الأحرار وسيّد الشهداء من المآسي المروّعة في صعيد كربلاء لم يعان مثلها أي مصلح اجتماعي في الأرض. فقد أحاطت به جيوش الكفر والضلال، وصبّت عليه جميع ألوان المحن والخطوب، وقابلها الإمام بالصبر، لأنّها بعين الله تعالى، ولم يبد أي لون من الجزع، وكان هذا هو السمت الخالد الذي ميّزه على جميع المصلحين.

من المؤكّد أنّ مأساة الإمام الخالدة قد تركت بصماتها الموجعة في ضمائر الناس وعواطفهم، وأحدثت تحوّلاً اجتماعيّاً، وتغييراً كاملاً في طباع المجتمع لم يعهد له نظير في تاريخ الأُمم والشعوب، فبعد أن كانت الأُمّة ترزح في تيّارات من الظلم والجور والطغيان قد خلدت إلى الذلّ والعبوديّة، فقد انطلقت بعد ثورة أبي الأحرار كالمارد الجبّار في ثورات شعبيّة متّصلة حتّى أطاحت بالحكم الأموي، وأزالت جميع أرصدته ومصداقيّته ووجوده.

لقد أيقظ الإمام أبو الأحرار شعوب المسلمين، وأزال عنهم ذلك التخدير الأموي القاضي بأنّ ثروات الأُمّة ليست لها، وإنّما هي ملك صرف لزعيم الدولة، فالسواد

بستان قريش على حدّ تعبير ابن العاص . وتحطّم هذا الكابوس المظلم على يد أبي الأحرار قائد الكرامة والشرف والفضيلة في الإسلام ، فقد فتح لها الطريق الرحب لحريّتها وكرامتها واستقلالها .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض بعض الجوانب من ثورة الإمام أبي الأحرار وسيّد الشهداء عليه السلام التي ألهمت المختار روح التضحية والفداء ، وتفاعلت مع حياته حتّى قام بثورته العملاقة التي كانت من أهمّ الأحداث السياسيّة في ذلك العصر ـ وهي من دون شكّ ـ امتداد مشرق لثورة أبي الشهداء .

مكوّنات الثورة الحسينيّة

حفلت الثورة الحسينيّة المقدّسة بجميع مقوّمات الارتقاء والنهوض للأمّة ، وأعادت أرصدتها الروحيّة والإصلاحيّة التي فقدتها في أيّام الحكم الأموي الذي جهد على إماتة الوعي الديني ، وما جاء به الإسلام من القيم الكريمة والمثل العليا ، ومن بين تلك الأهداف الأصليّة لهذه الثورة العظيمة .

١ ـ إقامة الحقّ

تبنّى أبو الشهداء الحقّ بجميع رحابه في ثورته ، فهو العنصر المقوّم لها ، وقد أعلن ذلك في بعض خطبه ، قال عليه السلام : « **فَمَنْ قَبِلَني بِقَبولِ الْحَقِّ فاللهُ تَعالىٰ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ** » .

لم يقل الإمام : فمن قبلني لأني جئت محرّراً ومنقذاً لكم من ظلم الأمويّين وبطشهم ، وإنّما قال : « **فَمَنْ قَبِلَني بِقَبولِ الْحَقِّ فَاللهُ تَعالىٰ أَوْلىٰ بِالْحَقِّ** » .

لم يقل الإمام فمن قبلني لأني ابن سيّدة نساء العالمين ، وإنّما قال : **فَمَنْ قَبِلَني بِقَبولِ الْحَقِّ** .

وقد نصّ الإمام عليه السلام في بعض خطبه إنّ هدفه إقامة الحقّ ، وإماتة الباطل . قال :

«أَلا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْبَاطِلِ لا يُتَناهى عَنْهُ».

إقامة الحقّ هو الأمل المنشود للإمام في نهضته العملاقة التي أراد بها إزهاق الباطل، وإماتة المنكر الذي تفجّرت به السياسة الأمويّة.

إقامة الحقّ هو الصورة المشرقة في ثورة أبي الأحرار التي استوعبت بفخر جميع لغات الأرض.

إقامة الحقّ هو السبب في خلود تضحية الإمام عليه السلام عبر القرون الصاعدة، وهي حيّة تفيض بالعطاء والشهادة والتمرّد على الظلم والطغيان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكما كان التفاني في الحقّ هو الهدف الأسمى عند أبي الأحرار، فكذلك كان هو الغاية المنشودة لولده عليّ الأكبر الذي هو أنبل شاب، وأسمى مثل للشرف والكرامة الإنسانيّة. فقد قال لأبيه حينما قصّ عليه رؤياه الحزينة المنذرة بالخطر عليهم: يا أبتِ، ألسنا على الحقّ؟

فأجابه الإمام بعزمه الثابت وتصميمه الجبّار: **نَعَمْ، وَالَّذي إِلَيهِ مَرْجِعُ أَمْرِ الْعِبادِ.**

فانبرى فخر بني هاشم ومجد بني عدنان قائلاً: إذن لا نبالي بالموت، وقع علينا أم وقعنا عليه.

ارأيتم هذا التصميم الرائع على الحقّ والتفاني في سبيله عند أبي الأحرار وشبله العظيم.

٢ ـ إنقاذ المسلمين من الردّة الجاهليّة

وشيء آخر بالغ الأهميّة في الثورة الحسينيّة هو إنقاذ المسلمين من الردّة الجاهليّة التي تبنّاها الأمويّون بقيادة زعيمهم معاوية بن أبي سفيان، فقد ألحدوا جميعاً بدين الله تعالى، وتنكّروا لقيمه وأهدافه، وجهدوا على إعادة الحياة الجاهليّة بأوثانها

وتقاليدها وعاداتها. فقد كان معاوية يوعز بصنع الأصنام، ويبعثها إلى من يدين بها لئلا يصبون إلى دين الإسلام.

ونظرة خاطفة وسريعة في مصادر التاريخ ترينا بوضوح كفر الأمويّين وظلمهم وجبروتهم ومروقهم من الدين، وفي مقدّمتهم الفاسق الفاجر يزيد بن معاوية الذي أظهر الكفر والإلحاد بلا خجل ولا حياء، وخلد إلى الفسق والفجور وشرب الخمور واللعب بالقردة والنهود، وقد تولّى قيادة الأمّة، فأي خطر عليها وعلى الإسلام مثل هذا الخطر الذي ينذر بالشرّ والبلاء.

فتصدّى لمناجزته الإمام الحسين عليه السلام بعزم وحزم، فضحّى بروحه وأبنائه وأصحابه بتلك التضحية الخالدة التي هزّت الضمير الإنساني، وأيقظت الضمائر المخدّرة، وراحت الشعوب الإسلاميّة تنادي بفجر جديد حتّى أطاحت بالحكم الأموي، ومن المؤكّد أنّه لولا تضحية الإمام الحسين عليه السلام لما أبقى الأمويّون ظلّاً للإسلام، ولا وجوداً للقرآن، فسلام الله عليك يا أبا عبدالله، فما أعظم عائدتك ولطفك على الإسلام وعلى المسلمين.

٣ ـ الإباء وعزّة النفس

من مقوّمات النهضة الحسينيّة ومن مكوّناتها عزّة الإمام الحسين عليه السلام وإباؤه، فقد تربّى بهدي النبوّة وعظمتها، كيف يبايع ويستسلم لأولئك القردة الممسوخين، وسقطة المجتمع الذين تربّوا على الرذيلة والمنكر والفساد.

لقد سخر الإمام أبو الأحرار من الموت، وهزأ من الحياة في سبيل كرامته وعزّة نفسه، وهو الذي أعلن هذه الكلمة التي أصبحت أنشودة للأحرار في كلّ زمان، وهي:

أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِي قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهَيْهاتَ مِنَّا الذِّلَّةُ، يَأْبَى اللهُ لَنا ذٰلِكَ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَحُجُورٌ طابَتْ وَطَهُرَتْ وَأُنُوفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ

مِنْ أَنْ تُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئامِ عَلىٰ مَصارِعِ الْكِرامِ.

وقال أبي الضيم: **لَا أَرىٰ الْمَوْتَ إِلاّٰ سَعادَةً وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلاّٰ بَرَماً.**

ووصف السيّد الشريف حيدر إباء جدّه الحسين عليه السلام بهذه الأبيات الرائعة:

وَسامَتْهُ يَـرْكَبُ إِحْـدى اثْـنَتَين ... وَقَـدْ صَـرَّتِ الْـحَربُ أَسْنانَها

فَـإِمّا يُـرى مُـذْعِناً أَوْ تَـموتَ ... نَـفْسٌ أَبَـى الْعِـزُّ إِذْعـانَها

فَـقالَ لَـها اعْـتَصِمي بِـالإِباء ... فَـنَفْسُ الأَبِـيِّ ومـا زانَـها[1]

لقد آثر أبو الأحرار الشهادة تحت ظلال الأسنّة في سبيل كرامته وعزّته، ولا يخضع لأُولئك الأرجاس الذين هم وصمة عار وخزي على البشريّة.. وقد ورث هذه الظاهرة الفذّة شبله عليّ الأكبر الذي هو أنبل شاب عرفه تاريخ البشريّة، فقد رفع نشيده في ميدان الحرب الذي هو نشيد الأحرار قائلاً:

أَنا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَينِ بنِ عَلِيّ ... وَاللهِ لا يَحكُمُ فِينا ابنُ الدَّعِيّ

كيف يحكم ابن الدعي الرجس الخبيث سلالة النبوّة ومواطن الشرف والكرامة، واستشهد دفاعاً عن عزّته وكرامته، وقد ورث الإباء والعزّ أحفاد الإمام الحسين عليه السلام، فهذا البطل الخالد زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ثار في وجه الطاغية هشام الأموي من أجل عزّة نفسه وكرامته، ومن أجل حقوق المظلومين والمضطهدين، وقد أعلن ذلك بكلمته التي دوّت في سماء الكرامة الإنسانيّة قائلاً: **ما كَرِهَ قَوْمٌ حَرَّ السُّيوفِ إِلَّا ذَلّوا.**

ومضى على الخطّ الذي سار عليه جدّه الإمام الحسين عليه السلام فاستشهد ورفع رأسه الشريف إلى الطاغية كما رفع رأس جدّه إلى يزيد بن معاوية، وصلب جسده على

---

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّي: ١: ٤٤.

جذع النخل . وهو يضيء للناس طريق الحريّة والكرامة . وأوعزت السلطة بحرق الجثمان العظيم فأُحرق . وكان ذلك هو السمت البارز في السياسة الأمويّة أمام السادة العلويّين .

وقد مثّل السيّد الشريف الرضي إباءه وعزّة نفسه بقوله :

وَلي إباءٌ مُحَلِّقٌ بي عَنِ الضَّيمِ كَـما زاغَ طـائِرٌ وَحْشِـيّ

إنّ الإباء وعزّة النفس من العناصر الذاتيّة المقوّمة للإمام الحسين عليه السلام ولأبنائه العظام .

٤ ـ إنقاذ الأُمّة من الفقر والحرمان

من الأسباب المهمّة في ثورة أبي الأحرار إنقاذ الأُمّة من كوارث الفقر والحرمان . فقد اختلس الأمويّون جميع ثروات الأُمّة . وفرضوا عليها الضرائب الثقيلة . وسلّطوا عليها أعنف الولاة وأكثرهم ظلماً . وقد وصف عتبة بن هبيرة ما عانته الرعيّة من الفقر والحرمان في عهد معاوية بقوله :

مُـعاوِي إنَّـنا بَشَـرٌ فَـأَسْجِحْ فَلَسنا بِالجِبالِ وَلا الحَـديدِ[1]

أَكَـلْتُمْ أَرْضَـنا فَـجَرَدْتُموها فَهَلْ مِنْ قائِمٍ أَوْ مِنْ حَصيدِ[2]

وكانت أموال الدولة تنفق لشراء الضمائر . وعلى المجون والدعارة . وكانت بيوت الأمويّين تعجّ بالمغنّين والمغنّيات وأدوات العزف . كما كانت أموال الدولة تنفق بسخاء على الوجوه والأعيان الذين يساندون السياسة الأمويّة .

لقد ثار الإمام الحسين عليه السلام من أجل تحرير اقتصاد الأُمّة . وإنقاذ المسلمين من

---

(١) **السجح** : السهولة واللّين . لسان العرب : ٦ : ١٧٤ ـ سَجَحَ .

(٢) خزانة الأدب : ٢ : ٢٢٦ .

الفقر، وقد صادر أموالاً من اليمن بعثت إلى خزينة دمشق في أيام يزيد، وأنفقها على الفقراء والمحرومين[١].

٥ ـ إنقاذ الشيعة من الظلم

من الأسباب الوثيقة التي دعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الثورة على يزيد هو ما عاناه أولياء آل محمّد من الظلم والاضطهاد في أيام الطاغية معاوية، فقد قال للإمام الحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله، علمت أنّا قتلنا شيعة أبيك فحنّطناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم ودفنّاهم[٢].

وكان من ظلمهم لهم ما يلي:

١ ـ إبادة أعلامهم، كحجر بن عديّ، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وصيفي بن فسيل، وميثم التمّار وأمثالهم من عيون المتّقين.

٢ ـ صلبهم على جذوع النخل.

٣ ـ دفنهم أحياء.

٤ ـ هدم دورهم.

٥ ـ عدم قبول شهادتهم في المحاكم الرسميّة وغيرها.

٦ ـ حرمانهم من العطاء.

٧ ـ ترويع نساء الشيعة وقتلهنّ.

٨ ـ إشاعة الرعب والخوف في الأوساط التي تدين بالولاء لآل البيت.

إلى غير ذلك من صنوف الارهاق، وقد رفع الإمام الحسين عليه السلام مذكّرة شديدة

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام: ٢: ٢٧٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٢٠٦.

اللهجة إلى معاوية أنكر فيها ما اقترفه من الظلم لشيعته . وقد ذكرنا عرضاً مفصّلاً للمظالم التي عانتها الشيعة في أيّام معاوية في كتابنا حياة الإمام الحسين عليه السلام . وبهذا العرض الموجز لبعض الأسباب التي من أجلها ثار الإمام أبو الأحرار عليه السلام نختم هذا الحديث .

المأساة الخالدة

ومن المؤكّد أنّه لم يعان أي مصلح اجتماعي من المآسي مثل ما عاناه أبو الأحرار . فقد تدافعت عليه الخطوب الهائلة في صعيد كربلاء ، وأحاطت به الأزمات الموجعة يتبع بعضها بعضاً . فلم تبق رزيّة من رزايا الدهر ، ولا كارثة من كوارث الزمن القاسية إلّا جرت عليه وقد قابلها بالصبر ، والرضا بما قسم الله تعالى له؛ لأنّها كانت في إحياء دينه ، وإنقاذ عباده من الظلم والجور والطغيان .

وقد وعى المختار جميع فصول هذه المأساة الخالدة ، فذابت نفسه شعاعاً وحزناً على ما حلّ بأبناء النبيّ من الرزايا والخطوب ، وممّا زاد في آلامه أنّه لم يسعد بنصرتهم والدفاع عنهم . فقد كان في سجن الطاغية ، وبعد انتهاء الكارثة سمع بأهوالها المروّعة .

وعلى أي حال ، فإنّا نعرض بإيجاز لبعض فصول هذه المأساة التي هزّت الضمير الإنساني بفجائعها ورزاياها ، وفيما يلي ذلك :

في رحاب كربلاء

وانتهى موكب الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء في اليوم الثاني من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة ، وقد أيقن الإمام بنزول الرزء القاصم ، وانتهى به الموقف إلى اليأس من الحياة ، فقد أحاطت به مقدّمة الجيش الأموي البالغ عددها زهاء ألف فارس ، وفرضت عليه الإقامة الجبريّة في هذه الأرض .

خطبة الإمام

وجمع الإمام أهل بيته وأصحابه فأحاطهم علماً بما صمّم عليه من التضحية والجهاد في سبيل الله تعالى قائلاً:

«إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِنا مِنَ الأَمْرِ ما قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَتَنَكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُها، وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إِلَّا صُبابَةٌ كَصُبابَةِ الْإِناءِ، وَخَسيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبيلِ. أَلا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لا يُعْمَلُ بِهِ، وَإِلَى الْباطِلِ لا يُتَناهى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ في لِقاءِ رَبِّهِ مُحِقّاً، فَإِنّي لا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعادَةً، وَالْحَياةَ مَعَ الظّالِمينَ إِلَّا بَرَماً.

حكى هذا الخطاب ما نزل بالإمام من المحن والخطوب، وأعلم أهل بيته وأصحابه بعزمه الجبّار على إقامة الحقّ، ودحر الباطل.

وإنّما قال ذلك لأصحابه لا ليستدرّ عواطفهم، ويستجلب نصرهم بعدما أحاطت به قوى الكفر التي ملأت البيداء، وإنّما أراد أن يشاركونه في المسؤوليّة في إقامة الحقّ وإشاعة العدل.

وهبّ أصحاب الإمام وهم يعلنون بحرارة وصدق وإيمان عن تضامنهم الكامل مع سيّد الشهداء، استمعوا إلى زهير بن القين وهو يقول: سمعنا يابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

وقام فذّ من أفذاذ الدنيا وهو برير، فخاطب الإمام: يابن رسول الله، لقد منّ الله تعالى بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتتقطّع فيك أعضاؤنا، ثمّ يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة.

أرأيتم هذا الإيمان العميق والقول الصادق الذي ينمّ عن ضمائر لم تلوّثها مآثم الحياة، ولم تندفع إلى هذا الشرف إلّا على بصيرة من أمرها.

وتكلّم أصحاب الإمام عليه السلام بمثل هذا الكلام فشكرهم الإمام، وأثنى على إخلاصهم وتفانيهم في نصرة الإسلام، والذبّ عن قيمه وأهدافه.

زحف الكوفة للحرب

وزحفت الكوفة تحت ضغط هائل لحرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أشاع فيها المجرم الخبيث ابن مرجانة الذعر والخوف، وحكم بالموت والإعدام على كلّ من يتّهمه بالتخاذل، وعدم الالتحاق بجيشه، ولم يبق فيها محتلم إلّا انضمّ إليه.

وانتخب ابن مرجانة لقيادة جيشه عمر بن سعد ليضفي الشرعيّة على حربه لابن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان ابن سعد من أرجاس البشريّة، خسيساً في طبعه، لئيماً في نفسه، جباناً، متهالكاً على الإمرة والطمع، فقد منّاه ابن مرجانة بإمارة الريّ، فسال لها لعابه.

وزحف ابن سعد بما انضمّ إليه من قادة الفرق والجيش إلى حرب ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمثل الأعلى لكلّ فضيلة خلقها الله تعالى في الأرض، وانتهى الباغي الأثيم إلى كربلاء فعسكر فيها.

احتلال الفرات

إنّ أخطر عمليّة قام بها المجرم ابن سعد احتلاله لحوض الفرات، فقد صدرت إليه الأوامر المشدّدة من سيّده ابن مرجانة بمنع الماء عن الحسين وأهل بيته وأصحابه، وأن لا يذوقوا منه قطرة واحدة، كما صنع بعثمان بن عفّان شيخ الأمويّين، وأرسل قوّة عسكريّة تتألّف من خمسمائة فارس، وقيل: أربعة آلاف فارس بقيادة المجرم عمرو بن الحجّاج فاحتلّوا جميع الشرائع والأنهر المتفرّعة من نهر الفرات.

وحيل بين الإمام الحسين عليه السلام وبين الماء قبل قتله بثلاثة أيّام، وكان ذلك من

أعظم وأقسى ما مني به الإمام من المحن الشاقّة، فقد شاهد حرائر النبوّة والأطفال وهم يعجّون من ألم العطش وينادون: الماء.. الماء..

وذاب قلب الإمام رحمة وحناناً عليهم، فقد ذبلت شفاه أطفاله، وذوى عودهم. يقول أنور الجندي:

وَذِئَابُ الشُّرورِ تَنعَمُ بِالماءِ ... وَأَهلُ النَّبيِّ مِنْ غَيرِ ماءِ
وبِظُلْمِ الأَقْدارِ يَظْمَأُ قَلبُ اللَّيثِ ... وَاللَّيْثُ مُوثَقُ الأَعْضاءِ
وَصِغارُ الحُسَينِ يَبْكونَ في الصَّحراءِ ... يا رَبِّ أَيْنَ غَوثُ القَضاءِ

تأجيل الحرب ليلة واحدة

وزحفت طلائع جيش الكفر والضلال نحو الإمام في عصر الخميس لتسع خلون من المحرّم، فقد صدرت إليها الأوامر المشدّدة من ابن زياد بتعجيل القتال خوفاً من أن يتبلور الموقف ويتبدّل رأي الجيش، ويحدث انقسام في صفوفه، وقرب الجيش من الإمام، وكان جالساً أمام بيته؛ إذ خفق برأسه، فسمعت سيّدة النساء عقيلة بني هاشم أصوات الرجال، وتدافعهم نحو الخيام، فانبرت لأخيها فأيقظته، فقال لها بعزم وثبات: **إِنّي رَأَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ في الْمَنامِ، فَقالَ: إِنَّكَ تَروحُ إِلَيْنا.**

ذابت نفس العقيلة، وراحت تقول: يا ويلتاه[1].

والتفت أبو الفضل العبّاس إلى أخيه فقال له: «يا أخي، أتاك القوم»، فطلب منه الإمام أن يتعرّف على خبرهم قائلاً: **اِرْكَبْ بِنَفْسي أَنْتَ يا أَخي حَتّى تَلْقاهُمْ فَتَقولَ لَهُمْ: ما بَدا لَهُمْ وَما يُريدون؟**

أي منزلة من السموّ بلغها أبو الفضل حتّى يفديه سيّد الدنيا بنفسه، وراح العبّاس

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٤.

نحو أولئك الأنذال فسألهم عن زحفهم فقالوا له: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو نناجزكم الحرب[١].

وقفل العبّاس إلى أخيه فعرض عليه الأمر، فقال له: **إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُؤَخِّرَهُمْ إِلىٰ غَدْوَةٍ لَعَلَّنا نُصَلِّي لِرَبِّنا هٰذِهِ اللَّيْلَةَ وَنَدْعوهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنّي اُحِبُّ الصَّلاةَ وَتِلاوَةَ كِتابِهِ، وَكَثْرَةَ الدُّعاءِ وَالْإِسْتِغْفارِ.**

إنّ سيّد الشهداء أبيّ الضيم وسيّد الأحرار يطلب من هؤلاء الأنذال الحمقاء تأجيل الحرب سواد ليلة ليقضيها في مناجاة الله تعالى وعبادته التي هي أعزّ شيء عنده من جميع متع هذه الدنيا.

وقفل أبو الفضل نحو أولئك الممسوخين فأخبرهم بمقالة الإمام، وعرض الخبيث الدنس ابن سعد الأمر على المجرم شمر بن ذي الجوشن، فلم يبد رأيه في الموضوع، وأحاله لابن سعد، وانبرى عمرو بن الحجّاج الزبيدي قائلاً: سبحان الله! والله لو كان من الديلم ثمّ سألكم هذه الليلة لكان ينبغي أن تجيبوه[٢].

ولم يقل ابن الحجّاج أنّه ابن رسول الله ﷺ، وطلب منكم تأجيل الحرب خوفاً من أن تنقل كلامه الاستخبارات العسكريّة إلى سيّده ابن مرجانة، فينال العقاب أو العتاب، وأيّد ابن الأشعث مقالة ابن الحجّاج، فقال لابن سعد: أجبهم إلى ما سألوا، فلعمري ليصبحنّك بالقتال غداً.

إلّا أنّه ندم على كلامه، وراح يقول: «والله لو أعلم أنّهم يفعلون ما أخّرتهم».

واستجاب ابن سعد لتأجيل الحرب بعد أن رضيت به بعض القادة من جيشه، وأوعز إلى رجل من أصحابه أن يعلن تأجيل الحرب، فسارع نحو معسكر الحسين

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ١٧٧.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٢٨٥.

وصاح: يا أصحاب الحسين، قد أجّلناكم يومكم هذا إلى غد، فإن استسلمتم ونزلتم على حكم الأمير وجّهنا بكم إليه، وإن أبيتم ناجزناكم.

وأرجئ الحرب إلى اليوم العاشر من المحرّم، وظلّ الجيش الأموي يترقّب الغد لينظر إلى موقف الإمام.

الإمام يأذن لأصحابه بالتفرّق

جمع الإمام أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرّم، وطلب منهم مفارقته، وتركه وحده ليلاقي مصيره المحتوم قائلاً:

أُثْني عَلَى اللهِ أَحْسَنَ الثَّناءِ، وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرّاءِ وَالضَّرّاءِ، اللّهُمَّ إِنّي أَحْمَدُكَ عَلىٰ أَنْ أَكْرَمْتَنا بِالنُّبُوَّةِ، وَعَلَّمْتَنا الْقُرْآنَ، وَفَقَّهْتَنا في الدِّينِ، وَجَعَلْتَ لَنا أَسْماعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً، فَاجْعَلْنا مِنَ الشّاكِرين.

أَمّا بَعْدُ، فَإِنّي لا أَعْلَمُ أَصْحاباً أَوْفى وَلا خَيْراً مِنْ أَصْحابي، وَلا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَأَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتي، فَجَزاكُمُ اللهُ عَنّي خَيْراً، أَلا وَإِنّي لَأَظُنُّ يَوْماً لَنا مِنْ هؤُلاءِ، أَلا وَإِنّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقوا جَميعاً في حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ مِنّي وَ ذِمامٌ. هذا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذوهُ جَمَلاً.

وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتي، فَجَزاكُمُ اللهُ تَعالىٰ خَيْراً، ثُمَّ تَفَرَّقوا في سَوادِكُمْ وَمَدائِنِكُمْ حَتّىٰ يُفَرِّجَ اللهُ تَعالىٰ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِنَّما يَطْلُبوني، وَلَوْ أَصابوني لَهَوا عَنْ طَلَبِ غَيْري».

أرأيتم سموّ الإمام، وعظيم شأنه، فقد تجنّب في هذا الموقف الدقيق جميع ألوان المنعطفات، وحدّد لهم النتيجة الحاسمة، وهي الشهادة التي لا مفرّ منها، وقد طلب منهم مفارقته والانصراف عنه في جنح الظلام ليتّخذونه ستاراً لهم.

إنّ جحافل الأعداء التي ملأت صعيد كربلاء لا يقف أمامها هذا العدد اليسير من

أصحابه وأهل بيته ، فقد أذن لهم بالانصراف والتفرّق عنه .

جواب أهل بيته عليهم السلام

انظروا إلى جواب الفتية من الأُسرة النبويّة ، فقد انبرى إليه قمر بني هاشم وفخر بني عدنان وهو يحكي نيّته ونيّة إخوانه وأبناء عمومتهم ، فقال : لِم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ؟ لا أرانا الله تعالى ذلك أبداً .

وتسابقت الفتية وهي تعلن نفس المصير الذي اختاره الإمام لنفسه ، وترحّب بالشهادة بين يديه .

جواب أصحابه عليه السلام

وانبرى أصحاب الإمام وهم يعلنون الفداء والتضحية للإمام قائلين جميعاً : الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك ، وشرّفنا بالقتل معك ، أولا ترضى أن نكون معك في درجتك يابن رسول الله ؟

إنّ أصحاب الإمام أبطال التاريخ في هذه الدنيا والأمثلة المشرقة لكلّ فضيلة في الدنيا ، قد أشرقت نفوسهم بروح الإيمان ، وتحرّروا من جميع شواغل الحياة ومتعها ، وآمنوا بأنّ مصيرهم المشرق إلى الفردس الأعلى ، وأنّهم مع النبيّين والصدّيقين والشهداء وحسن أُولئك رفيقاً .

مصارع الأصحاب

وتسابق الأبرار من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعزم صادق ، وإيمان خالص إلى الموت ، وقد أبلوا في المعركة بلاء يقصر عنه كلّ وصف وإطراء ، فقد جاهدوا جهاداً لم يعرف التاريخ له مثيلاً في جميع عمليّات الحروب . لم تضعف لأي رجل منهم عزيمة ، ولم تلن لهم قناة ، وهم يشعرون بالغبطة والكرامة ، وقد وقف سيّد الشهداء

على مصارعهم وأخذ يتأمّل في وجوههم المشرقة بالإيمان، فراح يقول: **قَتْلَةٌ كَقَتْلَةِ الْأَنْبِياءِ**.

نعم، إنّهم كالأنبياء في جهادهم وتضحيتهم، فقد قادوا حركة الفداء والجهاد وهم على إيمان وثيق بعدالة شهادتهم؛ لأنّها في سبيل الله تعالى، وفي سبيل الدفاع عن كرامة الإسلام.

مصارع العترة النبويّة

وهبّت الأُسرة النبويّة بعد شهادة الأبطال من أصحاب الإمام الحسين إلى ميدان الحرب من شباب وأطفال لم يرهبهم الموت، وأخذوا يتضرّعون إلى الإمام ليأذن لهم في الدفاع عنه ونيل الشهادة بين يديه، وقد ذابت نفس الإمام عليهم أسى وحسرات، وقد أقبلت تلك الفتية أمام سيّدهم الحسين وهم يقبّلونه ويودّعونه، وجعل بعضهم يودّع البعض الوداع الأخير، وهم غارقون بالدموع حزناً وأسى على ريحانة رسول الله ﷺ، وتعالت أصوات عقائل الوحي بالبكاء والعويل على تلك الكوكبة من شباب آل النبيّ ﷺ التي عزمت على مفارقة الحياة.

وقد برزوا إلى ساحة الحرب فحصدتهم سيوف المجرمين الذين لم يراعوا حرمة لرسول الله في ذرّيته وأبنائه.

مصرع الإمام العظيم

وليس في تاريخ الإنسانيّة في جميع الأحقاب والآباد أحد يضارع أبا الأحرار في سموّ شخصيّته، وعظيم إرادته، فقد استقبل الموت بثغر باسم، وإرادة صلبة، وقد أحاطت به أرذال البشريّة، وهم يوسعونه ضرباً بسيوفهم وطعناً برماحهم، ورمياً بسهامهم، وقذفاً بأحجارهم، حتّى استوعبت الجراحات جسمه الشريف، وأخذ الظمأ القاسي منه مأخذاً عظيماً، فكان يرى السماء كالدخان من شدّة العطش،

وكان من أعظم الرزايا التي مني بها صراخ عقائل النبوّة وعويل الأطفال، وغير ذلك من المآسي التي تتابعت عليه، وقد قابل تلك الرزايا التي لم يبتل بمثلها أحد من أولياء الله تعالى الصبر والشكر لله تعالى، وطلب مرضاته.

لقد كان الإمام الحسين نسخة لا ثاني لها في تاريخ الإنسانيّة في جميع مراحلها، فإنّ المصائب التي لو حلّت بعضها بأي إنسان لانهار ولم يقو على أي عمل، ولكنّ الإمام الحسين قد خلد إلى الصبر، وتماسكت شخصيّته، فكان يستقبل الرزايا المذهلة بنفس مطمئنّة، وكان من قوّة عزيمته أنّه كان يحمل على تلك الوحوش فتنهزم من بين يديه رعباً وخوفاً منه، ولمّا أعياه نزف الدم، وسقط إلى الأرض تحاماه الجيش خوفاً منه وجبناً، ورحم الله السيّد حيدر إذ يقول:

فما أَجْلَتِ الحَربُ عَنْ مِثلِهِ ... صَريعاً يُجَبِّنُ شُجْعانَها [1]

وقد شدّ عليه رجس خبيث صيغ في الرذائل والموبقات وهو شمر بن ذي الجوشن، فاحتزّ رأسه الشريف، وكانت على شفتيه ابتسامة الرضا والنصر الذي أحرزه إلى الأبد، فما أحرز أحد من المصلحين مثل ما أحرزه أبو الأحرار من الفتح المبين والنصر العظيم، فها هي الدنيا تعجّ بذكره، وتشيد بشخصيّته، وها هو مرقده الشريف قد أُحيط بهالة من التعظيم لم يظفر بمثله أي مرقد من مراقد أولياء الله تعالى، فقد صار كعبة للمسلمين متّنقين ومختلفين، وزوّاره أكثر من حجّاج بيت الله الحرام.

وفي هذه السنة ١٤٢٧هـ كان عدد زوّاره الذين تشرّفوا بزيارته بمناسبة الزيارة الأربعينيّة أكثر من عشرة ملايين زائر مشياً على الأقدام من العراق وخارجه.

لقد فاز الإمام العظيم بالنصر العظيم الذي لم يظفر به أحد غيره من المصلحين

---

(١) ديوان السيّد حيدر الحلي: ١: ١١٠.

وعظماء البشريّة. فقد أصبح رمزاً للكرامة الإنسانيّة. وأعزّ مثال لشهداء الفضيلة والحقّ.

لقد رفع أبو الأحرار راية الإسلام عالية خفّاقة. وهي ملطّخة بدمه الزكي. وهي تضيء في رحاب الدنيا. وتفتح الآفاق الكريمة لشعوب العالم أن يهبّوا لكرامتهم. ويقاوموا الظلم والجور والاستبداد.

لقد استشهد أبو الأحرار من أجل أن يقيم في هذا الشرق حكومة القرآن. وينقذ الإنسان من ظلم الأمويّين وجورهم.

إجراءات مروّعة

وعمدت القيادة العسكريّة بعد شهادة الإمام العظيم إلى اتّخاذ الإجراءات القاسية التي دلّت على حقدها الدفين على آل النبيّ. وتجرّدها من جميع القيم الإنسانيّة. وتسلّحها بجميع الرذائل والموبقات. كان منها ما يلي:

١ ـ حرق الخيام

وأسرع الأخباث اللئام إلى حرق خيام الإمام الحسين التي تضمّ عقائل النبوّة ومخدّرات الوحي. وهم ينادون: «احرقوا بيوت الظالمين».

بيوت آل النبيّ التي رفع الله قدرها. وطهّرها تطهيراً من الرجس في عرف عبيد ابن مرجانة بيوت الظلم. وبيوت السفكة المجرمين تصبح بيوت العدل والكرامة. وحينما التهبت النار في الخيم فرزن السيّدات من عقائل النبوّة في البيداء والنار تلاحقهنّ. أمّا اليتامى فقد علا صراخهم. وتعلّقوا بعمّتهم سيّدة نساء العالمين زينب لتحميهم من النار. وكان هذا المنظر المروّع يلاحق الإمام سيّد الساجدين وزين العابدين في جميع فترات حياته. فكان يقول:

« واللهِ ما نَظَرْتُ إلىٰ عَمّاتي وَأَخَواتي إلّا وَخَنَقَتْني الْعَبْرَةُ ، وَتَذَكَّرْتُ فِرارَهُنَّ يَوْمَ الطَّفِّ مِنْ خَيْمَةٍ إلىٰ خَيْمَةٍ ، وَمِنْ خِباءٍ إلىٰ خِباءٍ ، وَمُنادي الْقَوْمِ يُنادي أَحْرِقوا بُيوتَ الظّالِمين » .

لقد كان هذا جزاء النبيّ من أُمّته . فقد قابلوا ذرّيّته بجميع ألوان الظلم والجور . ولم يأتِ هذا الظلم إلّا من يوم السقيفة . ومن الشعار الذي رفعه عمر بن الخطّاب : « أبت قريش أن تجتمع النبوّة والإمامة في بيت واحد » . فكانت هذه النتائج المروّعة امتداداً للسقيفة وللشورى العمريّة . وهو أمر واضح لا يحتاج إلى الاستدلال .

٢ ـ سلب جثّة الإمام

واقترف أرجاس الجيش الأموي جميع ألوان الرذائل ، فهرعوا إلى سلب جثّة الإمام العظيم . فنهبوا ما عليها من لامة حرب ، وما عليها من ثياب ، فأخذ رجل من بني نهشل سيف الإمام ، وهو سيف رسول الله ﷺ المسمّى بذي الفقار ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفة الإمام ، وكانت من خزّ ، فعيب عليه ، وسمّي قيس القطيفة ، وسلب قميصه إسحاق بن حوية ، وأخذ الأخنس بن مرثد عمامته ، وأخذ بجير سراويله فلبسها ، فصار زمناً مقعداً ، ولم يتركوا على جثمان الإمام إلّا السراويل التي عمد إلى تمزيقها حتّى لا تسلب منه .

وجاء الرجس الخبيث بجدل فنتّش عن مغنم يجده على جسم الإمام فلم يجد شيئاً عليه إلّا نهب ، فرأى خاتم الإمام في يده وقد بنت عليها الدماء ، فعمد إلى قطع إصبع الإمام واستخرج الخاتم منه ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

٣ ـ سلب حرائر النبوّة

وعمد الأرجاس عبيد ابن مرجانة إلى سلب حرائر النبوّة ، وعقائل الوحي ، فنهبوا ما عليهنّ من حلي وحلل ومال ، فأسرع رجس بخسّة ووحشيّة إلى السيّدة

أُمّ كلثوم فسلب قرطيها، وأسرع خبيث نحو السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين فانتزع خلخالها وهو يبكي، وعجبت من بكائه فقالت له: ما لك تبكي ؟

- كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله.

ولمّا رأت تعاطفه طلبت منه أن لا يسلبها، وراح الحقير الدنس يبدي جشعه قائلاً: أخاف أن يأخذه غيري.

وعمد الأنذال إلى نهب ما في الخيام من ثقل ومتاع، وهجم المجرم شمر بن ذي الجوشن على ثقل الإمام الحسين فوجد فيه ذهباً، فنهبه ودفع بعضه لزوجته لتصوغه حليّاً، فجاءت به إلى الصائغ، فلمّا أدخله النار صار هباء[1].

لقد تجرّد الجيش الأموي من كلّ نزعة إنسانيّة، فكانوا مجموعة من اللصوص والخونة والأنذال.

٤ ـ ضرب عقائل الوحي

وجعل الأنذال يوسعون بنات رسول الله ﷺ ضرباً بكعوب رماحهم، وهنّ يلذن بعضهنّ ببعض من الرعب والخوف، وقد سقطت السيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين من شدّة الضرب مغشيّاً عليها، فلمّا أفاقت رأت عمّتها السيّدة أمّ كلثوم تبكي عند رأسها[2].

إنّ المأساة المروّعة التي حلّت بعائلة آل النبيّ ﷺ تذوب منها القلوب ويبكي منها الجماد.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ٣: ٣٠١.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / السيّد عبدالرزّاق المقرّم: ٣٧٠.

٥ ـ الهجوم على الإمام زين العابدين عليه السلام

وهجم الفجرة البغاة عبيد ابن مرجانة على الإمام زين العابدين ، وكان مريضاً ، قد أنهكته العلّة ، وأضرّ به الأسى ، ومزّقت أحشاءه رزايا كربلاء ، وأراد الخبيث الدنس شمر بن ذي الجوشن قتله ، فنهره حميد بن مسلم ، وقال له :

« سبحان الله ! أتقتل الصبيان ، إنّما هو مريض » .

فلم يعن به ، وبادرت عقيلة بني هاشم عمّته زينب فتعلّقت به وقالت : « لا يقتل حتّى أُقتل دونه » ، فكفّ عنه ، وقد نجا منهم بأعجوبة .

٦ ـ التمثيل بالجثمان العظيم

واقترف الجيش الأموي كلّ منكر وإثم ، فقد أمر الرجس الخبيث ابن سعد الجيش بأن يوطئوا بخيلهم صدر الإمام وظهره تنفيذاً لأوامر سيّده الخبيث ابن مرجانة[١] ، وبادر الشمر بفرسه فوطئ الجثمان المقدّس وتبعه عشرة من أولاد البغايا ، فداسوا بخيولهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله مقبلين ومدبرين ، حتّى ألصقوا الجثمان العظيم بالأرض[٢] ، وقد افتخر الخبيث بذلك أمام ابن سعد قائلاً :

نَحْنُ رَضَضْنا الصَّدرَ بَعْدَ الظَّهرِ ... بِكُلِّ يَعبوبٍ شَديدِ الأَسْرِ[٣]

وجرى هذا التمثيل الفظيع أمام ابن سعد وسائر قادة الفرق من جيشه ، وقد أعلن هؤلاء الفجرة بهذا العمل الفظيع عن حقدهم البالغ على الإمام والتنفيذ الكامل لأوامر ابن مرجانة .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك : ٦ : ١٦١ .

(٢) البداية والنهاية : ٨ : ١٨٩ .

(٣) اللهوف : ٨٠ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٣٩ .

لقد داسوا جسد الإمام الذي تربّى في كنف رسول الله ﷺ . وتغذّى بعواطفه ومثله . وقال ﷺ فيه : « **حُسَيْنٌ مِنِّي وَأنا مِنْ حُسَيْنٍ . أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً** »(١) .

لقد داسوا ذلك البدن الطاهر الذي أراد أن يزيل الظلم والجور ويقيم في الشرق العربي حكومة القرآن . ويظهر العدل في الأرض .

٧ ـ عدم مواراة الإمام عليه السلام

وعمد الخبيث ابن سعد إلى مواراة جيف قتلاهم . ولم يوار جثّة الإمام وجثث أهل بيته وأصحابه الذين هم خيرة أهل الأرض . فقد تركوها ملقاة على صعيد كربلاء تصهرها الشمس . وتسفي عليها الرياح . وقد انبرى جماعة من المؤمنين الذين لم يتلوّثوا بجريمة الاشتراك في حرب ريحانة رسول الله ﷺ إلى مواراتها . وقد أصبحت تلك القبور الطاهرة رمزاً للكرامة الإنسانيّة . ورمزاً لكلّ فضيلة في الإسلام . فما أظلّت قبّة السماء مكاناً أفضل ولا أنور ولا أزكى من تلك المراقد الشريفة التي ضمّت خلاصة الإباء والشرف والكرامة . ومن حقّها أن تكون نبراساً لجميع بني الإنسان . وتكون هدفاً لكلّ ثورة تقوم على الحقّ والعدل .

سبايا أهل البيت في الكوفة

من الجرائم التي اقترفتها السلطة الأمويّة سبي عقائل النبوّة ومخدّرات الوحي . فقد حملت من كربلاء إلى الكوفة . وهنّ بحالة من الذلّ والهوان . وحمل الإمام زين العابدين على بعير بغير وطاء وأوداجه تشخب دماً وهو مقيّد . وانبرت إحدى السيّدات فسألت إحدى عقائل الوحي قائلة : من أيّ الأُسارى أنتن ؟

- نحن أُسارى أهل البيت .

---

(١) كامل الزيارات : ١١٦ ، الحديث ١٢٦ .

فصرخت المرأة وأسرعت إلى بيتها ، فجمعت ما فيه من أُزر ومقانع وحملته إلى العلويّات ليستترن بها عن أعين الناس . كما بادرت امرأة أُخرى فجاءت بطعام وتمر وقدّمته إلى الصبية الذين أنهكهم الجوع ، فنادت السيّدة أُمّ كلثوم من خلف الركب : إنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت .

ولمّا سمعت الصبية التي تربّت على الفضيلة والكرامة مقالة العقيلة رمى كلّ واحد منهم ما في يده أو فمه من الطعام على ما فيهم من الجوع ، وراح يقول : إنّ عمّتي تقول : إنّ الصدقة حرام علينا أهل البيت .

وأظهر ابن مرجانة الفرح والسرور بإبادته لعترة رسول الله ، وقد استقبل السبايا وهو جذلان ، فرأى امرأة منحازة في ناحية من مجلسه وعليها أرذل الثياب ، قد احتفّت بها السيّدات ، فقال : مَن هذه التي انحازت ناحية ومعها نساؤها ؟

فترفّعت عن إجابته استهانة به ، واحتقاراً له ، وانبرت إحدى السيّدات فقالت له : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله .

فالتاع الخبيث وتميّز غيظاً لاحتقارها له ، فاندفع يظهر الشماتة بلسانه الألكن قائلاً : الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم ، وأبطل أُحدوثتكم .

فانبرت حفيدة رسول الله بشجاعة جدّها وأبيها قائلة : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً ، إنّما يفتضح الفاسق ، ويكذب الفاجر ، وهو غيرنا يابن مرجانة .

لقد قالت هذا القول الصارم وهي والخفرات من آل محمّد ﷺ في قيد الأسر ، قد نصبت فوق رؤوسهنّ حراب الفاتحين ، وشهرت عليهنّ سيوف الطغاة ، فلم ترتهب لسلطانه ، ولم تخف من سطوته ، وعرفته أنّها الطاهرة الزكيّة ، وهو وأمثاله من اللقطاء هم النسقة المفتضحون ، ولم يجد الحقير المنهزم مجالاً يلجأ إليه سوى التشفّي قائلاً : كيف رأيت فعل الله تعالى بأخيك ؟

فأجابته حفيدة الرسول ببسالة وصمود قائلة: ما رأيت إلّا جميلاً. هؤلاء قوم كتب الله تعالى عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله تعالى بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أُمّك يابن مرجانة.

لقد ضربته بحذائها على فمه الأنكن، وفقد الرجس الخبيث صوابه من هذا التبكيت الموجع، وتميّز غيظاً وغضباً، وهمّ أن يُنزل بها العقوبة، فنهاه ابن حريث عن ذلك، وقال له: إنّها امرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال له: أما ترى كيف تجرّأت عليّ.

من أنت يابن مرجانة ومن أُمّك حتّى تجرّأت عليك سليلة النبوّة وبقيّة الشرف والكرامة في الأرض.

فالتفت الحقير إلى سيّدة النساء مظهراً لها التشفّي قائلاً: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

وغلب على الصدّيقة الزكيّة الحزن، فقالت له بلوعة وأسى: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبدت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

وسكن غضب ابن مرجانة وراح يقول: هذه سجّاعة، لعمري لقد كان أبوها سجّاعاً شاعراً.

فردّت عليه سليلة النبوّة قائلة: إنّ لي عن السجاعة لشغلاً، ما للمرأة والسجاعة[1].

ما ألأم هذه الحياة، وما أخسّها التي جعلت الصدّيقة الطاهرة أسيرة عند هذا الرجس الخبيث. يقول الشاعر العربي:

---

(١) المنتظم: ٥: ٩٨.

إنْ كانَ عِندكَ يا زَمانُ بَقِيَّةٌ مِمّا يُضامُ بِهِ الكِرامُ فَهاتِهِ

إنّ هذه الأحداث المروّعة التي حلّت بأهل بيت النبوّة إنّما هي من النتائج المباشرة لمؤتمر السقيفة الذي صمّم على التنكيل بأهل البيت، وإبعادهم عن مراكزهم التي أقامهم الله ورسوله فيها. فقد اندفع ابن الخطّاب بحرارة وحماس رافعاً صوته: «لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد».

وقال مرّة أخرى: «أبت قريش أن تجتمع النبوّة والإمامة في بيت واحد».

والله تعالى هو الحاكم بين ما جرى على أهل البيت من الرزايا والمصائب وبين خصومهم الذين أبوا أن لا تجتمع النبوّة والإمامة في بيت واحد.

ثورة ابن عفيف

وعقد الخبيث ابن مرجانة اجتماعاً عامّاً في المسجد الأعظم حضرته القوّات المسلّحة وسائر أبناء الشعب، فاعتلى المنبر مزهوّاً فخوراً بإبادته لعترة النبيّ ﷺ، فقال: الحمد لله الذي أظهر الحقّ وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب الحسين بن عليّ وشيعته.

ولم يتمّ الخبيث خطابه حتّى انبرى إليه البطل العظيم عبدالله بن عفيف الأزدي، الذي وهب حياته لله تعالى، وكان ضريراً، ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل، والأُخرى بصفّين مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من خيار الشيعة، وكان يتعبّد في المسجد، فلمّا سمع هراء هذا الكلب صاح به بعنف: يابن مرجانة، الكذّاب ابن الكذّاب أنت وأبوك، والذي ولّاك وأبوه.

يابن مرجانة، أتقتلون أولاد النبيّين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين.

وطاش لبّ الطاغية، فقد أطاحت هذه الكلمات بزهوه وجبروته، فصاح كالكلب المسعور: من هذا المتكلّم؟

فأجابه بشجاعة وعدم مبالاة لسلطانه وجبروته قائلاً: أنا المتكلّم يا عدوّ الله، أتقتلون الذرّيّة الطاهرة التي أذهب الله تعالى عنهم الرجس وتزعم أنّك على دين الإسلام، واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار، لينتقموا من طاغيتك ـ يعني يزيد ـ اللعين ابن اللعين على لسان محمّد رسول ربّ العالمين.

وتبدّد جبروت الطاغية، وذهبت نشوة أفراحه، وعلا الضجيج من جميع جنبات الجامع، وتطلّع الناس إلى هذا القائل الذي حكى ما في عواطفهم، وكانت هذه الصيحة أوّل ثورة على ابن زياد، وصاح بجلاوزته وعبيده: علَيَّ به.

وبادرت الجلاوزة لتختطفه، فنادى ابن عفيف بشعار أُسرته، فأسرعت إليه وأنقذته من ابن زياد، وقد تميّز من الغيظ وانتفخت أوداجه، فقطع خطابه وولّى إلى القصر، وأصدر أوامره المشدّدة بإلقاء القبض عليه، فأسرعت الجلاوزة إلى داره، وبعد مقاومة شديدة استطاعت أن تلقي القبض عليه، وجاءت به إلى الطاغية الفاجر، فأسرع قائلاً: الحمد لله الذي أخزاك.

فأجابه ابن عفيف بمنطقه الفيّاض: بماذا أخزاني؟

وأراد ابن مرجانة أن يستحلّ دمه، فسأله عن شيخ الأمويّين عثمان بن عفّان قائلاً: ما تقول في عثمان؟

وسدّد له البطل سهماً، فقال له: ما أنت وعثمان، أساء أم أحسن، أصلح أم أفسد، إنّ الله تعالى وليّ خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بالعدل والحقّ، ولكن سلني عن أبيك وعنك وعن يزيد وأبيه.

ورأى الطاغية أنّه أمام بطل صعب المراس، عالمٍ بمساوئ أبيه زياد وموبقات يزيد وجرائم أبيه معاوية، فقال له: لا سألتك عن شيء أو تذوق الموت غصّة بعد غصّة.

فانبرى ابن عفيف غير حافل بالموت قائلاً: الحمد لله ربّ العالمين، أما إنّي كنت

أسأل ربّي أن يرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أمّك ، وسألت الله تعالى أن يجعلها على يدي ألعن خلقه ، وأبغضهم إليه ، ولمّا كفّ بصري يئست من الشهادة ، أما الآن فالحمد لله الذي رزقنيها بعد اليأس ، وعرّفني الإجابة في قديم دعائي .

وفقد الخبيث صوابه ، فأمر بإعدامه ، وصلبه بالسبخة ، فقامت الجلاوزة بذلك ، وانتهت حياة هذا المجاهد العظيم الذي وهب حياته لله ، وقال كلمة الحقّ في أحلك الظروف وأشدّها قسوة وبلاءً .

السبايا في الشام

وحُملت ودائع النبوّة وعقائل الوحي سبايا إلى الشام ، يُطاف بهنّ الأقطار لإظهار سرور الأمويّين بإبادتهم لعترة رسول الله ﷺ ، وقوّة سلطانهم ، وسعة نفوذهم ، وعمدت الجلاوزة إلى السيّدات من بنات رسول الله ﷺ وسائر الصبية فربقوهم بالحبال كما تربق الأغنام ، فكان الحبل في عنق الإمام زين العابدين إلى عنق عمّته زينب وباقي بنات رسول الله ﷺ ، وكانوا كلّما قصروا عن المشي أوسعوهم ضرباً بالسياط ، وجاءوا بهم على مثل هذه الحالة من الذلّ والهوان إلى قصر الطاغية ، وكان يزيد مطلاً في قصره على جيرون ، فلمّا نظر إلى الرؤوس والسبايا غمرته الأفراح والمسرّات وراح يقول :

لَمّا بَدَتْ تِلكَ الحُمولُ وَأَشْرَفَتْ ... تِلكَ الرُّؤوسُ على شَفا جيرونِ

نَعِبَ الغُرابُ فَقُلتُ : قُلْ أَوْ لا تَقُلْ ... فَلَقَدْ قَضَيتُ مِنَ النَّبيِّ دُيوني[1]

لقد استوفى حفيد أبي سفيان من النبي ثأره بإبادته لعترته وذرّيته وقد وجد في ذلك متعة نفسيّة له .

---

(١) تفسير روح المعاني : ٢٦ : ٧٢ . تذكرة الخواص : ٢ : ١٤٨ .

السبايا في مجلس يزيد

وأُدخلت سبايا آل النبيّ ﷺ في مجلس الطاغية، وهم في حالة مروّعة من الذلّ والهوان، فالتفت الإمام زين العابدين إلى الطاغية وقال له: **ما ظَنُّكَ بِجَدِّنا رَسولِ اللهِ ﷺ لَوْ رَآنا عَلىٰ مِثْلِ هٰذِهِ الْحالَةِ ؟**

فأمر الطاغية الناجر بالحبال فقطعت، وجعل يترنّم بأبيات ابن الزبعرى وهو مزهوّ فرح بما أحرزه من النصر قائلاً:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالُوا يا يَزيدُ لا تُشَلْ

قَدْ قَتَلْنَا الْقَرْمَ مِنْ ساداتِهِمْ ... وَعَدَلْناهُ بِبَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

لَعِبَتْ هاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلا ... خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ

لَسْتُ مِنْ خِنْدِفَ إِنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بَني أَحْمَدَ ما كانَ فَعَلْ[1]

خطاب العقيلة زينب

وانبرت سليلة النبوّة وسيّدة النساء إلى الطاغية فخطبت خطبتها الرائعة التي هي من نفحات النبوّة ومن متمّمات النهضة الحسينيّة، فقد أبرزت القيم الأصيلة في ثورة أخيها بطل الإسلام، ودلّلت على وضاعة يزيد وحقارته، ووضاعة أُسرته، ولئيم طباعه، وخبث عنصره، قائلة له في جملة من خطابها الخالد: **إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ، وَأَسْتَكْثِرُ تَوْبِيخَكَ.**

أرأيتم هذه الإهانة وهذا التقريع والاستهانة من سليلة النبوّة، فقد كلّمته بسموّ

---

(١) الاحتجاج: ٢: ٣٤. تاريخ اليعقوبي: ٨: ١٨٧، الحديث ١٨٨.

عظمتها، وعظيم شأنها غير حافلة بسلطانه وبطشه وجبروته، ثمّ التفتت إليه وقالت له:

«فَكِدْ كَيْدَكَ، وَاسْعَ سَعْيَكَ، وَناصِبْ جُهْدَكَ، فَوَاللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنا، وَلَا تُمِيتُ وَحْيَنا، وَلَا تُدْرِكُ أَمَدَنا، وَلَا تَدْحَضُ عَنْكَ عارَها.

وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَد، وَأَيّامُكَ إِلَّا عَدَد، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَد، يَوْمَ يُنادِي الْمُنادي: أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظّالِمينَ».

وأنزلت سيّدة النساء الطاغية من قصره إلى قبره، وعرّفته أنّه لا قيمة له أمام الأسرة النبويّة التي هي بقيّة الله تعالى في أرضه، وأنّه مهما بذل من جهد في مناهضتهم والتنكيل بهم، فإنّ ذلك لا يحطّ من شأنهم، ولا يضعضع كيانهم القائم على الحقّ والعدل، وأنّه مهما تطاولت السنين فإنّ ذكرهم ومجدهم يسمو على كلّ شيء.

لقد برز أبو الأحرار والشهداء كأعظم قائد عرفته الإنسانيّة في تاريخها، وأنّه قد احتلّ عواطف الناس وقلوبهم، وحقّاً هذا هو النصر الذي لم يحرز مثله أي مصلح اجتماعي في الأرض قبله ولا بعده، وبهذا نطوي الحديث عن أهمّ الأحداث الجسام في عصر المختار، والتي تركت بصماتها في أعماق نفسه ودخائل ذاته، ودفعته إلى الثورة على أعداء الله تعالى في قتلهم لسيّد الشهداء.

امتدادات الثورة الحسينيّة

إنّ ما جرى على الإمام الحسين عليه السلام في صعيد كربلاء من الرزايا والنكبات، وما حلّ بعائلة النبوّة بعد شهادته، السبي الذي قد ألهب عواطف المسلمين وهزّ كيانهم، وهاموا في تيّارات من الأسى والحزن لعدم قيامهم بنصرته، والذبّ عنه حتّى استشهد، وهو سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وألصق الناس به.

لقد أثارت كارثة كربلاء موجة من القلق النفسي في نفوس المسلمين، ودفعتهم

إلى العمل السياسي للاطاحة بالحكم الأموي والانتقام من السفكة المجرمين الذين انتهكوا حرمة الله ، وحرمة رسوله ، وسعوا في الأرض فساداً .

لقد هبّت الشعوب الإسلاميّة كالمارد الجبّار بعد شهادة أبي الأحرار ، وهي تعلن سخطها العارم على الحكم الأموي البغيض ، وتعمل جاهدة على إسقاطه وإزالة هذا الكابوس المدمّر الذي امتحن به المسلمون كأشدّ ما يكون الامتحان .

وقد تلاحقت الثورات وامتدّت ، فشملت العالم الإسلامي ، وكان من بينها :

أوّلاً: ثورة المدينة

من الثورات الخالدة في الإسلام ثورة المدينة التي انتهك فيها يزيد حرمة عاصمة الرسول ﷺ ، وأباح فيها دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم لجيشه المتمرّد على جميع القيم والأعراف ، وتأتي هذه الثورة بعد كارثة كربلاء في رزاياها ، فقد برزت فيها جاهليّة يزيد وأضغان الأمويّين وأحقادهم على النبيّ ﷺ ، ولا بدّ لنا من وقفة قصيرة للحديث عنها لأنّ لها أثراً بالغاً في نفس المختار المؤمن بدينه وغيرته على مقدّسات المسلمين ، وفيما يلي ذلك :

أسباب الثورة

أمّا الأسباب التي حفّزت المدنيّين على الثورة على يزيد فهي ـ فيما أحسب ـ

١ ـ شهادة الإمام الحسين عليه السلام

من أهمّ الأسباب التي حفّزت المدنيّين لإعلان الثورة على يزيد هي شهادة ريحانة رسول الله ﷺ وما جرى عليه من صنوف التنكيل ، وما عانته عقائل الوحي من الأسر والسبي ، فقد ألهبت مشاعر المسلمين وعواطفهم هذه الأحداث المروّعة ، وممّا زاد في غضب المدنيّين خروج السيّدات العلويّات بمظاهرات صاخبة وهنّ يندبن سيّد الشهداء بأشجى ندبة ، وقد قادت إحدى المظاهرات

السيّدة زينب بنت عقيل ، وهي تخاطب المسلمين بهذه الأبيات الرقيقة :

ماذا تقولون إنْ قال النَّبيُّ لَكُمْ ... ماذا فَعَلْتُمْ وأَنتُمْ آخِرُ الأُمَمِ
بِعترَتي وبِأهلي بَعدَ مُفْتَقَدي ... مِنهُمْ أُسارى ومِنهُمْ ضُرِّجوا بِدَمِ
ما كانَ هذا جَزائي إذْ نَصَحتُ لَكُمْ ... أنْ تخلُفُوني بِسوءٍ في ذَوي رَحِمي (١)

ماذا يقولون ؟ وبماذا يعتذرون إلى النبيّ في إبادتهم لعترته وسبي عقائله .

ومن المؤكّد أن جميع ما جرى على العترة الطاهرة يستند إلى أحداث السقيفة والشورى ، فإنّهما جرّا إلى العترة هذه المآسي المروّعة .

كما ألقت سليلة النبوّة وسيّدة النساء خطبها الحماسيّة في الجامع النبوي وهي تنعى أخاها سيّد الشهداء وتحفّز الجماهير على الطلب بثأره ، وقد عرضت مصادر التاريخ والتراجم إلى خطبها .

وعلى أي حال ، فإنّ ما جرى على آل البيت عليهم السلام من النكبات والخطوب كان من بواعث ثورة المدينة .

٢ ـ فسق يزيد

من أسباب ثورة المدينة استهتار يزيد ، وإعلانه الفسق والفجور ، فلم يكد يخفى على أحد اقترافه لكلّ ما حرّم الله تعالى من الخلاعة والإثم والفجور ، وقد رأى الأخيار والمتحرّجون في دينهم أنّ الخروج على حكومة يزيد واجب شرعي يسأل عنه المسلم أمام الله تعالى ، وقد أدلى بذلك عبدالله بن حنظلة ، وهو من زعماء الثورة ، قال : « والله ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء .

---

(١) أنساب الأشراف : ٣ : ٤٢٠ . تاريخ مدينة دمشق : ٦٩ : ١٧٨ و ١٧٩ . تذكرة الخواص : ٢٤٠ .
وقد ورد الشعر في الإرشاد / المفيد : ٢ : ١٢٤ ، وروضة الواعظين : ١٦٣ ، أنّه لأُم لقمان بنت عقيل . وفي بعض المصادر : نسبه لامرأة من بني عبدالمطلب ولم يسمها .

إنّه رجل ينكح الأُمّهات والبنات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً»[١].

وقال المنذر بن الزبير، وهو من أعلام الثورة: «إنّه ـ أي يزيد ـ قد أجازني بمائة ألف، ولا يمنعني ما صنع بي، أن أُخبركم خبره، والله إنّه ليشرب الخمر، والله إنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة»[٢].

إنّ استهتار يزيد واقترافه لما حرّم الله تعالى من إثم هي التي دعت المدنيّين إلى الثورة عليه.

٣ ـ كراهيّة المدنيّين للأمويّين

كره المدنيّون كراهة شديدة الأمويّين لأنّهم يرونهم امتداداً للوثنيّة التي حاربوها، وكذلك كره الأمويّون المدنيّين لأنّ معظمهم قد أجهزوا على عثمان بن عفّان وبايعوا الإمام أمير المؤمنين، وانضمّوا تحت لوائه، وكان أبو أيّوب الأنصاري زعيم الأنصار من أقوى المناصرين للإمام عليّ عليه السلام الذي هو العدوّ الأوّل للأمويّين، وكان يزيد بالذات حاقداً على الانصار بجناحيهم الأوس والخزرج، وهو الذي أوعز إلى الأخطل الشاعر المسيحي بهجائهم، فقال:

لَعَنَ الإلـهُ مِنَ اليَهودِ عِصابَةً ... بِالْجَزعِ بَيْنَ صليصل وصرار[٣]

قَـومٌ إذا هَـدرَ القَـصيرُ رَأَيـتَهُمْ ... حُمْراً عُيونُهُمُ مِـن المِسْـطَارِ[٤]

خَلَوا المَكارِمَ لَسْتُمُ مِـنْ أَهْـلِها ... وَخُذوا مَساحيكُمْ بَـني النَّـجّارِ

---

(١) سير أعلام النبلاء: ٣: ٣٢٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٣٦٨.

(٣) صليصل: صور: من الأماكن القريبة للمدينة.

(٤) المسطار: الخمر الصارعة لشاربها.

إنَّ الفَوارِسَ يَعلَمونَ ظُهورَكُمْ أولادُ كُـلِّ مُـقَبِّحٍ أكّـارِ[١]

ذَهَبتْ قُرَيشٌ بالمَكارِمِ والعلى وَاللُّؤْمُ تحتَ عَمائِمِ الأَنصارِ[٢]

أرأيتم هذا الهجاء للأنصار، فقد جرّدهم من كلّ مكرمة، وعرّاهم من كلّ فضيلة، وجعل اللؤم تحت عمائمهم.

إنّ هذا من العوامل فيما أحسب التي حفّزت المدنيّين على الثورة على يزيد.

طرد حاكم المدينة

وقام الثوّار بطرد حاكم المدينة، وإقصائه عن منصبه، وعزل سائر جهازه من الأمويّين عن مناصبهم، وشكّلوا حكومة مؤقّتة، وكان الحاكم عليهم عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وكان فتى مغروراً، ولمّا اقتصوه جعلوا يرمونه ويقذفونه بالحجارة»[٣].

التجاء مروان للإمام

وفزع مروان وسائر بني أُميّة من الثورة، وخافوا على نسائهم من المدنيّين لأنّهم أساءوا إليهم، وقابلوهم بجميع ألوان التعسّف والاضطهاد طيلة حكمهم.

وخاف مروان على نسائهم أن تنتهك فأسرع إلى عبدالله بن عمر مستجيراً به، فرفض إجابته، فالتجأ إلى معدن الشرف والكرامة الإمام زين العابدين، فأجابه إلى ذلك، وسارع مروان فأخرج نساء الأمويّين وضمّهنّ إلى بيت الإمام، وخرج بهنّ الإمام إلى ينبع للحفاظ عليهنّ، ثمّ إنّ عائشة بنت عثمان بن عفّان زوجة مروان

---

(١) أكار: الحراث.

(٢) طبقات الشعراء: ٤٩٢. تاريخ بغداد: ٣٤: ٢٩٩. العقد الفريد: ٣: ١٤٠.

(٣) الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٥: ٤٧.

خرجت فمرت بالإمام زين العابدين ، فخاف عليها ، فأرسل معها ولده عبدالله محافظاً عليها ، وبقي معها حتّى انتهت الواقعة ، وقفل راجعاً معها إلى المدينة .

وكان عدد النساء اللاتي كنّ في رعاية الإمام أربعمائة امرأة ، ومعهنّ أولادهن وحشمهنّ ، وبقين في رعايته حتّى انتهت الواقعة ، وأقسمت واحدة منهنّ أنّها ما رأت في دار أبيها من الراحة والعيش الهنيء مثل ما رأته في دار الإمام زين العابدين[1] .

ومن الغريب جدّاً أن مسلم بن عقبة القائد العامّ لجيش يزيد لمّا جيء بالإمام إليه بعد انتهاء المعركة ، وكان مروان إلى جانبه ، فأخذت الدهشة القائد من هيبة الإمام ، فقال له مروان : أتعرفه ، إنّه عليّ بن الحسين ، اقتله واحسم الداء ، ولا تبق لهم من بقيّة ، هكذا كان جزاء الإمام من هؤلاء الأنذال الذين لا يعرفون الشرف ولا المعروف ، ويقابلون من أحسن إليهم بالإساءة .

انتداب مسلم بن عقبة للحرب

وانتدب يزيد أخطر مجرم إرهابي وهو مسلم بن عقبة لحرب أهالي مدينة النبيّ ﷺ ويحدّثنا صاحب العقد عن صفته أنّه كان أعور أفغر ثائر الرأس ، كأنّما يقلع رجليه من وحل إذا مشى .

ووصفه النخري أنّه أحد جبابرة العرب ، وكان شيخاً كبيراً لما ندبه يزيد للحرب .

ويقول المستشرق دوزي : «إنّه كان لا يؤمن بالله ولا بالإسلام ، وكان مريضاً ، فلمّا أسند إليه يزيد قيادة الجيش غمره السرور ، وقال له يزيد : إن شئت أن أعفيك فإنّي أراك مدنفاً منهوكاً .

---

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام : ٦٤ .

فقال له الخبيث: نشدتك الله أن لا تحرمني أجراً ساقه الله تعالى»[١].

وصيّة يزيد لابن عقبة

وزوّد يزيد مسلم بن عقبة بهذه الوصيّة الجهنّميّة التي تحكى كفره ومروقه من الدين، وقد جاء فيها: «إذا قدمت المدينة، فمن عاقك عن دخولها أو نصب لك حرباً، فالسيف، السيف، ولا تبق عليهم، وانهبها ثلاثاً، وأجهز على جريحهم، واقتل مدبرهم»[٢].

وحكت هذه الوصيّة نزعات الطاغية التي تحمل الشرّ والحقد على المسلمين والإساءة لهم.

زحف الجيوش للحرب

وزحفت جيوش الكفر والضلال إلى مدينة النبيّ ﷺ، وقد اجتازت على يزيد، وهو واقف على نشز من الأرض يؤدّي لها التحيّة، وقد أحاط به كبار المسؤولين في الدولة وقادة الفرق، وهو مزهوّ فرح بقوّة جيشه، وأنشأ يقول:

أَبْلِغْ أَبا بكرٍ إذا الأَمْرُ الْتَبرى ... وأَشْرَفَ القَومُ وادي القُرى

أَجَمعَ سكرانٍ مِن القَومِ تَرى ... أَمْ جَمعَ يَقظانٍ نَفى عَنْهُ الكَرى[٣]

حكى هذا الشعر ما أعلنه زعماء المعارضة من أنّ يزيداً مدمن على شرب الخمر لا يفيق من سكره، ويقول لهم: إنّ هذه الجيوش التي ساقها لحرب المدينة هل هي منبعثة عن سكران أم عن يقظان قد نفى عنه الكرى.

---

(١) معاوية بن أبي سفيان / عمرو أبو النصر: ٢٦٦.

(٢) التنبيه والإشراف / المسعودي: ٢٦٣.

(٣) التنبيه والإشراف: ٢٦٣. الأخبار الطوال: ٢٦٥.

محاصرة المدينة

وسارت الجيوش تطوي البيداء حتّى انتهت إلى المدينة، ففرضت عليها حصاراً، وطوّقتها من جميع جهاتها. وقام المدنيّون فحفروا الخندق الذي حفره رسول‌الله ﷺ في واقعة الأحزاب. وانبرى شاعر المدينة مخاطباً يزيداً بهذه الأبيات:

إنَّ بِالخَنْدَقِ المُكَلَّلِ بِالمَجْـ ـدِ لَضرباً يُبدي عنِ النَّسَواتِ
لَستَ مِنّا ولَيسَ خالُكَ مِنّا يا مُضيعَ الصَّلاةِ لِلشَّهَواتِ
فَإذا ما قَتَلْتَنا فَتَنَضَّرْ وَاشْرَبِ الخَمْرَ واتْرُكِ الجُمُعاتِ[1]

احتلال المدينة

ولم تتمكّن جيوش الأمويّين من احتلال المدينة، إلّا أنّ الفاجر عبدالملك بن مروان خفّ مسرعاً بإيعاز من أبيه مروان إلى مسلم بن عقبة، فدلّه على عورات البلد، وقد فتح له الطريق لاحتلال المدينة. وقد التحم الجيشان في معركة رهيبة، استشهد فيها البطل المجاهد عبدالله بن حنظلة مع أبنائه، وكوكبة من أبناء المهاجرين والأنصار. وقد فقدت المدينة في هذه المعركة ثمانين رجلاً من أصحاب النبيّ ﷺ، حتّى لم يبق بها أحد من البدريّين، كما فقدت سبعمائة من قريش والأنصار، وعشرة آلاف من سائر الناس[2].

مجازر وفضائح

واقترف الجيش الأموي أفظع الجرائم وأشدّها وحشيّة وإثماً في مدينة النبيّ ﷺ التي هي أوْلى بالرعاية والاحترام من كلّ شيء.

---

(١) التنبيه والإشراف: ٢٦٣.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك: ٧: ٥ ـ ١٢.

لقد هتك المجرم الدنس مسلم بن عقبة حرمة مدينة رسول الله ﷺ، فقد سمّاها فتنة[١]، وسمّاها النبيّ طيبة، وأباحها لجيشه الآثم، فراح يمعن بلا تردّد في قتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال، وهتك الأعراض، وأخذ البيعة لمن بقي منهم أنّهم خول وعبيد ليزيد بن معاوية[٢]، يفعل بهم ما يشاء.

وقد تحدّث عن محنتهم السيّد مير علي الهندي بقوله: «وقد استشهد في تلك المعركة التي كانت وبالاً على الإسلام من نواحٍ عديدة زهرة أهل المدينة من الفرسان، ومن خيرة أصحاب رسول الله ﷺ.

وهكذا أباح الأمويّون المدينة ودنّسوا ذلك البلد الذي آوى الرسول مدّة حياته، والذي كان مهبط رسالته. وقد قاسى أهلها الذين آووا الرسول وبذلوا أنفسهم دونه في ساعة العسرة أقسى ألوان العذاب، وأشدّ أنواع الفظائع التي لم يكن لها مثيل في التاريخ سوى التي ارتكبها كونستامل الفرنسي وما يماثلها من ضروب الوحشيّة التي قام بها اللوثريّون من أنصار جورج فرند سيرنج عند حصار روما.

ولا غرو فقد حوّل جند يزيد الجامع إلى اصطبل لخيولهم، وهدموا الحرم والأماكن المقدّسة لسلب ما فيها من أثاث ومتاع، وهكذا شاء القدر أن تنتصر الوثنيّة ولو مرّة ضدّ الإسلام، تلك الوثنيّة التي أخذت ثأرها من الإسلام في هذه المرّة على ما يقوله مؤرّخ أوروبي، وهكذا يردّ للإسلام ما أظهره نحوهم من رحمة ورفق ساعة انتصاره عليهم. وأمّا خيرة أهل المدينة، فمنهم من قتل، ومنهم من فرّ لينجو بحياته إلى بعض الأقطار النائية، وأمّا القليل منهم ممّن ظلّ بالمدينة فقد أصبحوا سبايا وعبيداً ليزيد، ومن أبى منهم كان يكوى بالنار ليوسم بتلك السمة المخزية»[٣].

---

(١) مروج الذهب: ٣: ١٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء: ١: ٢٠٦.

(٣) معاوية بن أبي سفيان: ٢٦٥ و ٢٦٦.

الرؤوس بين يدي يزيد

وأمر الطاغية المجرم مسلم بن عقبة بحزّ رؤوس الشهداء وبعثها هديّة إلى سيّده الطاغية الفاجر يزيد بن معاوية. فلمّا وضعت بين يديه سرّ بذلك وطار فرحاً. وجعل يترنّم بقول ابن الزبعرى:

لَيْتَ أَشْياخي بِبَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً ... ثُمَّ قالُوا يا يَزيدُ لا تُشَلْ

واستشهد يزيد بهذا الشعر حينما وضع رأس ريحانة رسول الله ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين عليه السلام بين يديه. كما مرّ.

لقد تمنّى الطاغية الفاجر حضور آبائه القرشيّين الذين حصدت رؤوسهم سيوف المسلمين في واقعة بدر. فقد أخذ بثأرهم واستوفاه بقتل الأخيار والمصلحين من أبناء يثرب.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن هذه الواقعة. وقد وعاها المختار واطّلع على فصولها الحزينة. ممّا ترك تصدّعاً في نفسه. وحزناً عميقاً على ما اقترفه الجناة من الفظائع التي دلّت على كفرهم ومروقهم من الدين.

لقد دفعته الأحداث المروّعة التي منيت بها مدينة النبيّ ﷺ إلى العمل الجادّ للثورة على الحكم الأموي. والإطاحة بهذا الكابوس الذي خيّم بظلامه وظلمه على حياة الناس.

ثانياً: ثورة ابن الزبير

من الثورات التي سفكت فيها الدماء الغزيرة ثورة ابن الزبير. الذي استطاع أن يسيطر على معظم أنحاء الدولة الإسلاميّة. وقد انضمّ إليه المختار. وصار من أهمّ

أعوانه ومؤيّديه، وقبل التحدّث عن ثورة ابن الزبير نعرض إلى بعض ملامح شخصيّته، وإلى موقفه من شهادة الحسين عليه السلام، وغير ذلك ممّا يتّصل بالموضوع.

مظاهر شخصيّته

لم تكن في عبدالله بن الزبير نزعة شريفة تؤهّله إلى الخلافة، فقد كان شديد البخل، ويضرب المثل بشحّه، وفيه يقول الشاعر:

رَأَيْتُ أَبـــا بَكـــرٍ وَرَبُّكَ غـالِبٌ عَلىٰ أَمْرِهِ يَبْغي الخِلافَةَ بِالتَّمرِ[١]

وهجاه أبو حرّة بقوله:

ما زالَ في سورَةِ الأَعرافِ تدرسها حَتّىٰ فُؤادِيَ مِثْلُ الخَزِّ في اللّينِ
لَوْكانَ بَطْنُكَ شِبْراً قد شبِعْتَ وَقَدْ أَفْضَلْتَ فضلاً كَبيراً لِلْمساكينِ

ويقول الضحّاك بن فيروز الديلمي في هجائه:

تـــخبرنا أَنْ سَـــوفَ يَكْـفيكَ قَـبضَةٌ وَبَـــطْنُكَ شِـبْراً أَو أَقَـلُّ مِـنَ الشِّـبْرِ
وَأَنْتَ إذا مـــا نِـلتَ شَـيئاً قَـضَمتَهُ كَما قَضَمَتْ نارُ الغَضا حَطَبَ السّدرِ[٢]

ويقول ابن طباطبا: «كان عظيم الشحّ، فلذلك لم يتمّ أمره»[٣].

وقال فيه عبدالملك: «إنّ ابن الزبير لا يصلح أن يكون سائساً، وكان يعطي مال الله تعالى كأنّه يعطي ميراث أبيه»[٤].

---

(١) المعارف: ٢٢٥، وفيه: «كان يكنى عبدالله بن الزبير أبابكر».
(٢) أنساب الأشراف: ٤: ٢٧.
(٣) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ٢٤٠.
(٤) الفخري: ١٠٥.

وفي المثل العربي ليس هناك رجل يفوق ابن الزبير في الشجاعة والبخل.

وقال زيد بن عليّ الجذعاني: «كانت فيه ـ أي عبدالله بن الزبير ـ خلال لا تصلح معها الخلافة؛ لأنه كان بخيلاً ضيّق العطن، سيّئ الخلق، حسوداً، كثير الخلاف، أخرج محمّد بن الحنفيّة، ونفى عبدالله بن عبّاس إلى الطائف»[١].

وفي أيّام حكمه القصيرة عانت الموالي الضيق والحرمان، وفيه يقول شاعرهم:

إنَّ المَـوالِـيَ أمْسَتْ وَهـيَ عـانِيَةٌ ... عَلى الخَليفَةِ تَشْكو الجوعَ والسَّغَبا
مـاذا عَـلَينا وَمـاذا كـانَ يَـرْزَأُنـا ... أَيُّ المُلوكِ عَلى مَن حَولَنا غَلَبا[٢]

١ ـ الرياء

وأظهر ابن الزبير النسك والعبادة والتقشّف تصنّعاً ورياء لصيد البسطاء، وإغراء السذّج، ووصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**يَنْصُبُ حُبالَةَ الدِّينِ لاِصْطِفاءِ الدُّنْيا**»[٣].

ومن مظاهر كيده وخداعه أنّه مضى إلى صفيّة بنت أبي عبيد أخت المختار، فبيّن لها أنّ خروجه على يزيد وتصدّيه للخلافة كان غضباً لله ورسوله، وإنكاراً لمنكر يزيد، وطلب منها أن تتوسّط في شأنه مع زوجها عبدالله بن عمر ليبايعه، واستجابت لطلبه، فلمّا قفل زوجها إلى الدار عرضت عليه دعوة ابن الزبير، وألحّت عليه في ذلك، وكان عالماً بحاله وزيف دعوته فقال لها: «أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحجّ عليها الشهباء، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ»[٤].

---

(١) فوات الوفيات: ١: ٤٤٨.
(٢) مروج الذهب: ٣: ٢٢.
(٣) المعارف: ٢٢٥، وفيه: «كان يكنى عبدالله بن الزبير أبابكر».
(٤) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ٩٥.

كما امتنع ابن عبّاس من البيعة له لأنه لم يرَ في خروجه على الحكم الأموي وجه الله تعالى، وإنقاذ المسلمين من جور الأمويّين وظلمهم، وإنّما كان يبغي الملك والسلطان والظفر بخيرات البلاد ليملأ بطنه التي كانت شبراً على حدّ تعبيره من أموال الحرام.

ومن ريائه وخداعه للبسطاء قوله: «إنّما بطني شبر، فما عسى أن تسع ذلك من الدنيا، وأنا العائذ بالبيت، والمستجير بالربّ».

إنّ بطنه التي هي شبر لا يملأها شيء سوى المال الحرام الذي تهالك عليه هو وغيره من عشّاق الملك والسلطان.

ولكن سرعان ما انكشف رياؤه، وظهر أمره، ورحم الله تعالى أبا الحسن التهامي بقوله:

ثَوبُ الرِّياءِ يَشُفُّ عَمّا تَحتَهُ ... فَإِذا التَحَفْتَ بِهِ فَإِنَّكَ عارِي

فقد أدرك رياءه كلّ من صاحبه، وعرفه من الصحابة وأبنائهم.

٢ ـ حقده على أهل البيت

كان ابن الزبير شديد البغض لآل النبيّ ﷺ، فقد عهد إلى ولاته وعمّاله بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مقتدياً بالأمويّين، وقد عرف بعدائه لآل النبيّ ﷺ في حرب الجمل التي قادتها خالته عائشة بنت أبي بكر، وكان من المتحمّسين في تلك الواقعة ضدّ وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه.

وقد حبس ابن الزبير محمّد بن الحنفيّة نجل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع كوكبة من السادة العلويّين وتوعّدهم بالإحراق بالنار إن لم يبايعوه، وعيّن لهم وقتاً خاصّاً، ولمّا علم المختار ذلك سارع فبعث مفرزة من الجيش لإنقاذهم، ولمّا انتهت إليهم قامت بإنقاذهم حينما حان الوقت لإحراقهم، وطلبوا من محمّد بن الحنفيّة أن

يقابلوا ابن الزبير بالمثل ويهجموا عليه فامتنع من إجابتهم.

مع الإمام الحسين عليه السلام

كان ابن الزبير مقيماً بمكّة، ومظهراً أنّه عائذ بالبيت الحرام رياء، متّخذاً ذلك وسيلة للحفاظ على دمه. ولمّا أعلن أبو الأحرار الإمام الحسين عليه السلام رفضه الكامل لبيعة يزيد نزح إلى البيت الحرام وأخذ يدعو الناس لبيعته. فثقل على ابن الزبير ذلك لأنّه لا يبايعه أحد ولا ينضمّ تحت لوائه مع وجود ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ ليس أحد على وجه الأرض يشابهه أو يساويه ـ كما يقول ابن كثير[١] ـ.

وأكّد ذلك اوكلي بقوله: «إنّ ابن الزبير كان ممتنعاً تماماً بأنّ كلّ جهوده ستضيع عبثاً طالما بقي الإمام الحسين عليه السلام على قيد الحياة. ولكن إذا أصابه مكروه فإنّ طريق الخلافة سيكون ممهّداً له»[٢].

حثّه للإمام على الخروج للعراق

وكان ابن الزبير يحثّ الإمام على الخروج إلى العراق ليتخلّص منه. فقد قال له: ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك. فوالله لو أنّ لي مثلهم ما توجّهت إلّا إليهم[٣].

ولم يخف على أبي الشهداء زيف هذا الكلام ودوافعه. فراح يقول لأصحابه: **إنَّ هذا** ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ **لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْحِجازِ،**

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ١٥٣ و ١٥٤.

وجاء في وسيلة المآل: ١٨٥: «وقد ثقلت وطأة الحسين على ابن الزبير؛ لأنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام بالبلد. ولا يتهيأ له ما يطلب منهم مع وجود الحسين عليه السلام».

(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ٤١ ـ ٦٠): ٤: ١٧٠.

(٣) تاريخ الإسلام / الذهبي: ٢: ٢٦٨.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ النَّاسَ لَا يَعْدِلونَهُ بي ، فَوَدَّ أَنْ أَخْرُجَ حَتَّى يَخْلو لَه[١].

ولمّا استشهد أبو الأحرار صار فرحاً وسروراً ، فقد صفا له الجوّ ، وأخذ يمجّد الإمام الحسين ، وينكر إقدام الأمويّين على قتله قائلاً: أما والله لقد قتلوه ، طويلاً بالليل قيامه ، كثيراً في النهار صيامه ، أحقّ بما هم فيه منهم ، وأوْلى في الدين والفضل[٢].

وأخذ يحرّض الناس للأخذ بثأره لا إيماناً بقضيّته ، وإنّما ليكسب الجماهير إليه ، ويخدعهم بذلك .

المختار مع ابن الزبير

كان المختار يتحرّق شوقاً إلى الانضمام إلى كتلة سياسيّة للوصول إلى غايته المقدّسة ، وهي الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام ، ولم تكن هناك قوّة سياسيّة يركن إليها المختار سوى الانضمام إلى ابن الزبير الذي دعا إلى الطلب بدم الحسين عليه السلام ، والثأر من قتلته[٣] ، وكانت هذه الدعوة من أعزّ ما يحلم به المختار .

فقد التفّت حوله الجماهير الذين تقموا على يزيد لاقترافه جريمة قتل سيّد شباب أهل الجنّة سبط الرسول الإمام الحسين ، وإباحته مدينة النبيّ لجنوده الذين ارتكبوا فيها أفظع الجرائم ، وسارع المختار إلى ابن الزبير فرحّب به أجمل ترحيب ، ودعاه إلى بيعته ومساندته ، فقد كان على علم بمكانته الاجتماعيّة ، ونضوجه السياسي ، ووعيه المتفتّح ، فاستجاب له المختار بشروط ، وهي :

١ ـ أن لا يقضي أمراً دونه ، ومعنى ذلك أن يكون شريكاً له في السلطة ،

---

(١) الكامل في التاريخ : ٤ : ٣٨ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ : ٧٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥ : ٢٣٢ .

وما يصدره من قرارات تكون عن رأيه، فإن صادق عليها فتنفّذ، وإلّا فلا نفوذ لها.

٢ ـ أن يكون أوّل داخل عليه لا تحجبه شرطته، ليكون بذلك ألصق الناس به، وأكثرهم إحاطة بشؤونه السياسيّة.

٣ ـ إذا ظهر أمر ابن الزبير، واستتبّت له شؤون الحكم يعهد إليه بأفضل أعماله، ويخصّه بأفضل الأقاليم التي يرغب فيها.

وأجابه ابن الزبير إلى تنفيذ مقترحاته، وانضمّ المختار إلى ابن الزبير، فكان من أكبر أُمرائه، ومن أعظمهم شأناً عنده[1].

جهاد المختار في مكّة

ولمّا استولى الجيش الأموي على المدينة بقيادة السفّاك مسلم بن عقبة، وأباحها لجيشه بقتل الأبرياء، وهتك الأعراض، ونهب الأموال، توجّه إلى مكّة للقضاء على ابن الزبير، الذي كان معتصماً بالبيت الحرام، وفي أثناء الطريق هلك المجرم السفّاح ابن عقبة، وقد عهد بقيادة الجيش إلى الحصين بن نمير، وهو أكبر قادة الفرق في جيشه، وقد أوصاه أن يقترف في مكّة كلّ ما حرّم الله تعالى من إثم، مثل ما ارتكبه من الجرائم والموبقات في المدينة، وألزمه أن لا يتساهل في إراقة الدماء، وأن لا يرحم ولا يرأف بأيّ أحد.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا المجرم الخبيث بعد ما ووريت جيفته في قبره ورحلوا عنه عمد أهل المدينة لإخراجها، ثمّ أحرقوها.

وعلى أي حال، فقد سار الجيش الأموي يجدّ في سيره حتّى انتهى إلى مكّة، وفرض حصاراً على البيت الحرام، وقد انضمّ لابن الزبير جمع كبير من المسلمين

---

(١) البداية والنهاية: ٨: ٢٤٩.

متّفقين ومختلفين في ميولهم واتّجاهاتهم للدفاع عن قدسيّة البيت الحرام الذي لم يتورّع الجيش الأموي في انتهاك حرمته. وكان المختار في طليعة المجاهدين، فقد أبدى من البسالة والشجاعة ما يفوق حدّ الوصف، ولم يكن دفاعه عن ابن الزبير وإنّما كان دفاعاً عن قدسيّة البيت الحرام.

وعلى أي حال، فقد التحم الجيشان في معارك رهيبة لم يكن لأحدهما تفوّق على الفريق الآخر، يريد أصحاب ابن الزبير أن يحموا بيت الله الحرام من شرّ أولئك الوحوش الذين لا يرجون لله وقاراً، ويريد جيش يزيد أن يحرزوا النصر ويقدّموه هديّة إلى يزيد ليبلغوا جوائزه والقرب منه.

هلاك يزيد

وبينما كانت جيوش الطاغية الخبيث يزيد تحاصر بيت الله الحرام إذ وافته المنية، وتعزو بعض المصادر سبب وفاته إلى إسرافه في شرب الخمر ممّا أحدث انفجاراً في دماغه، ولمّا أذيع خبر هلاكه توقّفت الحرب، وذلك في اليوم الرابع من شهر ربيع الأوّل عام ٦٤هـ[١].

وقد عقد ابن الزبير مع الحصين بن نمير مؤتمراً في الأبطح، وكان المختار حاضراً فيه، وقد عرض الحصين على ابن الزبير أن يخرج معه إلى الشام فيأخذ له البيعة من الشاميّين حتّى يعمّ الأمن وينتشر السلام، ولا تهدر الدماء، ولكنّ ابن الزبير أبى ذلك، وقال: «والله لا أرضى أن أقتل»، ولمّا يئس الحصين منه استعدّ للرحيل إلى الشام[٢].

---

(١) كان بين هلاك يزيد وبين مقتل الحسين عليه السلام ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيّام ـ بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣٢.

(٢) مروج الذهب: ٣: ٢٣. تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٣٨٦.

ودلّ ذلك على عدم وعي ابن الزبير السياسي. ولو استجاب له لسيطر على العالم الإسلامي بأسره. ولم يختلف عليه اثنان. وكان المختار حاضراً هذا المؤتمر. ووقف على ضحالة فكر ابن الزبير. وأنّه لو كان من المحنّكين في السياسة لاستجاب إلى رأي الحصين[١].

تخلّي المختار عن ابن الزبير

واستبان للمختار زيف ابن الزبير. وأنّه لا يفي بوعوده وعهوده له. فقد تنكّر له حينما بسط سلطانه على الحجاز والعراق. والكثير من مناطق العالم الإسلامي. فلم يكافئه على تأييده والوقوف معه في أحلك الظروف وأشدّها محنة وبلاء. كما تبيّن له حقده البالغ على آل البيت عليهم السلام الذين أخلص لهم المختار كأعظم ما يكون الإخلاص. وأنّ دعواه للطلب بدم الحسين عليه السلام كانت كذباً ودجلاً لإغراء وكسب الأصدقاء البسطاء. كما ظهر له ضحالة فكره وعدم نضوجه السياسي. فقد عرض عليه الحصين بن نمير القائد العامّ للقوّات المسلّحة المسير معه بعد هلاك يزيد إلى الشام ليأخذ له البيعة من الشاميّين. فأبى. ولو استجاب لكان هو الملك على العالم الإسلامي بلا منازع.

وعلى أي حال. فقد عزم المختار على مغادرة الحجاز والعودة إلى العراق ليتّخذه مقرّاً له للمطالبة بدماء أهل البيت. والانتقام من قتلتهم. وعرض المختار على ابن الزبير السفر إلى العراق ليتّخذ منهم جنداً لمحاربة أهل الشام. فسمح له بالرحيل[٢]. وفعلاً غادر مكّة. واتّجه صوب المدينة.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٥٥.

(٢) أنساب الأشراف: ٥: ٢١٨.

مع ابن الحنفيّة

والتقى المختار بمحمّد المعروف بابن الحنفيّة، وعرض عليه السفر إلى العراق ليحدث ثورة للمطالبة بدماء أهل البيت عليهم السلام، فقال له ابن الحنفيّة: «إنّي لأُحبّ أن ينصرنا ربّنا، ويهلك من سفك دماءنا، ولست بآمر بحرب ولا إراقة دم، فإنّه كفى بالله ناصراً لنا، ولحقّنا آخذاً، وبدمائنا طالباً».

وأنت ترى في كلام ابن الحنفيّة الحرص على الأخذ بثأرهم ولكنّه يتخوّف من إراقة الدماء.

وأكبر الظنّ أنّ المختار تلقّى في يثرب دعماً كاملاً من السادة العلويّين ومن أنصارهم للمطالبة بثأر الإمام الحسين عليه السلام، والانتقام من السفكة المجرمين، ولم تصرّح المصادر التي بأيدينا إلى التقاء المختار بالإمام زين العابدين عليه السلام.

سفر المختار إلى العراق

غادر المختار المدينة متوجّهاً إلى العراق وكلّه عزم ونشاط ليتّخذ منه قاعدة لتحقيق غايته المنشودة، وهي إبادة الظلمة من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، كما أعلن ذلك بقوله:

«أنا أبو إسحاق، أنا والله لهم أن أجمعهم على الحقّ، وألقى بهم أركان الباطل، وأهلك بهم كلّ جبّار عنيد»[1].

أنت يا أبا إسحاق جدير بجمع الكلمة، وزعامة العراق، وأنت الزعيم الذي تنتظرك الشيعة للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وليس غيرك من يقوم بذلك، والتقى المختار وهو بالطريق برجل من أهل الكوفة، فقال له: تركت الناس كالسفينة تجول

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٧٢.

بلا ملّاح عليها.

وسارع المختار قائلاً: أنا ملّاحها الذي يقيمها.

أنت يا أبا إسحاق جدير بأن تكون الربّان الذي يقود السفينة إلى شاطئ الأمن والسلام.

في كربلاء

وواصل المختار مسيرته متّجهاً نحو الكوفة. وقبل أن يصل إليها مضى إلى كربلاء. فاغتسل ولبس ثيابه. واتّجه نحو المرقد العظيم. وأخذ يبكي أمرّ البكاء. ويخاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «يا سيّدي. آليت بجدّك المصطفى. وأبيك المرتضى. وأمّك الزهراء. وأخيك الحسن المجتبى. ومن قُتل معك من أهل بيتك وشيعتك في كربلاء. لا أكلت طيب الطعام. ولا شربت لذيذ الشراب. ولا نمت على المهاد. ولا خلعت عن جسدي هذه الثياب حتّى انتقم ممّن قتلك. وأقتله كما قُتلت. فقبّح الله العيش بعدك».

ثمّ ودّع القبر الشريف واتّجه نحو الكوفة. وقد وفى بما عاهد عليه الإمام. فقد جدّ في الطلب بثأر سيّد الشهداء حينما تقلّد الحكم.

في الكوفة

وواصل المختار مسيرته إلى الكوفة. فلمّا قرب منها قصد بحر الحيرة. فنزل واغتسل فيه. ولبس ثيابه. وتقلّد سيفه. وركب راحلته. فمرّ بجامع الكوفة. وجبّانة كندة. فكان لا يمرّ بمجلس إلّا سلّم على أهله. وقال لهم بشجاعة وتصميم: «ابشروا بالنصر. أتاكم ما تحبّون».

ودخل المختار مدينة الكوفة يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٦٤هـ المصادف ٦ مايو

سنة ٩٨٤م، وكان الناس متهيّئين لأداء فريضة صلاة الظهر، وقد استبشروا بقدومه، وذلك لما عرفوه منه من الولاء لآل البيت، وما يتمتّع به من الشجاعة وأصالة الرأي، وكان يقابل المسلّمين عليه ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً لهم: «ابشروا بالنصر».

ويقول لهم: «ابشروا بالفرج، جئتكم بما تحبّون، فأنا المسلّط على الفاسقين، والطالب بدماء الطاهرين»[1].

وأخذ يدعو الناس بفصاحته وبلاغته إلى الأخذ بثأر الإمام، وأنّه لم يأتِ إلى الكوفة إلّا لهذه الجهة، كما كان يدعو إلى المهدي وهو محمّد بن الحنفيّة على ما قيل.

المختار في السجن

وحينما استقرّ المختار في الكوفة أخذ يشيع في الأوساط كراهية ابن الزبير لآل البيت عليهم السلام وحقده عليهم، وأنّ ما يظهره من الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام إنّما هو دجل وخداع وتضليل للرأي العامّ، وكان يقول:

ذو مخاريقٍ وذو مندوحةٍ ... وركابي حيثُ وجّهتُ ذلَل

لا أبيتُ منزلاً تكرهُهُ ... وإذا زلّتْ بكَ النعلُ فَزِل[2]

وقد أثّرت دعايته ضدّ ابن الزبير تأثيراً بالغاً، فنفر الناس منه، وقد فزعت منه السلطة الزبيريّة فاعتقلته، وبقي في السجن يعاني مرارته، وقد كتب إلى أصحابه رسالة جاء فيها:

فإنّ الله أعظم لكم الأجر، وحطّ عنكم الوزر، بمفارقة القاسطين، وجهاد

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢١٣، ذوب النضار: ٧٨، بحار الأنوار: ٤٥: ٣٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٥٦.

المحلّين ، إنّكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة ، ولم تخطوا خطوة إلّا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم حسنة ، فأبشروا فإنّي لو خرجت إليكم جرّدت في ما بين المشرق والمغرب من عدوّكم السيف بإذن الله ، فجعلتهم ركاماً ، وقتلتهم فذّاً وتوأماً ، فرحّب الله لمن قارب وآهتدى ، ولا يبعد الله إلّا من عصى وأبى ، والسلام يا أهل الهدى » .

وأنت ترى أنّ المختار واثق بالنصر ، وأنّ الله عزّ وجلّ سوف يفتح له الفتح المبين ، وينصره على أعدائه الذين أبادوا عترة النبيّ ﷺ .

ولمّا انتهت رسالة المختار إلى أصحابه تحمّسوا لنصرته وإخراجه من السجن ، فشكرهم على ذلك ، ووعدهم بأنّه سيخرج من السجن في وقت قريب .

رسالة المختار لابن عمر

وبعث المختار إلى عبدالله بن عمر رسالة يطلب فيها أن يتوسّط في شأنه مع عبدالله بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن حمّاد وهما واليان على الكوفة من قبل ابن الزبير ، وقد جاء في رسالته :

أمّا بعد .. فقد حبست مظلوماً ، وظنّ بي ولاة المصر ظنوناً ، وحملت عنّي أكاذيب ، فاكتب رحمك الله في هذين الواليين الظالمين في أمري ، لعلّ الله يخلّصني ببركتك .

واستجاب ابن عمر لطلب المختار ، فبعث للواليين رسالة يطلب فيها إطلاق سراحه ، وجاء فيها :

أمّا بعد .. فقد علمتما الذي بيني وبين المختار من الصهر ، وما أنا عليكما من الودّ ، فأقسمت عليكما بما بيني وبينكما لما خلّيتما سبيله[1] .

---

(١) أنساب الأشراف : ٦ : ٣٨١ .

ولمّا انتهت الرسالة لهما أفرجا عنه . ولم نعلم المدّة التي مكث فيها في السجن ، وأكبر الظنّ أنّها أشهر .

الإفراج عن المختار

وخرج المختار من السجن وأخذ يدعو بحماس إلى الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام . ويخذّل الناس عن ابن الزبير ، ويذكر مساوئه وحقده الدفين على آل البيت عليهم السلام . وقد أوجد فجوة ما بين أهل الكوفة وبين ابن الزبير .

وعلى أي حال . لقد كان المختار هو الزعيم الأعلى الذي تنتظره الشيعة للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام . وليس هناك غيره من يقوم بمثل هذا العمل الخطير .

ثالثاً: ثورة التوّابين

ندم المسلمون كأشدّ ما يكون الندم على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام. فهم الذين كاتبوه وتضرّعوا إليه لينقذهم من ظلم الأمويّين وبطشهم. فلمّا استجاب لهم تركوه مع أبنائه وأهل بيته وخلّص أصحابه في صعيد كربلاء قد مزّقت أجسامهم سيوف الأمويّين ورماحهم. ولم يقوموا بنجدته وإنقاذه من تلك العصابة المجرمة.

لقد شعر الكوفيّون بهول الفاجعة الكبرى. والمصيبة العظمى التي حلّت بأهل بيت النبوّة عليهم السلام. فأخذوا يبكون وينوحون. ويفكّرون في الوسيلة التي يكفّرون بها عمّا اقترفوه من الذنب العظيم. فلم يجدوا وسيلة تقرّبهم إلى الله تعالى زلفى. وتمحو عنهم ذنبهم سوى الثورة على السفكة المجرمين واجتثاثهم من الأرض. وقد رفعوا شعارهم «يا لثارات الإمام الحسين عليه السلام».

وأخذوا يردّدون هذا الشعار في أنديتهم ومجالسهم حتّى استجاب لهم جميع من يدين بالولاء والمحبّة لأهل البيت الذين فرض الله تعالى مودّتهم في كتابه: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

ونعرض بإيجاز لهذه الثورة التي هي أوّل ثورة مسلّحة قامت بها الشيعة على الصعيد الخارجي.

مؤتمر التوّابين

عقد التوّابون أوّل مؤتمر لهم في بيت الصحابي الجليل شيخ الشيعة سليمان بن صرد الخزاعي. وقد ضمّ المؤتمر أكثر من مائة رجل من فرسان الشيعة ووجهائهم[2]. وقد انعقد المؤتمر في السنة التي استشهد فيها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهي سنة

---

(١) الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٢٦.

إحدى وستّين من الهجرة ، وقد أُلقيت فيه عدّة كلمات كان منها :

كلمة المسيّب بن نجبة

أوّل من افتتح الجلسة المسيّب بن نجبة ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثمّ قال :

« فإنّا قد ابتُلينا بطول العمر ، والتعرّض لأنواع الفتن ، فنرغب إلى ربّنا أن لا يجعلنا ممّن يقول له غداً : ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾[1] ، فإنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام قال : **العُمْرُ الَّذي أَعْذَرَ اللهُ فيهِ إلى ابْنِ آدَمَ سِتّونَ سَنَةً** ، وليس فينا رجل إلّا وقد بلغه ، وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا ، فوجدنا الله كاذبين في نصر ابن بنت نبيّه صلى الله عليه وآله ، وقد بلغنا قبل ذلك بكتبه ورسله ، وأعذر إلينا فسألنا نصره ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتّى قتل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ، ولا جادلنا عنه بألسنتنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا .

فما عذرنا عند ربّنا ، وعند لقاء نبيّنا ، وقد قتل فينا ولد حبيبه وذرّيّته ونسله ؟! لا والله لا عذر لنا دون أن تقتلوا قاتله ، أو تُقتلوا في طلب ذلك ، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك .

أيّها القوم ! ولّوا عليكم رجلاً منكم ، فإنّه لا بُدّ لكم من أمير تفزعون إليه ، وراية تحفّون بها »[2] .

حكى هذا الخطاب الندم الشديد ، والخوف من سخط الله تعالى وعذابه على ما اقترفوه من عظيم الذنب في خذلانهم وعدم نصرتهم لابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ تزكيتهم قبل ذلك لأنفسهم كانت غير واقعيّة ، فقد ابتلاهم الله تعالى بالجهاد بين يدي ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فما استجابوا وآثروا الحياة الدنيا ، وهم بذلك

---

(١) فاطر ٣٥ : ٣٧ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٣٢ .

مستحقّون لعقوبة الله تعالى وسخطه. ولا كفّارة لهم إلّا الطلب بثأر الإمام عليه السلام، واجتثاث قتلته.

كلمة رفاعة بن شدّاد

وانبرى إلى الخطابة بعده رفاعة بن شدّاد. فقال بعد حمد الله تعالى:

«أمّا بعد..

فإنّ الله قد هداك لأصوب القول. وبدأت بأرشد الأُمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين. وإلى التوبة من الذنب العظيم. فمسموع منك. مستجاب إلى قولك. وقلتَ: ولّوا أمركم رجلاً تنزعون إليه. وتحفّون برايته. فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيّاً. وفينا منتهجاً. وفي جماعتنا محبوباً. وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمر شيخ الشيعة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله. وذا السابقة والقدم. سليمان بن صرد الخزاعي. المحمود في بأسه ودينه. الموثوق بحزمه»[1].

حفل هذا الخطاب بالتأييد الكامل للمسيّب بن نجبة. والدعوة إلى الجهاد للأخذ بثأر ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. كما حكى خطابه ترشيح زعيم للتوّابين يلمّ شملهم. ويتولّى شؤون الثورة.

كلمة سليمان بن صرد

وانبرى سليمان بن صرد فخطب خطاباً حماسيّاً مؤثّراً عرض فيه إلى تخاذلهم وعدم قيامهم بنصرة أبي الأحرار وسيّد الشهداء عليه السلام. وقد جاء في خطابه بعد حمد الله تعالى:

«أما إنّه دهر ملعون قد عظمت فيه الرزيّة. وشمل فيه الخوف والمصيبة. وذلك

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ١٥٩.

إنّا كنّا نمدّ أعيننا إلى قدوم أهل البيت عليهم السلام، ونمنّيهم النصرة، ونحثّهم على المصير إلينا، فلمّا قدموا علينا عجزنا ووَنينا[1] وتربّصنا حتّى قتل في جنبنا ابن نبيّنا وسلالته وسبطه وعصارته، وبضعة من لحمه ودمه، وهو يستصرخ فلا يُصرخ له، ويدعو فلا يُجاب، ويستغيث فلا يغاث، ويسأل النصف فلا يُعطى، اتّخذه الفاسقون غرضاً لسهامهم، ودريئة لرماحهم، حتّى قتلوه، ثمّ سلبوه، وانتهكوا حرمته بعد أن قتلوا أولاده وأهل بيته وشيعته، ألا فانهضوا واتّقوا الله تعالى فقد سخط عليكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتّى يرضى الله عنكم، ولا أظنّه يرضى دون أن تناجزوا من قتله، وشرك في دمه أوخذله، فلا تهابوا الموت، فوالله ما هابه أحد إلّا ذلّ، فانهضوا وكونوا كبواقي بني إسرائيل إذ قيل لهم: اقتلوا أنفسكم، أو اخرجوا من دياركم، ألا فاتّخذوا الصفاح، واركبوا أسنّة الرماح، وجدّوا في الكفاح، وأعدّوا ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل، ولا تهنوا عن لقاء الفاسقين»[2].

وقد ألهبت العواطف هذه الكلمات التي نحتها من قلبه المفعم بالألم الممضّ على تخاذل الشيعة عن نصرة ابن نبيّهم صلى الله عليه وآله حتّى تناهبت السيوف جسمه، وأنّه ليس هناك من يمحو عنهم هذا الذنب سوى طلبهم بثأر الإمام ونيل الشهادة لعلّ الله تعالى يكفّر عنهم ما اقترفوه من عظيم الذنب.

قرارات المؤتمر

اتّخذ المؤتمر عدّة قرارات بالغة الأهميّة دلّت على تضامنهم ونضوجهم السياسي، وهي:

١ ـ انتخاب سليمان بن صرد زعيماً لحركتهم، وقائداً عامّاً للقوّات المسلّحة،

---

(١) **الوَنا والوَنْيَةُ**: الفَتْرة في الأعمال. المحيط في اللغة: ١٠: ٤٢٦ مادّة «ونى».

(٢) الكامل في التاريخ: ٤: ١٦٠، مع اختلاف في الألفاظ.

كما أنيطت به وضع المخطّطات السياسيّة والعسكريّة، ومراسلة الشيعة في جميع المناطق التي يقيمون بها للانضمام لحركتهم.

٢ ـ إخفاء الحركة وكتمانها، وإحاطتها بكثير من السريّة خوفاً من اطّلاع السلطة عليها.

٣ ـ جمع الأموال والتبرّعات من الشيعة لشراء الأسلحة والمعدّات الحربيّة.

٤ ـ تحديد وقت إعلان الثورة وذلك في غرّة ربيع الآخر سنة ٦٥هـ، وأنّ السنوات التي قبلها تكون للتأهّب للحرب.

٥ ـ تكون النخيلة الموطن الذي يجتمع فيه الثوّار وتنطلق منه الثورة، كما عيّنوا عبدالله التميمي أميناً عامّاً لجمع الأموال والتبرّعات.

التبرّعات

وانبرى بعض المحسنين الحاضرين إلى التبرّع بسخاء للمجهود الحربي، كان منهم:

١ ـ خالد بن سعد: تقدّم في الحفل وقال: «أمّا أنا فوالله لو أعلم أنّه ينجيني من ذنبي، ويرضي ربّي عنّي أن أقتل نفسي لقتلتها، وأنا أشهد كلّ من حضر أنّ كلّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي صدقة على المسلمين أقوّيهم به».

٢ ـ أبو المعتمر الكناني: وهو من زعماء التوّابين، تبرّع بجميع ما يملكه للثورة.

رسائل سليمان لزعماء الشيعة

وقام سليمان بمراسلة زعماء الشيعة، فأحاطهم علماً بمقرّرات المؤتمر، وما صمّموا عليه من الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وهؤلاء بعض الزعماء والوجوه

الذين كتب إليهم سليمان:

١ ـ المثنّى بن مخربة[١]: وهو يقيم في خارج الكوفة، فقد كتب إليه سليمان يدعوه وقومه للإنضمام إلى التوّابين، فاستجاب له، وكتب له الرسالة التالية:

أمّا بعد..

فقد قرأت كتابك، وأقرأته إخوانك، فحمدوا رأيك، واستجابوا لك، ونحن موافوك إن شاء الله تعالى للأجل الذي ضربت. والسلام[٢].

وكتب في آخر رسالته هذه الأبيات:

تَبَصَّرْ كأنّي قدْ أتَيْتُكَ مُعْلِماً ... عَلى أثَلَعِ الهادي أجَشَّ هَزيمِ
طَويلِ القَرا نَهْدِ الشَّواءِ مُقَلَّصٍ ... مُلِحَّ عَلى قارِي اللِّجامِ أزومِ
بِكُلِّ فَتىً لا يَمْلَأُ الرَّوْعُ قَلْبَهُ ... مِحَشَّ لِنارِ الحَرْبِ غَيْرِ سَؤُومِ
أخي ثِقَةٍ يَنْوي الإلهَ بِسَعْيِهِ ... ضَرُوبٍ بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرِ أثيمِ[٣]

حكت هذه الرسالة الاستجابة الكاملة من المثنّى وقومه للإنضمام إلى التوّابين، وأنّهم سيكونون لهم عوناً في ميدان الحرب.

سعد بن حذيفة

ورفع سليمان رسالة إلى سعد بن حذيفة بن اليمان في المدائن يعلمه بما عزموا عليه، ويدعوه وقومه إلى مساعدتهم، وهذا نصّ رسالته بعد البسملة:

---

(١) انظر: جمهرة أنساب العرب: ٢٩٩. الأعلام: ٥: ٢٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٣١. الكامل في التاريخ: ٤: ١٦١ ـ ١٦٢. ذوب النضار: ٧٦.

« من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قِبله من المؤمنين

سلام عليكم

أمّا بعد..

فإنّ الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفاً، وأقبل منها ما كان منكراً، وأصبحت قد تشنّأت إلى ذوي الألباب، وأزمع بالترحال عنها عباد الله الأخيار، وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله تعالى لا يفنى، إنّ أولياء الله تعالى من إخوانكم وشيعة آل نبيّكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيّهم الذي دعي فأجاب، ودعا فلم يجب، وأراد الرجعة فحبس، وسأل الأمان فمنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعَدَوا عليه فقتلوه ثمّ سلبوه، وجرّدوه ظلماً وعدواناً، وغرّة بالله تعالى وجهلاً، وبعين الله تعالى ما يعملون، وإلى ما يرجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

فلمّا نظر إخوانكم وتدبّروا عواقب ما استقبلوا رأوا أن قد أخطأوا بخذلان الزكيّ الطيّب وإسلامه، وترك مواساته والنصر له خطأً كبيراً ليس لهم منه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه، أو قتلهم حتّى تفنى على ذلك أرواحهم، فقد جدّ إخوانكم فجدّوا، وأعدّوا واستعدّوا وقد ضربنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه، وموطناً يلاقوننا فيه، فأمّا الأجل فغرّة شهر ربيع الآخر سنة ٦٥هـ، وأمّا الموطن الذي يلقوننا فيه فالنخيلة.

أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة وإخواناً، وقد رأينا أن ندعوكم إلى هذا الأمر الذي أراد الله تعالى به إخوانكم فيما يزعمون، ويظهرون لنا أنّهم يتوبون، وأنّكم جدراء بتطلاب الفضل، والتماس الأجر، والتوبة إلى ربّكم من الذنب، ولو كان في ذلك حزّ الرقاب، وقتل الأولاد، واستيفاء الأموال، وهلاك العشائر.

ما ضرّ أهل عذراء الذين قتلوا ألّا يكونوا اليوم أحياء، وهم عند ربّهم يرزقون

شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين - يعني حجراً وأصحابه -.

ما ضرّ إخوانكم المقتلين صبراً، والمصلّبين ظلماً، والممثول بهم، المعتدى عليهم ألّا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم قد خيّر لهم فلقوا ربّهم وآتاهم الله تعالى إن شاء الله أجرهم، فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضرّاء وحين البأس، وتوبوا إلى الله عن قريب، فوالله تعالى إنّكم لأحرياء أن لا يكون أحد من إخوانكم صبر على شيء من البلاء إرادة ثوابه إلّا صبرتم التماس الأجر فيه على مثله، ولا يطلب رضاء الله تعالى طالب شيء من الأشياء، ولو أنّه القتل إلّا طلبتم رضا الله تعالى به. إنّ التقوى أفضل الزاد في الدنيا، وما سوى ذلك يبور وينفى، فتعزف عنها أنفسكم، ولتكن رغبتكم في دار عافيتكم، وجهاد عدوّ الله تعالى وعدوّكم، وعدوّ أهل بيت نبيّكم، حتّى تقدموا على الله تعالى تائبين راغبين إلى الله عزّ اسمه، أحيانا وإيّاكم حياة طيبة، وأجارنا وإيّاكم من النار، وجعل منايانا قتلاً في سبيله على يدي أبغض خلقه إليه، وأشدّهم عداوة له، إنّه القدير على ما يشاء، والصانع لأوليائه ما يشاء.

والسلام عليكم»[1].

حكت هذه الرسالة التصميم الكامل من سليمان وجماعته على التضحية مهما كلّفهم الأمر من هلاك أنفسهم وأبنائهم وعشائرهم، وأنّهم لا يبغون بذلك إلّا الأجر، ومحو ما اقترفوه من الذنب في خذلان ابن بنت رسول الله ﷺ.

جواب سعد

وأجاب سعد عن تجاوبه ورغبته بالطلب بثأر ريحانة رسول الله ﷺ، وهذا نصّ جوابه بعد البسملة:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٢٩.

«إلى سليمان بن صرد من سعد بن حذيفة ومن قِبله من المؤمنين

سلام عليكم

أمّا بعد..

فقد قرأنا كتابك، وفهمنا الذي دعوتنا إليه من الأمر الذي عليه رأي الملأ من إخوانك، فقد هديت لحظّك، وسرت إلى رشدك، ونحن جادّون، معدّون، مسرجون، ملجمون. ننتظر الأمر، ونستمع الواعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا إن شاء الله.

والسلام[1]

حكت هذه الرسالة النيّة الصادقة، وسلامة العزيمة، وأنّهم على أكمل استعداد، وأتمّ قوّة لمواجهة العدوّ، وأنّهم على خطّ الثورة لا يحيدون عنه.

عدد المبايعين

سجّلت قائمة المتطوّعين للأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام حوالي ستّة عشر ألف مقاتل، إلّا أنّ الثورة لمّا أُعلنت في وقتها وهو في غرّة ربيع الآخر انخفض عدد المسجّلين للقتال إلى أربعة آلاف[2]، الأمر الذي أشاع القلق في نفوس قادة التوّابين.

المختار مع التوّابين

يشترك المختار مع التوّابين في قاسم مشترك بينهما، وهو الطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام والأخذ بثأره، إلّا أنّهما مختلفان في بعض النقاط المهمّة، والتي منها:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٣١.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٤٠.

١ ـ إنّ المختار كان يرى سليمان بن صرد القائد العام للتوّابين المسلّحة للتوّابين ليس أهلاً لتولّي شؤون الثورة ، لأنّه ليس خبيراً بالشؤون السياسيّة والعسكريّة ، وقد أعلن ذلك بقوله : «إنّ سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال»[١].

ومن ثمّ كان لا يرتضي ثورته لأنّها عمليّة انتحاريّة لا تنجح في الميدان العسكري والسياسي .

٢ ـ إنّ من أهمّ الأهداف للثورة عند الفريقين كان اجتثاث العصابة المجرمة التي تلطّخت أيديها بقتل الإمام الحسين عليه السلام ، ومعظمهم كانوا من وجوه أهل الكوفة ورؤساء عشائرها . ويرى المختار أنّ الواجب استئصالهم قبل الخروج إلى حرب الأمويّين . كما أعلن ذلك عبدالله بن سعد في حديثه مع سليمان قائلاً : «إنّما خرجنا للطلب بدم الحسين ، وقتلة الحسين كلّهم في الكوفة ، منهم عمر بن سعد ورؤساء وأشراف القبائل ، فأين نذهب»[٢].

ومن ثمّ لم يكن من رأي المختار خروج التوّابين إلى محاربة الأمويّين في الشام .

٣ ـ إنّ المختار كان عالماً بعدم استطاعة التوّابين على مناجزة جيش الشام ، وذلك لضعف أجهزتهم العسكريّة ، وضعف إمكانيّاتهم الاقتصاديّة ، لأنّه لم يكن لهم سند من دولة تمدّهم بما يحتاجون إليه بخلاف جيش الشام ، فإنّه مزوّد بأحدث الأجهزة العسكريّة في ذلك العصر ، وكانت دولة الشام تمدّهم بما يحتاجون إليه من الأمتعة والمعدّات العسكريّة ، وكان التوّابون عالمين بذلك ، إلّا أنّ ثورتهم كانت انتحاريّة لتطهير نفوسهم من الذنب الذي اقترفوه في خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام .

٤ ـ إنّ التوّابين لم يكن من عزمهم إقامة دولة وحكومة مستقلّة تتمتّع بالسيادة والاستقلال ، وإنّما كان جلّ همّهم الأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام ، بينما كان المختار

---

(١) أنساب الأشراف : ٥ : ٣٠٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٧ : ٦٧ .

يريد إقامة دولة مستقلّة. ثمّ اجتثاث الخونة المجرمين من قتلة سيّد الشهداء عليه السلام.

٥ - إنّ ثورة المختار كانت مدعومة بإجازة من محمّد بن الحنفيّة. فقد أجازه للأخذ بثأر أخيه الإمام الحسين عليه السلام. ومن ثمّ استجابت له الجماهير. وأذعنوا لقيادته في حين أنّ ثورة التوّابين كانت خالية من ذلك.

التوّابون مع حكومة الكوفة

أمّا السلطة المحلّية في الكوفة فقد كانت خاضعة لابن الزبير. وكان الوالي فيها عبدالله بن يزيد الأنصاري. كما كان القائم على الخراج إبراهيم بن محمّد بن طلحة. وقد نالت حركة التوّابين رضاء السلطة المحلّيّة والترحيب بها؛ لأنّها كانت تستهدف إضعاف الحكومة الأمويّة اقتصاديّاً وعسكريّاً.

وهذا من أهمّ متطلّبات ابن الزبير وولاته. كما إنّ إضعاف التوّابين وشلّ حركتهم يعود بالنفع على ابن الزبير الذي عُرف بالبغض الشديد والعداء العارم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن المؤكّد أنّ ما يلحق بشيعة أهل البيت من أضرار يعدّ مكسباً مهمّاً لابن الزبير.

ومهما يكن الأمر فقد وجد التوّابون تجاوباً وترحيباً من عبدالله بن يزيد والي ابن الزبير على الكوفة. إلّا أنّه لم يقم بأي دور في مساندتهم ودعمهم. فقد كانت تنقصهم مؤونة العمليّات العسكريّة من المال والسلاح. واكتفى عبدالله في مساندتهم بالتشجيع المجرّد من كلّ دعم. كما أحاطهم علماً بأنّ عبيدالله بن زياد قاتل الإمام الحسين عليه السلام قد قدم بجيشه لاحتلال الكوفة. وعليهم قتاله أخذاً بثأر الإمام الحسين[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٧: ٥٤.

إعلان الثورة

ولمّا حان الوقت المتّفق عليه لإعلان الثورة وهو غرّة ربيع الآخر سنة ٦٥هـ أرسل سليمان الحكم بن منقذ الكندي والوليد بن عصير الكناني أن يناديا في شوارع الكوفة: «يا لثارات الحسين».

ودوّى هذا الشعار في الكوفة، فكان صاعقة على الفسقة المجرمين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، كما كان بلسماً لقلوب الشيعة، فلمّا سمع النداء عبدالله بن حازم هبّ مسرعاً إلى ثيابه فلبسها، وإلى درعه ولامة حربه فأضفاهما عليه، وذعرت زوجته سهلة بنت سبرة، وكانت من أجمل نساء عصرها، فقالت له بحرارة: أجننت؟

قال لها: لا، ولكنّي سمعت داعي الله عزّ وجلّ، فأنا مجيب، وطالب بدم الحسين حتّى أموت.

وتضرّعت إليه قائلة: إلى من تودع بيتك؟

فأجابها بحرارة الإيمان قائلاً: إلى الله ـ يعني أودعهم عنده ـ اللّهمّ إنّي أستودعك ولدي وأهلي. اللّهمّ احفظني فيهم، وتب عليّ ممّا فرطت في نصرة ابن بنت نبيّك[1].

وأنت ترى مدى الأسى الذي حزّ في نفوسهم على تركهم نصرة الإمام أبي عبدالله عليه السلام.

في كربلاء

وانطلق التوّابون في مسيرتهم إلى مرقد أبي الأحرار عليه السلام، وهم يبكون أمرّ البكاء

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٢٣٣.

على الإمام عليه السلام، ويتضرّعون إلى الله تعالى أن يمحو عنهم الذنب الذي اقترفوه في عدم نصرتهم للإمام عليه السلام، ووقفوا على حافّة القبر وهم يقولون:

«اللّهمّ إنّا نُشهدك أنّا على دينهم، وأعداء قاتليهم، وأولياء محبّيهم. اللّهمّ إنّا خذلنا ابن بنت نبيّنا، فاغفر لنا ما مضى منّا، وتب علينا، فارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدّيقين، وإنّا نُشهدك أنّا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه.

﴿ وَإِن لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] [2].

ووقف على حافّة القبر الشريف وهب بن زمعة الجعفي وهو يبكي ويتلو أبياتاً لعبيدالله بن الحرّ الجعفي[3]:

تَبيتُ النَشاوىٰ مِنْ أُمَيَّةَ نُوَّماً ... وَبالطَّفِّ قَتْلى ما يَنامُ حميمُها

وَما ضَيَّعَ الإسْلامَ إلّا قَبيلَةٌ ... تَأَمَّرَ نَوْكاها[4] وَدامَ نَعيمُها

وَأَضْحَتْ قَناةُ الدينِ في كَفِّ ظالِمٍ ... إذا أعْوَجَ مِنْها جانِبٌ لا يُقيمُها

فَأَقْسَمْتُ لا تَنْفَكُّ نَفْسي حَزينَةً ... وَعَيْنَيَّ تَبْكي لا يَجِفُّ سُجومُها

حَياتِيَ أَوْ تَلْقىٰ أُمَيَّةُ خِزْيَةً ... يَذِلُّ لَها حَتّىٰ المَماتِ قُرومُها[5]

وكان الشاعر الكبير عبدالله بن الأحمر يلهب نفوس التوّابين حماساً بشعره الثوري، ويدفعهم بشوق إلى الحرب قائلاً:

---

(١) الأعراف ٧: ٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٤٠.

(٣) عبيد الله بن الحرّ بن المجمّع ـ أو عمرو ـ الجعفي:
قال عنه النجاشي في رجاله: ٩، رقم ٦: «الفارس الفاتك، الشاعر، له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام».

(٤) جمع أنوك: وهو الأحمق. المحيط في اللغة: ٦: ٣٣٤ مادة «نوك».

(٥) ذوب النضار: ٨٥. بحار الأنوار: ٤٥: ٣٥٩.

صَحَوْتُ ودَعْتُ الصِّبا وَالغَوانِيا وَقُلْتُ لأَصْحابي أَجيبوا المُنادِيا
وقَولوا لَهُ إِذْ قامَ يَدْعو إِلى الهُدى وَقَبْلَ الدُّعا لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ داعِيا

ثمّ يدعو الشاعر إلى التأمّل والنظر في مصرع سيّد الشهداء وما عاناه من ضروب المحن قائلاً:

فَأَضْحى حُسَيْنٌ لِلرِّماحِ دَريئَةً وَغُودِرَ مَسْلُوباً لَدَى الطَّفِّ ثاوِيا
فَيالَيْتَني إِذْ ذاكَ كُنْتُ شَهِدْتُهُ فَضارَبْتُ عَنْهُ الشّانِئينَ الأَعادِيا
سَقَى اللهُ قَبْراً ضُمِّنَ الْمَجْدَ وَالتُّقى بِغَرْبِيَّةِ الطَّفِّ الغَمامَ الغَوادِيا

ووجّه الشاعر عتابه ولومه إلى الأُمّة قائلاً:

فَيا أُمَّةً تاهَتْ وضَلَّتْ سَفاهَةً أَلِيبوا فَأَرْضُوا الواحِدَ المُتَعالِيا[1]

وقد كان هذا الشعر وأمثاله الذي ألقي على التوّابين محفّزاً لهم على المضي قدماً لاجتثاث قوى البغي والضلال التي تلوّثت أياديها بقتل سيّد الشهداء عليه السلام.

وغادر التوّابون مرقد أبي الأحرار وهم غارقون بالأسى والحزن على خذلانهم للإمام الحسين عليه السلام.

في عين الوردة

وسارت كتائب التوّابين تطوي البيداء لا تلوي على شيء في مسيرتها الجهاديّة، ويتقدّمهم عبدالله العوني وهو يرتجز بهذه الأبيات:

خَرَجْنَ يُسْنِمِعْنَ بِنا أَرْسالا عَواسِياً يَحْمِلْنَنا أَبْطالا

---

(١) مروج الذهب ٣: ٩٣.

تُـريدُ أنْ تَـلْقى بِـها الأقْـيالا ... القَـاسِطينَ الغُـدَرَ الضُّـلاّلا
وَقَدْ رَفَضْنا الأَهْلَ [١] وَالأَمْـوالا ... وَالخَـفِراتِ البِيضِ وَالحِجالا
نَـرْجو بِـهِ التُّـحْفَةَ وَالنَّـوالا ... لِتُرْضِيَ المُهَيْمِنَ المُفْضالا [٢]

وحثّ هذا الشعر الحماسي على الحرب، الأمر الذي كان ظاهرة شائعة عند التوّابين.

الحرب

وانتهت كتائب التوّابين إلى عين الوردة، فأقامت فيها، ولم تلبث إلّا قليلاً حتّى زحفت إليها جيوش أهل الشام بقيادة الخبيث المجرم ابن مرجانة، وقد التحم الفريقان التحاماً رهيباً جرت بينهما أعنف المعارك وأشدّها ضراوة، وأبدى التوّابون من البسالة والصمود ما يعجز عنه الوصف، وقد تسابق إلى الشهادة زعماء التوّابين، فقد برز سليمان بن صرد وهو يحرّض قومه على القتال ويبشّرهم بمغفرة الله تعالى ورضوانه، وقد رفع صوته ليسمعه الجيش قائلاً:

إِلَـيْكَ رَبِّـي تُـبْتُ مِـنْ ذُنُـوبي ... وَقَدْ عَلاني في الوَرى مَشيبي
فَارْحَمْ عُبَيْداً غَـيْرُ مـا تَكْـذيب ... وَاغْفِرْ ذُنوبي سَيِّدي وَحوبي [٣]

فأتته السهام كالمطر، فاستشهد، وقد أخلص في توبته، وأخلص لدينه، غفر الله تعالى ذنوبه، وكفّر عن سيّئاته.

وبرز من القادة المسيّب بن نَجبة، وقد أبدى من البطولات ما يقصر عنه الوصف

---

(١) في نسخة: «الولد».
(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٤٥٨. في نسخة: «نرضي به ذا النعم المفضالا».
(٣) أصدق الأخبار: ٢٢.

حتّى استشهد في ميدان الشرف والكرامة.

كما استشهد معظم القادة اللامعين، فقد وهبوا أرواحهم لله بإخلاص وصدق.

نهاية الحرب

وبان للتوّابين عدم قدرتهم على مواصلة الحرب، وذلك لقلّتهم وضعف أجهزتهم العسكريّة والاقتصاديّة، فانسحبوا من ساحة القتال في غلس الليل، وقفلوا راجعين إلى وطنهم.

رثاء أعشى همدان لقادة التوّابين

وترك استشهاد قادة التوّابين لوعة وحزناً في نفوس الشيعة، وقد رثاهم الشاعر الكبير أعشى همدان بقصيدة عصماء ذكر فيها بسالتهم وصمودهم، وهذه بعض أبياتها:

تَوجَّهَ مِنْ دونِ الثَّنِيَّةِ سائِراً ... إلى ابنِ زِيادٍ في الجُموعِ الكتائِبِ

فَساروا وَهُمْ ما بَينَ مُلتمسِ التُّقى ... وَآخَرَ مِمّا جَرَّ بِالأَمسِ تائِبِ

فَجاءَهُمْ جَمْعٌ مِنَ الشامِ بَعدَهُ ... جُموعٌ كَمَوْجِ البَحرِ مِنْ كُلِّ جانِبِ

فَما بَرِحوا حَتّى أُبيدَتْ سَراتُهُمْ ... فَلَمْ يَنجُ مِنهُمْ ثَمَّ غَيرُ عَصائِبِ

وَغودِرَ أَهلُ الصَّبرِ صرعى فَأَصبَحوا ... تَعاوَرُهُمْ رِيحُ الصَّبا وَالجَنائِبِ

وَرَأسُ بَني شَمْخٍ[1] وَفارِسُ قَومِهِ ... شَنوءَةَ[2] وَالتَّيْمِيُّ[3] هادي الكَتائِبِ

---

(١) المسيّب بن نَجَبَة الفزاري.

(٢) **عبد الله بن سعد بن نُفيل الأزدي**: من أزد شنوءة، أحد رؤساء الكوفة وشجعانها.
انظر: الكامل في التاريخ: ٤: ١٥٨. الأعلام: ٤: ٨٩.

(٣) **عبدالله بن وأل** بن تيم اللات بن ثعلبة. ⇦

وَعَمْرو بْنُ بِشْرٍ وَالوَلِيدُ[١] وَخالِدٌ[٢] ... وَزَيدُ بْنُ بَكرٍ وَالحُلَيسُ بنُ غالِبِ

أَبَوْا غَيْرَ ضَربٍ يَفلِقُ الهامَ وَقعُهُ ... وَطَعنٍ بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ صائِبِ

فَلا تَبعُدَنْ فُرسانُنا وَحُماتُنا ... إِذا البِيضُ أَبْدَتْ عنْ خِدامِ الكَواعِبِ

فَإِنْ تُقْتَلوا فَالقَتلُ أَكْرَمُ مِيتَةٍ ... وَكُلُّ فَتىً يَوماً لإِحدى النَّوائِبِ[٣][٤]

حكى هذا الشعر جهاد التوّابين . وأنّهم صنفان : صنف يلتمس في جهاده رضوان الله تعالى والدار الآخرة التي أُعدّت للمتّقين . والصنف الثاني : يريد أن يكفّر عن ذنبه بتخاذله عن نصرة سيّد الشهداء عليه السلام . وإنّ جميع من استشهدوا في هذه المعركة قد فازوا برضاء الله تعالى ومغفرته . كما مجّد هذا الشعر قادة التوّابين لأنّهم ناضلوا دفاعاً عن مبادئهم وعقيدتهم .

وعلى أي حال . فإنّ ثورة التوّابين قد ملأت قلوب المجرمين من قتلة الإمام الحسين عليه السلام فزعاً وخوفاً . وهيّأت الشيعة إلى النضال ضدّ الأمويّين .

يقول الدكتور يوسف خليف : « ومهما تكن النتيجة التي انتهت إليها ثورة التوّابين . فإنّ الأمر الذي لا شكّ فيه هو أنّها تعدّ أشدّ ثورة قامت بها الشيعة بعد مقتل عليّ حتّى ذلك الوقت . وأنّها كشفت الرماد عن جذوة التشيّع . وأشعلت فيها النار . حتّى ساعدت في النهاية على الاطاحة بحكم الأمويّين كما أنّها كانت من ناحية أُخرى تمهيداً لثورة شيعيّة خطيرة هي ثورة المختار »[٥] .

⇦ وذكره الشيخ الطوسي في رجاله : ٥٥ في أصحاب الإمام عليّ عليه السلام .

(١) هو : الوليد بن عصير الكناني .

(٢) هو : خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد الله .

(٣) في نسخة : « الشواعب » .

(٤) تاريخ الأُمم والملوك : ٤ : ٤٧٣ . الكامل في التاريخ : ٤ : ١٨٩ .

(٥) حياة الشعر في الكوفة : ٧٣ .

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن ثورة التوّابين التي كانت من المقدّمات التمهيدية لثورة المختار.

حكومة المختار

ظهرت على المسرح السياسي حكومة المختار . وكان من أهمّ ما تبنّته من أهداف هو الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام . واجتثاث العصابة المجرمة التي شاركت في قتله . وقد أرضى ذلك نفوس المؤمنين . وملأ قلوبهم مودّة ومحبّة له . كما أغضب ذلك الحاقدين على أهل البيت عليهم السلام والمعادين لهم . فراحوا يلصقون به التهم . ويصفونه بمساوئ الصفات التي ألمحنا لذكرها . وفنّدناها في طليعة هذا الكتاب .

وعلى أي حال . فإنّا نعرض بإيجاز لبعض مكوّنات ثورة المختار . وما يتّصل بها من أحداث سياسيّة واجتماعيّة . وهي :

تخطيط الثورة

أقام المختار ثورته على أُسس وثيقة في منتهى الدقّة والحكمة دلّت على نضوجه الفكري ووعيه السياسي . وقد كتب لها النجاح والنصر . وهذه بعض برامجها :

الدعوة لابن الحنفيّة

كان المختار على ثقة أنّه لا يمكن لثورته ان يكتب لها النجاح ما لم يكن لها غطاء ودعم من الأُسرة العلويّة . وعميدها بعد الإمام زين العابدين عليه السلام هو محمّد بن الحنفيّة . فاتّصل به اتّصالاً وثيقاً قبل أن يغادر الحجاز . وأطلعه على نيّته من الطلب

بثأر أخيه الإمام الحسين عليه السلام، وقد وثق ابن الحنفيّة بذلك لأنّ أباه أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبر بذلك، وأشاعه بين الثقات من أصحابه، واستجاب ابن الحنفيّة للمختار، وزوّده بوثيقة أعلن فيها تأييده الكامل له، وحثّ المسلمين على متابعته ونصرته، وقد عرضها المختار على زعماء الشيعة ووجوهها.

رسالة ابن الحنفيّة لإبراهيم

من المخطّطات البارعة التي استند إليها المختار في نجاح ثورته أنّه أخذ رسالة من ابن الحنفيّة إلى الزعيم الكبير إبراهيم بن مالك الأشتر الذي هو ألمع قائد عربي، وله مكانة متميّزة في الأوساط الاجتماعيّة، ودعاه ابن الحنفيّة إلى نصرة المختار والانضمام إليه، وهذا نصّها:

«من محمّد المهدي إلى إبراهيم بن مالك الأشتر.

سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد..

فإنّي قد بعثت إليكم وزيري، وأميني الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوّي، والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك، فإنّك إن نصرتني وأجبت دعوتي كانت لك بذلك عندي فضيلة، ولك أعنّة الخيل، وكلّ جيش غاز، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه في ما بين الكوفة وأقصى بلاد الشام»[1].

وألهبت هذه الرسالة عواطف إبراهيم، ودفعته إلى العمل الجادّ في نصرة المختار وتدعيم حكمه، فقد دعا أسرته ومن أطاعه إلى الانضمام إليه، وجعل يختلف إليه كلّ عشيّة عند المساء، ويدبّر معه أمرهم[2].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٩١.

(٢) المختار الثقفي مرآة العصر الأموي: ١٥.

ويرى الشهرستاني أنّ أمر المختار لم يتمّ إلّا بدعم ابن الحنفيّة له ، وأنّه قد كسب بتأييده قوّة كبرى[١].

وقد انضمّ إليه معظم التوّابين بعد فشل ثورتهم في عين الوردة.

استئجار نائحات على الحسين عليه السلام

وشيء مهمّ في نجاح ثورة المختار دلّت على ذكائه ووعيه السياسي أنّه استأجر نوائحاً يندبن سيّد الشهداء عليه السلام وما عاناه من المصائب والكوارث في صعيد كربلاء فكنّ يندبنه في الشوارع العامّة في الكوفة بأشجى ما تكون الندبة ، وذلك لكسب عواطف الجماهير ، وانضمامهم إلى الثورة.

كسب الموالي

وكان من أروع مخطّطات الثورة كسب الموالي ، فقد جهد المختار في انضمامهم إليه ، وكان ذلك من الأسباب في نجاح حكومته وبسط نفوذها.

لقد درس المختار ما ألمّ بالموالي من الضيق والحرمان ، فقد عانوا في أيّام حكومة عمر بن الخطّاب صنوفاً قاسية من الذلّ والقهر ، فقد حرم لغتهم ، وتمنّى أن يكون بينهم وبينه جبل من نار أو غيره ، وقابلهم بمزيد من الاضطهاد ، وفي عهد حكومة عثمان بن عفّان عميد الأمويّين كتب إلى عمّاله بالعراق بتفضيل العرب عليهم في العطاء.

ومن ألوان ذلك التمايز المؤسف أنّ الأمويّين في عمليّات الحروب لا يسمحون للموالي بركوب الخيل ويكونون مشاة ، كما أنّهم لا يورثون الهجين ، وهو من كانت أمّه عربيّه وأبوه من الموالي.

---

(١) الملل والنحل : ١ : ٣٧.

ولم يجد الموالي حياة كريمة إلّا في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، الذي ساوى بينهم وبين العرب في جميع الحقوق والواجبات . وكان ذلك هو السبب في أفول نجم حكومته . فقد خفّ إليه ابن عبّاس ،وعرض عليه علاجاً لإعادة الحياة إلى حكومته قائلاً : فضّل العرب على الموالي . وفضّل قريشاً على سائر العرب » . فنفر منه الإمام وقال له : « **يابْنَ عَبّاس . تُريدُ مِنّي أنْ أطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ . لَوْ كانَ الْمالُ لي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ في الْعَطاءِ . فَكَيْفَ وَالْمالُ مالُ اللهِ تَعالى** » .

على هذا النهج المشرق وعلى ضوء هذه السياسة العادلة سار المختار فاحتضن الموالي . فكانوا من ألصق الناس به . ومن أقربهم إليه . وقد وجّه إليه بعض وجوه العرب لوماً وتقريعاً على صلاته الوثيقة بالموالي . فأجابهم : « لا يبعد الله غيركم . أكرمتكم فشمختم بأنوفكم . ولَيتكم فكسرتم الخراج . وهؤلاء العجم أطوع لي منكم . وأوفى وأسرع إلى ما أريد »[1] .

تحديد الوقت للثورة

اجتمع المختار مع قادة حزبه ورؤساء العشائر . وفي طليعتهم القائد الملهم إبراهيم بن مالك الأشتر . فعيّنوا الوقت الذي تنطلق فيه الثورة . وهو ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأوّل سنة ٦٦ هجريّة[2] .

هذه بعض المخطّطات التي اتّخذها المختار إطاراً ومنهجاً لثورته .

فزع السلطة من المختار

انتهت الأنباء إلى عبدالله بن مطيع حاكم الكوفة من قِبل ابن الزبير بأنّ المختار

---

(١) الأخبار الطوال : ٣٠٦ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ : ٩١ .

عازم على إعلان الثورة، وإسقاط حكومة ابن الزبير. فأوعز إلى الشرطة باحتلال الميادين العامّة والطرق القريبة من الجامع الأعظم. وكان القائم على وضع الخطط ومراقبة الشرطة اياس بن مضارب، وهو من العناصر المهمّة في تدبير وتنسيق الحركة العسكريّة في حزب ابن الزبير. وقد قال لحاكم الكوفة: «إنّ المختار خارج عليك بإحدى هاتين الليلتين، وقد بعثت ابني إلى الكناسة، فلو بعثت في كلّ جبّانة رجلاً من أصحابك في جماعة من أهل الطاعة لهاب المختار الخروج عليك»[1].

وقام اياس مع قطع من الجيش يجوبون الشوارع والطرق لحماية الحكومة وإرهاب المختار وحزبه من إعلان الثورة وإسقاطها.

الثورة المباركة

انطلقت الثورة المباركة في صبيحة يوم الأربعاء ١٣ ربيع الأوّل سنة ٦٦ هجريّة، فقد نظم المختار جيشه وعيّن قادة الفرق، وأسند القيادة العامّة في الجيش إلى الزعيم إبراهيم بن مالك الأشتر، وانضمّ لحراسة إبراهيم مائة جندي مسلّح فكانوا من حماته.

وصار المختار على استعداد كامل للخوض في الحرب واحتلال مدينة الكوفة، والاستيلاء على قصر الإمارة المركز العامّ للحكومة المحلّيّة.

شعار الثورة

اتّخذ المختار شعاراً للثورة كان عزيزاً في نفوس الأخيار من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهو: «يا لثارات الحسين».

ونادى أصحاب المختار بهذا الشعار المبارك في شوارع الكوفة، فكان كالصاعقة

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٢١٦.

على الخونة والمجرمين الذين انتهكوا حرمة الله ورسوله في قتلهم لسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام. وقد استجابت لهذا النداء القوى الخيّرة، فرحّبوا بالثورة واستجابوا لها.

وثوق الجماهير بالمختار

ووثقت الجماهير من الشيعة بالمختار، وآمنت بصدق دعوته ورضيت به قائداً للطلب بدم الإمام عليه السلام، وأنّه من عيون الشيعة، ومن أعلامهم، وذلك لما يلي:

١ ـ نزول مسلم في بيته، فلو لم يكن من خلّص الشيعة لما نزل مسلم عنده.

٢ ـ حبسه من قبل الطاغية وتنكيله به حتّى شتر عينه.

٣ ـ تأييد ابن الحنفيّة له، ودعمه بالرسائل الموجّهة لشيعة أهل الكوفة، وإلى إبراهيم بن مالك الأشتر، وهذه الأُمور قد أوجبت ثقة الجماهير واحتنافهم بالمختار.

احتفاف الشيعة بالثورة

ورحّبت جماهير الشيعة بالثورة، وانضمّت إليها، ويحدّثنا الشاعر الملهم عبدالله بن همام السلولي[1] عن مدى حماس الجماهير والتفافهم حولها بقوله:

وَفي لَيلَةِ المُخْتارِ ما يُذهِلُ الفَتىٰ ... وَيُلهيهِ عَن دَورِ الشَّبابِ شَموعِ

دَعا يا لَثاراتِ الحُسَيْنِ فَأَقبَلَتْ ... كَتائِبُ مِن هَمْدانَ بَعْدَ هَزيعِ

وَمِنْ مَذْحِجٍ جاءَ الرَّئيسُ ابْنُ مالِكٍ ... يَقودُ جُموعاً أُردِفَتْ بِجُموعِ

وَمِنْ أَسَدٍ وافىٰ يَزيدُ لِنَصرِهِ ... بِكُلِّ فَتىً حامِي الذِّمارِ مَنيعِ

وَجاءَ نُعيمٌ خَيرُ شَيبانَ كُلِّها ... بِأَمرٍ لَدىٰ الهَيْجا أَحَدَّ جَميعِ

---

(١) عبدالله بن هَمّام بن نُبَيْشة السَلوليّ:

من التابعين، كان يقال له من حُسن شعره: «العطّار». خزانة الأدب: ٩: ٣٥.

وَمَـا ابـنُ شُـمَيطٍ إِذْ يُـحَرِّضُ قَـومَهُ هُـنـاكَ بِـمَخْذولٍ ولا بِـمُضيعِ
ولا قَـيسُ نَـهدٍ لَا وَلا ابـنُ هَـوازِنٍ وَكُـلٌّ أَخـو إِخـبـاتِهِ وخُشـوعِ[1]

حكى هذا الشعر الشعار الذي رفعه الثوّار وهو «يا لثارات الحسين».

وقد أحدث هذا الشعار زلزالاً مدمّراً في نفوس الخونة والمجرمين الذين اقترفوا أعظم جريمة في الأرض، وهي إبادة العترة الطاهرة من آل البيت عليهم السلام. كما تحدّث هذا الشعر عن القبائل التي أجابت نداء الحقّ وانضمّت إلى الثورة ووصف عبيدالله ابن الحرّ التفاف الجماهير بالثورة وتجاوبهم معها، كما أعرب عن أسفه وندمه أن لا يكون من أعضائها، قال:

وَلَـمّا دَعـا الْمُـخْتارُ لِـلثّأرِ أَقْبَلَتْ كَـتائِبُ مِـنْ أَشْـياعِ آلِ مُـحَمَّدِ
وَقَـدْ لَـبِسوا فَـوقَ الدُّروعِ قُـلوبَهُمْ وخاضوا بِحارَ الْمَوتِ في كُلِّ مَشْهَدِ
هُـمُ نَـصَروا سِـبطَ النَّبِيِّ وَرَهـطَهُ وَدافَـعوا بِـأَخْذِ الثّارِ مِـنْ كُـلِّ مُـلحِدِ
فَـفازوا بِـجَنّاتِ النَّـعيمِ وَطِـيبِها وَذلِكَ خَـيرٌ مِـنْ لُـجينٍ وَعَسْجَدِ
وَلَو أَنَّني يَـومَ الْهِياجِ لَـدى الْوَغـى لَأَعـمَلتُ حَـدَّ الْمَشـرَفِيِّ الْمُـهَنَّدِ
وَوا أَسَـفاً إِذْ لَـمْ أَكُـنْ مِـنْ حُـماتِهِ فَـأَقْتُلُ فـيهِمْ كُـلَّ باغٍ وَمُـعْتَدي[2]

وقد انضمّ أخيراً إلى الثورة، إلّا أنّه عدل عنها، وصار من حزب ابن الزبير، وسنوضّح ذلك في البحوث الآتية.

استعداد حاكم الكوفة للحرب

أيقن عبدالله بن مطيع حاكم الكوفة بتصميم المختار على الإطاحة بحكومته،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤: ٥١٠.

(٢) رجال بحرالعلوم: ٣: ٧٣. ذوب النضار: ١٠٤. بحار الأنوار: ٤٥: ٣٦٨.

وأنّه في الساعات المقبلة سيفجّر الثورة ، فعهد إلى القادة من جيشه باحتلال الأماكن التالية وحراستها ، وهي :

١ ـ جبّانة بشير ، وقد عهد لحمايتها إلى كعب بن أبي بكر الخثعمي .

٢ ـ جبّانة كندة ، جعل عليها زحر بن قيس .

٣ ـ جبّانة السبيع من همدان ، وضع عليها عبدالرحمن بن قيس الهمداني .

٥ ـ جبّانة مراد ، جعل عليها يزيد بن الحارث .

٦ ـ السبخة ، عهد بحمايتها إلى شبث بن ربعي .

واحتلّت هذه المواضع الحسّاسة من قِبل هؤلاء وسيطروا عليها سيطرة كاملة ، كما احتلّت الجيوش الأسواق[١] .

مصرع رئيس شرطة الكوفة

خرج الزعيم إبراهيم ومعه كوكبة من الأبطال مدجّجين بالسلاح ، متّجهين صوب المختار ، فاستقبلهم إياس بن مضارب العجلي المدير العامّ لشرطة ابن مطيع ومعه عصابة من شرطته ، فصاح بإبراهيم وجماعته : من أنتم ؟

فردّ عليه إبراهيم بعنف : امضِ لشأنك .

فلم يعن به إيائس وصاح به : ما هذا الجمع الذي معك يابن الأشتر ؟ إنّ أمرك لمريب ، وقد بلغني أنّك تمرّ هاهنا كلّ ليلة بجمعك هذا ، فوالله لا تزايلني حتّى آتي بك إلى الأمير عبدالله بن مطيع فيرى فيك رأيه .

وطلب إبراهيم منه أن يخلي سبيله ، فلم يستجب له ، فغضب إبراهيم وصاح به : ألست يا عدوّ الله من قتلة الحسين بن عليّ ؟

---

(١) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢١٦ و ٢١٧ . مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢ : ٢٠٩ .

وتناول إبراهيم رمحاً فطعنه به ، فهوى إلى الأرض ، فأوعز إلى بعض أصحابه بالإجهاز عليه ، فحزّ رأسه ، وانهزم أصحابه شرّ هزيمة ، واتّجه إبراهيم نحو المختار ، وأطلعه على ما حدث من قتله لإياس ، فقال المختار : هذا أوّل الظفر .

التحام المعسكرين

وأمر المختار قوّاته المسلّحة بالاستعداد للحرب ، وإشعال النار في هراوي القصب للاستضاءة بها ؛ لأنّ الوقت كان في غلس الليل ، كما أمر عبدالله بن شدّاد وسفيان بن ليلى أن يناديا في الشوارع بشعار النبيّ ﷺ للحرب ، وهو : « يا منصور ، أمت » .

وأوعز إلى قدامة بن مالك أن ينادي في الناس : « يا لثارات الحسين » .

ولبس المختار لامة حربه ، واعتلى جواده ، وسار ومعه إبراهيم ، وقد رفعت بين أيديهما أقبسة من النار للإضاءة بها ، وقد عجّت شوارع الكوفة بهذا الشعار : « يا لثارات الحسين » .

ودوّى هذا الشعار في سماء الكوفة ، فهبّت الجماهير للالتحاق بالمختار ، وشنّ هجوماً عامّاً على القوّات المتواجدة في السكك والشوارع ، والمختار يدعو الله تعالى بإنابة وخشوع قائلاً : اللّهمّ إنّك تعلم إنّا إنّما غضبنا لأهل بيت نبيّك ، فانصرنا على من قتلهم وظلمهم ، وتمّم لنا دعوتنا إنّك على كلّ شيء قدير .

ورفع إبراهيم صوته عالياً قائلاً : يا شرطة الله إليّ .

فتوافدوا إليه بحماس ، فقال لهم : يا شرطة الله ، انزلوا عن دوابّكم ، فأنتم أوْلى بالنصر والظفر من هؤلاء النسّاق الذين خاضوا في دماء آل محمّد ﷺ .

ونزلوا عن دوابّهم ، وحملوا على معسكر ابن مطيع فهزموهم شرّ هزيمة يطاردهم الرعب والفزع .

والتحق إبراهيم بالمختار لحمايته . وقد حمل عليه الخبيث شبث بن ربعي وحجّار بن أبجر ومعهما عصابة من أتباعهما . وكبّر إبراهيم وكبّر أصحابه . وحملوا عليهم . واشتدّ القتال بين الفريقين كأعنفه . وانضمّ إلى المختار أبو عثمان النهدي ومعه قبيلته . وهم ينادون يا لثارات الحسين . وحملوا جميعاً على معسكر ابن مطيع . وكانت تلك الليلة كليلة الهرير في شدّتها .

ولمّا اندلع نور الفجر قام المختار فصلّى بأصحابه وبعد الفراغ من الصلاة التحم الجيشان . وانهزم جيش ابن مطيع . فصاح بهم شبث بن ربعي وطلب منهم الالتحاق به . فأجابوه .

خطاب السائب

وخطب السائب بن مالك الأشتر في الجيش يحثّهم على الجهاد ونصرة الإسلام قائلاً: « يا معشر الشيعة ! قد كنتم تُقتلون . وتقطّع أيديكم وأرجلكم . وتُسمَل أعينكم . وترفعون على جذوع النخل في حبّ أهل بيت نبيّكم وأنتم مقيمون في بيوتكم . مطيعون لعدوّكم . فما ظنّكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم ؟!

إذاً والله لا يدعون منكم عيناً تطرف . وليقتلونكم صبراً . ولتروننّ منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه .

والله لا ينجيكم منهم إلّا الصدق والصبر . والطعن الصائب في أعينهم . والضرب الدراك على هامهم . فتيسّروا للشدّة . وتهيّأوا للحملة . فإذا حرّكت رايتي مرّتين فاحملوا وتهيّأوا . واجثوا على الركب . وانتظروا أمري » .

وألهب هذا الخطاب عواطف الجيش وتدافعوا بشوق إلى الحرب . ودارت بين المعسكرين معركة لم يشهد لها نظير في قسوتها ومرارتها .

هزيمة جيش ابن مطيع

ومني جيش ابن مطيع بهزيمة ساحقة، وتفلّلت جميع قواعد جيشه، واحتلّت جيوش المختار الكوفة، وارتفعت أصوات النساء طالبات الأمان لأبنائهنّ وأزواجهنّ، فأجابهنّ المختار بتنفيذ طلباتهنّ.

فرار ابن مطيع

أمّا ابن مطيع فقد داخله الفزع والرعب، وأسرع إلى القصر، فدخل فيه، وأغلق عليه الأبواب، فقد انهزم جيشه وليس عنده قوّة يركن إليها، وأشار عليه شبث بن ربعي أن يأخذ من المختار الأمان لنفسه ولمن معه، ولا يهلك نفسه، وامتنع، وقال: «كيف آخذ لنفسي أماناً والأمور مستقيمة في الحجاز والبصرة لابن الزبير»، ونصحه شبث بمغادرة القصر سرّاً، ولا يشعر به أحد، وأن يختفي عند بعض معارفه حتّى يستقرّ الأمر ويلتحق بابن الزبير، وأيّد الحاضرون مقالة شبث، فخرج في غلس الليل متنكّراً وقد ارتدى لباس النساء، وانتهى إلى دار أبي موسى الأشعري، فعرّفهم نفسه، فآووه وكتموا أمره»[1].

وعلم المختار مكانه، فأرسل إليه عبدالله بن كامل ودفع إليه عشرة آلاف درهم، وأمره بمغادرة الكوفة والالتحاق بصاحبه، فاستجاب له وقبض الصلة[2].

العفو العامّ

وأصدر المختار عفواً لجميع من عاداه ووقف ضدّه ولم يشمل العفو الجناة الذين اشتركوا في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وسمع المختار صوتاً من السجن يقول:

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢٤٥.

(٢) مقتل الخوارزمي: ٢٤٧.

أَمْنُنْ عَلَيَّ اليَومَ يا خَيرَ مَعَد ... وَخيرَ مَنْ صَلّى وَخيرَ مَنْ سَجَدْ

وخَيرَ مَنْ حَلَّ بِقَوْمٍ وَوَفَد ... وَخَيْرَ مَنْ لَبّى الجبّارَ صَمَدْ

فبعث خلفه فإذا هو سراقة بن مرداس ، وكان قد قاتل قتالاً شديداً ضدّه ، فلمّا مثل أمامه قال :

أَلا أَبْلِغْ أَبا إسحاقَ إنّا ... نَزَوْنا نَزْوَةً كانَتْ عَلَيْنا

خرَجْنا لا نَرى الضُّعَفاءُ شَيْئاً ... فَكانَ خُروجُنا بَطَراً وَحَينا

لَقينا مِنهُمُ ضَرْباً طَلَحْفاً[1] ... وطَعناً مُكْبِداً حَتّى انْثَنَيْنا

نُصِرتَ عَلى عَدُوِّكَ كُلَّ يَوْمٍ ... بِكُلِّ كَتيبَةٍ تَسْعى حُسَيناً

كَنَصرِ مُحَمَّدٍ في يَوْمِ بَدرٍ ... وَيومِ الشِّعبِ إذْ وافى حُنَيْنا

فَأَسْجِحْ إذْ مَلَكتَ فَلَو مَلَكْنا ... لَجُرْنا في الحُكومَةِ وَاعْتَدَيْنا

تَقَبَّلْ تَوبَةً مِنّي فَإنّي ... سَأَشْكُرُ إذْ عَمِلتَ النَّقدَ دَيْناً[2]

فعفا عنه ولم يقابله بالمثل ، ودلّ ذلك على سموّ نفسه ، وطهارة ذاته ، وأنّه لا يعرف الحقد .

إنفاق ما في بيت المال

وسارع المختار إلى إنفاق ما في بيت المال لا على قوّاته المسلّحة فحسب ، وإنّما على النّاس ، وكان فيه تسعة ملايين درهم[3] .

---

(١) **الطلحف** : الضرب الشديد .

(٢) مقتل الخوارزمي : ٢٤٦ . الفتوح : ٦ : ٢٦٤ .

(٣) مقتل الحسين عليه السلام / الخوارزمي : ٢٤٥ .

البيعة للمختار

انثالت الجماهير على مبايعة المختار، وهي إنّما تبايع الحقّ، وكانت صيغة البيعة على كتاب الله تعالى وسنّة رسوله والطلب بدماء آل محمّد ﷺ، وهذه الصيغة جامعة لكلّ شرط تتوفّر فيه سعادة الأُمّة، وهي بمنزلة دستور تسير عليه الدولة، وقال المختار لمن بايعه من أهل الكوفة: ما بايعتم بعد بيعة عليّ وآل عليّ أهدى منها[1].

وهذا القول صحيح، فليس هناك بيعة أهدى ولا أزكى من هذه البيعة المباركة التي كان من بنودها الطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام.

خطبة المختار

خطب المختار في جمع حاشد في الجامع الأعظم بعد ما أحرزه من النصر والاستيلاء على مقاليد الأُمور والنظام القائم، وقد توعّد في خطابه القوى الباغية بالانتقام منها، وأخذه بعزم وتصميم بثأر العترة الطاهرة، وهذا نصّ خطابه:

«الحمد لله الذي وعد وليّه بالنصر والظفر، وكتب لعدوّه الخسر والخذلان والختر، وجعل ذلك إلى آخر الدهر قضاءً مقضيّاً، ووعداً مأتيّاً، وقولاً مقبولاً، وأمراً مفعولاً، وقد خاب من افترى.

أيّها الناس، أنّه قد مدّت لنا غاية، ورفعت لنا راية فقيل لنا: في الراية أن ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية خذوها ولا تدعوها، فسمعنا دعوة الداعي، وقبلنا قول الراعي، فكم من باغ وباغية قتل في الواغية، ألا بعداً لمن طغى وجحد وبغى، وأدبر وعصى، وكذّب وتولّى، ألا فيلمّوا عباد الله تعالى إلى بيعة الهدى ومجاهدة

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك: ٦: ٣٢.

الأعداء، والذبّ عن السعداء من آل محمّد المصطفى ﷺ.

فأنا المسلّط على المحلّين والطالب بدم ابن بنت الرسول الأمين ﷺ، أما ومنشئ السحاب، شديد العقاب، سريع الحساب، منزل الكتاب العزيز الوهّاب، القدير الغلّاب لأنبشنّ قبر ابن شهاب المفتري الكذّاب، المجرم المرتاب[1]، ولأنفينّ الأحزاب إلى بلد الأعراب. أما والذي جعلني بصيراً، ونوّر قلبي تنويراً، لأحرقن بالبصرة دوراً، ولأنبشنّ بها قبوراً، ولأشفينّ بها صدوراً، ولأقتلنّ بها جبّاراً كفوراً ملعوناً غدوراً، وكفى بالله تعالى نصيراً.

أما وربّ الحرم والبيت المحرّم، والركن المستلم، والمسجد المعظّم، ونون والقلم ليرفعنّ لي عن قريب علم من الكوفة إلى ذي سلم من العرب والعجم، ولأتخذن من تميم أكثر الإماء والخدم»[2].

وانتهى خطابه، وقد حفل بعدة نقاط مهمّة، كان منها:

١ ـ فتح خطابه بقدرة الله تعالى التي لا تقهر، ولا تتغيّر، ولا تتبدّل بالنصر الحاسم لأوليائه، وغلبتهم على أعدائه، وأنّ كلمة الحقّ لا بدّ أن تعلو، وكلمة الباطل لا بدّ أن تتلاشى.

٢ ـ إنّ المختار قد تسلّم راية الحقّ والإيمان، وقد عهد إليه برفعها عالية خفّاقة، وأنّه سيقوم بذلك.

٣ ـ دعا المختار إلى بيعته لأنّها بيعة هدى وإيمان كما دعا إلى مجاهدة أعداء الله تعالى، والذب عن آل النبيّ ﷺ الذين اهتضمت حقوقهم.

٤ ـ حكى خطابه عن عزمه الجبّار في قتال الضالّين، والطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام، وأنّه سيكون نقمة عليهم.

---

(١) لعلّه أراد غير الطاغية زياد بن أبيه. ذوب النضار: ١٠٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٦٣. أنساب الأشراف: ٥: ٢٣١.

ولاته

اختار المختار كوكبة من الذوات الفاضلة فعيّنهم في جهاز حكومته . منهم :

١ ـ عبدالله بن كامل الشاكري عيّنه رئيساً ومديراً لشرطته[١] .

٢ ـ كيسان أبو عمرة . عيّنه رئيساً لحرّاسه[٢] .

٣ ـ حاتم بن النعمان . عيّنه والياً على ثلاث مناطق . وهي حرّان . الرهاء . وسميساط[٣] .

٤ ـ زفر بن الحارث جعله والياً على قرقيسيا[٤] .

٥ ـ عمير بن الحباب نصبه والياً على كفرتوثا وطور عبدين[٥] .

٦ ـ عبدالرحمن بن سعيد الهمداني . جعله والياً على الموصل[٦] .

٧ ـ محمّد بن عثمان التميمي . عيّنه والياً على أذربيجان[٧] .

٨ ـ عبدالله بن الحارث عهد إليه بولاية همدان والماهين .

٩ ـ يزيد بن معاوية البجلي . جعله والياً على اصبهان[٨] .

---

(١) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٦٣ . أنساب الأشراف : ٥ : ٢٣١ .

(٢) الكامل في التاريخ : ٣ : ٣٦٣ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٦٥ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٦٥ .

قرقيسيا : بلد على الخابور عند مصبّه ، وهي على الفرات ، جانب منها على الخابور ، وجانب على الفرات . مراصد الاطّلاع : ٣ : ١٠٨٠ .

(٥) أنساب الأشراف : ٥ : ٢٣١ .

(٦) الأخبار الطوال : ٢٩٢ .

(٧) الأخبار الطوال : ٢٩٢ .

(٨) الأخبار الطوال : ٢٩٢ .

١٠ ـ ابن مالك البكراوي عيّنه والياً على حلوان[١].

وهكذا امتدّ حكمه إلى معظم المناطق الإسلاميّة سوى مصر والشام، فإنّهما كانتا خاضعتين للحكم الأموي. وأمّا الحجاز فإنّه كان تحت نفوذ ابن الزبير.

بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام

بادر المختار إلى بناء مرقد سيّد الشهداء عليه السلام، وهو أوّل بناية تقام على ضريح أبي الأحرار. وكان القائم والمتولّي على البناء هو إبراهيم بن مالك الأشتر[٢].

فزع الجناة المجرمين

أشاع المختار الفزع في نفوس المجرمين من قتلة سيّد الشهداء عليه السلام، فملأ قلوبهم خوفاً ورعباً، وقد قام بما عاهد عليه الله تعالى من التنكيل بهم، وإنزال أقسى العقوبات بهم، وقد بلغ بهم الذلّ أقصاه، فكان العبد يقول لسيّده: «احملني على عنقك وإلّا أخبرت المختار أنّك من قتلة الإمام الحسين»، فكان السيّد يحمل عبده على عاتقه ويدلي رجليه على صدره مبالغة في إذلاله[٣].

هروب الفسقة

وهرب الفسقة الجناة من قتلة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، خوفاً من المختار الذي أخذ يلاحقهم، فمن ظفر به سقاه كأساً مصبّرة، وصبّ عليه العذاب الأليم، ومن الهاربين هذه العصابة المجرمة:

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٩٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة:

(٣) أصدق الأخبار: ٧٧.

١ ـ عبدالملك بن الحجّاج التغلبي

كان ممّن شارك في قتل سيّد الشهداء ، هرب إلى عبدالملك بن مروان ، وقال له : إنّي هربت إليك من العراق .

ولم يخف على عبدالملك كذبه ، فصاح به : « كذبت ، ليس لنا هربت ، ولكن هربت من دم الحسين ، وخفت على دمك فلجأت إلينا »[١] .

٢ ـ أسماء بن خارجة الفزاري

وهو من وجوه أهل الكوفة ، وكان له دور في قتل الشهيد هانئ بن عروة ، فقد غرّر به لمقابلة الطاغية ابن مرجانة ، فلمّا مثل عنده وقع فريسة تحت أنيابه ، وأعدمه ، وكان المختار إذا أراد القبض على بعض الشخصيّات التي لها نفوذ سجع بها ، فقال في أسماء : « أمّا وربّ السماء والماء ، وربّ الضياء والظلماء ، لتنزلنّ نار من السماء حمراء دهماء سحماء ، ولتحرقنّ دار أسماء »[٢] .

ونقل كلامه إلى أسماء فاضطرب وخاف وقال : « سجع أبو إسحاق بداري ، فليس لي مقام هنا بعد هذا ، وولّى منهزماً إلى البادية ، فأرسل المختار إلى داره ودور بني عمّه فهدمها ، وجعلها أنقاضاً »[٣] .

وقال عبدالله بن الزبير الأسدي يؤنّب مضر على هدم دار أسماء :

تَـرَكـتُمْ أَبـا حَسّـانَ تُـهدَمُ دارُهُ ... مُـنَبَّذةً أَبْـوابُـها وَحَـديدُها

فَلَوْ كانَ مِنْ هَمْدان أَسْماءُ أَصْحَرتْ ... كِتائِبُ مِنْ هَمْدان صُعْرٌ خُدودُها[٤]

---

(١) حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام : ٢ : ١٧٦ .

(٢) مقتل الخوارزمي : ٣٥٦ . الحور العين : ١٨٢ . الفتوح : ٦ : ٢٥٤ . ذوب النضار : ١٢٤ .

(٣) بحار الأنوار : ٤٥ : ٣٧٧ .

(٤) أنساب الأشراف : ٦ : ٤٦١ .

لَهُمْ كانَ مُلْكُ النّاسِ مِنْ قَبلِ تُبَّعٍ تَقودُ وَما في النّاسِ حَيٌّ يَقودُها [١]

٣ ـ محمّد بن الأشعث

كان هذا المجرم الخبيث قد تلوّثت يداه بقتل الشهيد الخالد مسلم بن عقيل، كما كان له دور مخزٍ في الاشتراك بقتل سيّد الشهداء عليه السلام. وكان المختار عالماً بموبقاته وجرائمه. فدعا بحوشب بن يعلى الهمداني، وكان من قادة جيشه. فقال له: «يا حوشب، أنت تعلم أنّ محمّداً بن الأشعث من قتلة الحسين بن عليّ، وهو الذي قال له بكربلاء ما قال. والله لا يهنيني النوم ولا القرار، ورجل من قتلة الحسين يمشي على الأرض، فسر إليه في مائة رجل من أصحابك، فإنّك تجده لاهياً متصيّداً، أو قائماً متلبّداً، أو خائناً متلدّداً، أو حائراً متردّداً، فاقتله وجئني برأسه».

وخرج حوشب ومعه مائة رجل حتّى صار إلى القرية التي فيها ابن الأشعث، فلمّا علم بذلك ولّى هارباً في غلس الليل إلى البصرة، لاجئاً لمصعب بن الزبير، وكتب حوشب بذلك إلى المختار، فلامه على هربه، وأمره بهدم قصره وبيته وخراب قريته، ومصادرة أمواله المنقولة.

والتحق ابن الأشعث بمصعب، وبادره قائلاً: ما وراءك يابن الأشعث؟

وراح ابن الأشعث كالكلب يلهث وهو يقول من شدّة خوفه: «إنّ هذا المختار قد غلب على الأرض جميعاً، وهو يقتل الناس كيف شاء، وقد قتل والله ممّن يتّهم بقتل الحسين بن عليّ أكثر من ثلاثة آلاف من فرسان العرب وشجعانهم وساداتهم وكبرائهم، وقد أراد قتلي، فهربت إليك خوفاً منه، فهذا ما ورائي»[٢].

وعيّنه مصعب والياً على الموصل، وبعث المختار والياً عليها، فلمّا علم

---

(١) الحور العين: ٢٣٧.

(٢) مقتل الخوارزمي: ٢٥٦. الفتوح: ٦: ٢٥٥.

ابن الأشعث بقدومه فرّ منهزماً إلى تكريت، وعلم المختار بإقامته فيها، فدعا ولده عبدالرحمن وقال له: أنت في طاعتي، وأبوك في طاعة ابن الزبير، ما الذي يمنعه من المصير إليَّ والدخول في طاعتي؟

أما والله لقد هممت أن أوجّه إليه من يأتيني به قبل ثلاثة أيّام، فافعل به ما أضمره له، أوَليس هو من قتلة الحسين؟ أوَليس هو الذي قال للحسين يوم كربلاء: وأي قرابة بينك وبين محمّد ﷺ؟

وقال عبدالرحمن: أعزّ الله الأمير، أنا أخرج إليه فآتيك به شاء أو لم يشأ.

وأذن له المختار فسافر إلى تكريت والتقى بأبيه، فسارع أبوه قائلاً: ما وراءك يا بني؟

- إنّ هذا الرجل - يعني المختار - ظهر بالكوفة، واستوسق له الأمر، وأطاعه الناس، وقد سأل عنك وذكرك وأخاف أن يبطش بقتلة الحسين فلا يغادر منهم أحداً، وأنت ممّن أساء إلى الحسين، وليس جلوسك هنا بشيء لأنّه ليس معك من يحميك، وأنت بالكوفة أعزّ منك هنا.

ولم يخف على ابن الأشعث قصد ولده من تسليمه للمختار، فقال لمن حوله: إنّ ابني هذا له نخل بالكوفة على شاطئ الفرات، ويريد أن أمضي معه إلى الكوفة حتّى يأمن هو ونخله ولا يضرّه ما يفعل بي!.

وأخذ عبدالرحمن يتضرّع لأبيه ويمنّيه السلامة حتّى أقنعه وأقدمه إلى الكوفة، وسلّمه إلى المختار[1]. ومن المؤكّد أنّه ألحقه بالكلاب المردة من أصحابه.

٤ ـ مجرم

انهزم من الكوفة خوفاً من المختار إلى عبدالملك بن مروان وخاطبه:

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢٤٥. كتاب الفتوح: ٦: ٢٤٢ و ٢٤٣.

أَدْنو لِتَرحَمَني وَتَرتُوَ خَلَّتي وَأَراكَ تَدفَعُني فَأَينَ المَدفَعُ[١]

وهكذا كان الخوف يطاردهم ويلاحقهم الرعب بما كسبت أيديهم فتعساً لهم.

٥ ـ شمر بن ذي الجوشن

أمّا شمر بن ذي الجوشن فهو أقذر ارهابي، وقد وصفه بولس سلامة بقوله:

صِبغٌ مِنْ جَبهةِ القَرودِ وألوانِ الحَرابي وأَعيُنِ الحَيّاتِ[٢]

كان هذا الخبيث الدنس من أحقد المجرمين على سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فرّ من المختار وبالقرب من الموصل لاحقته شرطة الموصل فقتلته، وصارت مقبرته بطون الكلاب، فقد مزّقته وأكلته.

٦ ـ عمر بن سعد

أمّا هذا الخبيث الوضيع فكان القائد العامّ للقوات المسلّحة التي قتلت سيّد الدنيا وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد كان عبداً مطيعاً لسيّده ابن مرجانة، ونفّذ جميع أوامره التي منها قتل الإمام عليه السلام والتمثيل بجسده الشريف، وحرق الخيام التي تأوي عقائل النبوّة وحملها سبايا إلى الكوفة، كلّ ذلك نفّذه المجرم الخبيث تقرّباً وطاعة لابن مرجانة، وأخيراً ندم على ما اقترفه من هذه الجرائم، وقد قبع في داره يلاحقه الفزع والاستهانة من جميع الأوساط، وكان إذا خرج من داره ترميه الصبيان بالأحجار.

كما عمدت بعض نساء الشيعة من همدان إلى النياحة والبكاء على الإمام الحسين بالقرب من داره، وقد بلغ به الخوف أقصاه، فكان يبيت في قصر الإمارة

---

(١) عيون الأخبار (ابن قتيبة): ١: ١٠٣.

(٢) ديوان (عيد الغدير): ٢٨٧.

لا في داره[١].

وعلى أي حال، فقد ترك هذا الخبيث صدوعاً في نفوس العلويّين، وقد أنكر محمّد بن الحنفيّة على المختار وجود ابن سعد على قيد الحياة، فرفع له الرسالة التالية، وقد جاء فيها بعد البسملة:

«إنّك ذكرت أنّك قتلت قتلتنا، وطلبت بثأرنا، كيف ذاك، وقاتل الحسين عندك؟ ـ يعني ابن سعد ـ يغدو ويروح».

ولمّا قرأ المختار رسالة ابن الحنفيّة عزم على قتل ابن سعد، فقال أمام الحاضرين مسجعاً به: «لأقتلنّ والله غداً رجلاً عظيم القدمين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، من قتلة الحسين، يسرّ قتله المؤمنين، والملائكة المقرّبين».

وكان في المجلس الهيثم بن الأسود، فعلم أنّه أراد ابن سعد، فسارع إليه وأخبره، ففزع عدوّ الله تعالى واعتلى ناقته ليهرب من الكوفة، وسارت به الناقة في أزقّة الكوفة وشوارعها، وأخبر المختار بهربه، فقال: إنّ في رقبته سلسلة ترجعه إلى داره، أراد بذلك دعاء الإمام الحسين على ابن سعد، وهو سلّط الله عليك من يذبحك بعدي على فراشك، ونام الخبيث على ناقته وهي تطوف به في أزقّة الكوفة وشوارعها، ورجعت به عند الصباح إلى داره، فبعث ولده حفصاً إلى المختار ليأخذ منه أماناً بعدم التعرّض له، ومضى حفص إلى المختار وعرض عليه طلب أبيه، فدعا المختار مدير شرطته أبا عمرة وأسرّ إليه أن يأتيه برأس ابن سعد، وأسرع أبو عمرة ومعه كوكبة من الشرطة إلى دار ابن سعد فهجموا عليه داره، فقام المجرم يدافع عن نفسه، فعثر وسقط على الأرض، وأسرعوا إليه فذبحوه على فراشه، وتحقّق دعاء الإمام الحسين عليه، وحمل أبو عمرة رأس الخبيث إلى المختار ووضعه بين يديه، فالتفت إلى ولده حفص قائلاً: أتعرف هذا؟

---

(١) المنتظم: ٦: ٣٦.

- نعم، ولا خير في الحياة بعده.

ثمّ أمر بإعدامه، والتفت المختار إلى من حوله قائلاً: هذا بالحسين ـ يعني ابن سعد ـ وهذا ـ يعني حفصاً ـ بعليّ بن الحسين؟ والله لو قتلت ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله.

من هم قريش؟ إنّها مجموعة من العصابات المجرمة التي لا تساوي قلامة ظفر الحسين.

وأمر المختار بصلب جثّة ابن سعد وابنه، ثمّ صبّ عليهما نفطاً وأحرقهما بالنار، وبعث بالرأسين إلى محمّد بن الحنفيّة ومعهما هذه الرسالة بعد البسملة:

«للمهدي محمّد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد الثقفي

سلام عليك

أمّا بعد..

فإنّ الله تبارك وتعالى جعلني نعمة لأوليائكم، ونقمة على قاتليكم وأعدائكم، فهم من فضل الله تعالى العزيز الحكيم بين قتيل وأسير، وشريد وطريد، فنحمد الله تعالى على ذلك.

أيّها المهدي، حمداً يستوجب منه المزيد في العاجلة والمغفرة والرحمة في الآجلة.

وقد وجّهت إليك برأس عمر بن سعد وابنه حفص، وقد قتلت من شارك في دم الحسين وأهل بيته من قدرت عليه، ولن يعجز الله تعالى من بقي منهم، ولست التذّ بالمنام، ولا يسوغ لي الطعام، ولا يطيب لي الشراب، ولا يبقى أحد ممّن شرك في دماء أهل بيتك، وأنا أرجو أن يقتل الله تعالى عبيدالله بن زياد وأصحابه المحلّين على يدي، وقد وجّهت إليك بثلاثين ألف دينار لتفرّقها على من أحببت من أهل بيتك، واكتب إليّ برأيك حتّى أتّبعك، والسلام».

حكت هذه الرسالة السرور الذي غمر المختار بقتله الرجس ابن سعد، كما حكت تصميمه الجادّ على اجتثاث كلّ من اشترك في قتل سيّد المتّقين، وإمام الموحّدين الحسين عليه السلام، وأنّه لا يقرّ له قرار، ولا يسكن له بال حتّى يستأصل هذه العصابة المجرمة.

وانتهت هذه الهدية الثمينة إلى ابن الحنفيّة فسرّ بها سروراً بالغاً، وحوّل وجهه إلى القبلة وخرّ ساجداً شاكراً لله على هذه النعمة، وأخذ يدعو للمختار قائلاً: «اللّهمّ لا تنس هذا للمختار، واجزه عن أهل بيت نبيّك أفضل الجزاء»[1].

لقد لقي الخبيث ابن سعد جزاءه في الدنيا احتقاراً وذمّاً واستهزاء من الأوساط الشعبيّة، كما لقي حتفه على فراشه، وأحرقت جيفته، وأمّا في الدار الآخرة فهو خالد في نار جهنّم، ويعذّب بجميع صنوف العذاب، وعليه اللعنة والخزي الدائم في يوم حشره ونشره.

هدم دور الجناة

وجهد المختار على إنزال أقسى العقوبات بأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله الذين استباحوا دماء العترة الطاهرة، وكان من إجراءاته هدم دور الجناة من قتلة الإمام عليه السلام، فقد اتّخذ ألف عامل لهذه المهمّة، وزوّدهم بالفؤوس والمعاول لهدم دار كلّ من ثبت إدانته بهذه الجريمة، وقد اختار للقيام بذلك أبا عمرة، وهو من كبار قادة جيشه، ومن المتحمّسين لإبادة قتلة الإمام الحسين عليه السلام.

وكان يضرب المثل به بكلّ دار خربة فيقال: «دخلها أبو عمرة».

يقول الشاعر:

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢٥٣ ـ ٣٥٥. الفتوح: ١: ١٨٩ و ١٩٠.

إبليسُ بِما فيهِ خَيرٌ مِنْ أبي عَمْرَة يُغويكَ وَيطغيك وَلَا يُعطيكَ كِسْرَة[١]

الإبادة الشاملة

عمد المختار جزاه الله خيراً ، وأجزل له المزيد من الأجر إلى اجتثاث السفكة المجرمين من قتلة سيّد الشهداء ﷺ واستئصال شأفتهم ، وهذه لائحة بأسماء بعضهم:

١ ـ حرملة بن كاهل

اقترف هذا المجرم الخبيث أفظع الجرائم والموبقات ، فهو الذي سدّد سهماً لعبدالله الرضيع الذي كان كالبدر في جماله وبهاء صورته ، وقد أشرف على الموت من شدّة الظمأ ، فحمله الإمام إلى أولئك الأرجاس يستدرّ عواطفهم ليسقوه جرعة من الماء ، فانبرى إليه اللئيم حرملة بن كاهل فسدّد له سهماً ، وجعل يضحك وهو يقول أمام تلك الوحوش: « خذ هذا فاسقه » .

واخترق السهم ـ يا لله ـ رقبة الطفل ومزّقها ، ولمّا أحسّ بحرارة السهم أخرج يديه من القماط وجعل يرفرف على صدر أبيه كالطير المذبوح ، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى مات على ذراع أبيه ، وأخذ الإمام العظيم يناجي ربّه قائلاً: « **هَوَّنَ عَلَيَّ ما نَزَلَ بي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ تَعالىٰ . اللّٰهُمَّ لا يَكونُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ فَصيلِ ناقَةِ صالِح** » .

إلـهي ، إنْ كُنْتَ حَبَسْتَ النَّصْرَ عَنّا فَاجْعَلْهُ لِما هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَانْتَقِمْ لَنا مِنَ الظّالِمينَ ، وَاجْعَلْ ما حَلَّ بِنا في الْعاجِلِ ذَخيرَةً لَنا في الْآجِلِ .

اللّٰهُمَّ أَنْتَ الشّاهِدُ عَلىٰ قَوْمٍ قَتَلوا أَشْبَهَ النّاسِ بِرَسولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ » .

وترك هذا المصاب الأليم لوعة وأسى في نفوس العلويّين ، فقد روى المنهال بن

---

(١) تكملة تنقيح المقال: ٤٩٩.

عمرو[١] وهو من أهالي الكوفة، قال: «دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام حال منصرفي من مكّة فقال لي: **يا مِنْهالُ، ما صَنَعَ حَرْمَلَةُ بْنُ كاهِلِ الأَسَدي؟**

قال: تركته حيّاً بالكوفة.

فرفع الإمام يديه بالدعاء وراح يدعو الله تعالى بحرارة قائلاً: **اللّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ الْحَديدِ، اللّهُمَّ أَذِقْهُ حَرَّ النّار.**

قال المنهال: فلمّا قدمت الكوفة قصدت المختار وكان لي صديقاً، فسلّمت عليه، ورأيته مشغولاً يترقّب أمراً مهمّاً، وما هي إلّا لحظات حتّى جيء بالمجرم حرملة، فأمر المختار بإحضار النار وتقطيع أوصاله وإلقائها في النار، فكبّرت.

فالتفت إليَّ المختار قائلاً: لِمَ كبّرت، إنّ التكبير لحسن؟

فأخبرته بدعاء الإمام زين العابدين على حرملة، فسرّ المختار وصام ذلك اليوم شكراً لله تعالى على استجابة دعاء الإمام زين العابدين على يده»[٢].

٢ ـ عصابة مجرمة

وألقت شرطة المختار القبض على عصابة مجرمة اشتركت في قتل الإمام الحسين عليه السلام، وهي:

١ ـ عبدالله بن نزال الجهني.

٢ ـ مالك بن بشير البدّي.

---

(١) **المنهال بن عمرو الأسدي:**
عدّه الشيخ الطوسي بهذا العنوان تارةً في أصحاب الحسين عليه السلام، وأُخرى في أصحاب عليّ بن الحسين عليه السلام، وعدّه في أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام. معجم رجال الحديث: ١٩: ٨.

(٢) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٢: ٣٩٩.

٣ ـ حمل بن مالك المحاربي.

وهؤلاء الأرجاس من فرسان ابن مرجانة، وجيء بهم مخفورين إلى المختار فصاح بهم: يا أعداء الله، وأعداء رسوله، وأعداء آل الله، أين الحسين؟ أدّوا إليّ الحسين، قتلتم من أمركم الله تعالى بالصلاة عليه في صلواتكم.

فأجابوا: بعثنا عبيدالله بن زياد، ونحن كارهون قتاله، فامنن علينا واستبقنا.

فصاح بهم المختار وهو مغيظ محنق: هلّا مننتم على الحسين واستبقيتموه.

ثمّ وجّه خطابه إلى مالك بن بشير البدّي فقال له: أنت صاحب برنسه.

وانبرى عبدالله بن كامل وهو من عيون المختار فقال له: نعم، هو صاحب البرنس.

فأمر المختار بقطع يديه ورجليه حتّى ينزف دمه ويهلك، ففعل به ذلك، ثمّ أمر المختار بقتل الجهني والمحاربي، فقتلا[1].

٣ ـ العصابة التي داست جثمان الحسين عليه السلام

ألقت شرطة المختار القبض على العصابة المجرمة التي داست جسد ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأمر المختار بطرحهم على ظهورهم، وضرب سكك الحديد في أيديهم وأرجلهم، وأجرى الخيل عليهم حتّى تقطّعت أوصالهم، ثمّ أمر بإحراق جيفهم بالنار»[2].

٤ ـ خولي بن يزيد

حمل هذا المجرم رأس ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله من كربلاء إلى الكوفة، وملء إهابه

---

(١) مقتل الخوارزمي: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) أصدق الأخبار في قصّة الأخذ بالثأر: ٦٤.

فرح وسرور لينال الجائزة من ابن مرجانة، وقد وصل إلى الكوفة في غلس الليل وهو يلهث كالكلب من شدّة التعب، فاستقبلته زوجته وكانت علويّة الفكر، فقالت له: ما جئت به؟

فقال: جئتك بالذهب.

فقالت: أين هو؟

فقال: هذا رأس الحسين.

فذعرت، وصاحت به: ويلك جاء الناس بالذهب والفضّة، وجئت برأس ابن بنت رسول الله ﷺ، والله لا يجمع رأسي ورأسك شيء أبداً[١].

وأصبح زوجها من أبغض الناس إليها، ولمّا هجمت شرطة المختار عليه دخل الجبان بيت الخلاء، ووضع على رأسه قوصرة[٢] يستر بها بدنه لئلّا تراه الشرطة، وسألت الشرطة زوجته عنه، فقالت: لا أدري أين هو؟ وأشارت إلى بيت الخلاء، فهجموا عليه وذبحوه فيه، ثمّ أحرقوا جيفته[٣].

٥ ـ عمرو بن الحجّاج الزبيدي

وهو دنس خبيث، مجموع من الجرائم والموبقات، هو الذي تولّى حراسة حوض الفرات لمنع الماء عن الإمام عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه، وضيّق عليهم غاية التضييق، هرب هذا المجرم من الكوفة فتبعه أصحاب المختار، وقد سقط إلى الأرض من شدّة العطش، فذبحوه وحملوا رأسه إلى المختار[٤].

---

(١) أنساب الأشراف: ٣: ٢٠٦.

(٢) **القوصرة**: تصنع من سعف النخل ليوضع فيها التمر.

(٣) المنتظم: ٦: ٥٨.

(٤) أصدق الأخبار: ٦٤.

٦ ـ حكيم بن الطفيل

هذا المجرم القذر هو الذي رمى سيّد الشهداء عليه السلام بسهم وسلب ثيابه . فأمر المختار بإلقاء القبض عليه . فسارعت الشرطة بقيادة عبدالله بن كامل وهو من خيار الشيعة إلى القبض عليه . وسارع أهله إلى عديّ بن حاتم أن يشفع فيه . فتكلّم مع عبدالله فلم يستجب له . ومضى إلى المختار ليشفع فيه فخافت الشرطة أن يستجيب المختار له . فكلّموا عبدالله مديرهم في قتله . فاستجاب لهم . فانثالوا عليه وقالوا له : « أنت سلبت الحسين ثيابه . والله لنسلب ثيابك وأنت حيّ » . فنزعوا ثيابه وقالوا له : « أنت رميت الحسين . واتّخذته غرضاً لنبلك . فكذلك نرميك » . فرموه بسهامهم حتّى صار كالقنفذ وخرّ ميّتاً[١] .

٧ ـ سنان بن أنس النخعي

مجرم خبيث . وهو من الجناة الذين قتلوا ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله . طلبه المختار فأُخبر أنّه هرب إلى البصرة . فأمر بهدم داره . ثمّ بعث في طلبه . فوجدوه بين العذيب والقادسيّة . فقبضوا عليه ومثّلوا به . فقطعوا أنامله . ثمّ يديه ورجليه . وأغلوا زيتاً في قدر كبير ورموه فيه[٢] . وألحقه الله تعالى بنار جهنّم . وأخلد عذابه .

٨ ـ الذين نهبوا الورس

من العصابات المجرمة في جيش ابن سعد هي العصابة التي نهبت الورس[٣] الذي كان مع الإمام الحسين عليه السلام . وهم :

---

(١) أصدق الأخبار : ٦٦ .

(٢) أصدق الأخبار : ٦٦ .

(٣) **الورس** : نبت كالسمسم يزرع باليمن . تتّخذ منه الحمرة .

١ ـ زياد بن مالك الضبعي.

٢ ـ عمر بن خالد العنزي.

٣ ـ عبدالرحمن بن خشكارة البجلي.

٤ ـ عبدالله بن قيس الخولاني.

ألقت الشرطة القبض عليهم وساقتهم إلى المختار، فقال لهم: يا قتلة الصالحين، وقتلة سيّد شباب أهل الجنّة، ألا ترون أنّ الله تعالى قد أقاد منكم اليوم، فقد جاء الورس بيوم نحس»، ثمّ أمر بإعدامهم في السوق[1].

٩ ـ عثمان وبشر

وهما قد اشتركا في قتل الإمام عليه السلام، كما اشتركا في قتل عبدالرحمن بن عقيل وسلبه، فبعث المختار لإلقاء القبض عليهما عبدالله بن كامل، فألقى القبض عليهما، ونفّذ فيهما حكم الإعدام في الطريق، وأخبر المختار بذلك، فأمر بحرق جثّتيهما[2].

وهكذا قضت الحكمة الإلهيّة بإنزال العقاب الصارم على هؤلاء الكفرة الذين اقترفوا أفظع الجرائم.

١٠ ـ بجدل بن سليم الكلبي

هو الذي أخذ خاتم الحسين عليه السلام بعدما قطع إصبعه؛ لأنّ الدماء كانت جامدة عليه، فلم يتمكّن من نزعه، فأمر المختار بقطع يديه ورجليه فقطعتا، وأخذه نزف

---

(١) أصدق الأخبار: ٦٦.

(٢) أصدق الأخبار: ٧٢.

الدم حتّى هلك النذل عدوّ الله[١].

١١ ـ عمرو بن صبيح

من الخونة المجرمين ، حارب بشراسة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام ، هجم عليه أصحاب المختار في الليل فاعتقلوه ، وجيء به مخفوراً فحبسوه ، فلمّا أصبح الصبح أذن للناس ، ثمّ أمر بإحضاره ، وقال : « اطعنوه حتّى يموت » ، فتناهبت الرماح جسمه حتّى هلك عدوّ الله[٢].

١٢ ـ عبيدالله بن زياد

انتقم الله تعالى من هذا المجرم شرّ انتقام ، فقد شفى الله تعالى قلوب المؤمنين من شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله بسفك دمه ، ودماء جنوده النسقة الفجرة ، بأعنف معركة التحم فيها معسكر الإيمان مع معسكر الكفر والضلال ، وقد كتب الله النصر لأوليائه الذين جاهدوا في سبيله ونصروا دينه ، وطلبوا بثأر سبط رسوله صلى الله عليه وآله ، وهذا عرض لبعض فصول هذه الملحمة.

زحف جيش الشام لاحتلال الكوفة

أرسل عبدالملك بن مروان جيشاً مكثّفاً بقيادة المجرم الارهابي عبيدالله بن زياد لاحتلال الكوفة ، وعهد إليه أن يبيحها لجنده ثلاثة أيّام ، كما فعل مثل ذلك يزيد بن معاوية في مدينة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان ذلك هو السمت البارز في طباع الأمويّين وسياستهم.

---

(١) مقتل الخوارزمي : ٢ : ٢٢٠ . الفتوح : ٦ : ٢٤٤.

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ : ٢٤٤.

عدد جيش ابن زياد

خرج ابن زياد لحرب المختار ومعه جيش ضخم كان عدده ثلاثة وثمانين ألف جندي مسلّح[١]. ومزوّد بأحدث الأسلحة، وأفضل الأمتعة.

جيش المختار

علم المختار أنّ عبدالملك بن مروان أرسل جيشاً مكثّفاً بقيادة الطاغية ابن زياد، فانتدب لقتاله جيشاً عقائدياً متسلّحاً بالإيمان، ومتحمّساً للطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وقد ندب لقيادته العامّة الزعيم الموهوب إبراهيم بن مالك الأشتر.

عدد جيش المختار

أمّا عدد الجيش العراقي الذي خرج لمحاربة جيش ابن زياد، فكان عدده عشرين ألف مقاتل، وهذه قائمة ببعض أسماء القبائل التي خرجت للحرب وهي:

١ ـ ألفي مقاتل من مذحج وأسد.

٢ ـ ألفي مقاتل من تميم وهمدان.

٣ ـ ألف وخمسمائة مقاتل من قبائل المدينة.

٤ ـ ألف وخمسمائة من كندة وربيعة.

٥ ـ ألفان من الحمراء.

٦ ـ قال بعضهم: كان ابن الأشتر في أربعة آلاف من القبائل وثمانية آلاف من الحمراء[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٣٤.

قادة جيش إبراهيم

أمّا قادة الفرق التي كانت في جيش إبراهيم فهم:

١ ـ قيس بن طهفة، عيّن قائداً على ربع المدينة.

٢ ـ عبدالله بن جندب، على مذحج وأسد.

٣ ـ الأسود بن جراد الكندي، على كندة وربيعة.

٤ ـ حبيب بن منقذ على ربيعة وهمدان، وكان شاعرهم يقول:

أما وَرَبِّ المُرسَلاتِ عُرفاً ... لَنَقتُلَنَّ بَعدَ صَفٍّ صَفّا

وَبَعْدَ أَلفٍ قاسِطينَ أَلفاً[1]

انضمام عبيدالله بن الحرّ لإبراهيم

التحق عبيدالله بن الحرّ بإبراهيم بن الأشتر في حربه لابن زياد، وكان إبراهيم لا يثق به، وقال للمختار: «إنّي أخاف أن يغدر بي في وقت الحاجة»، وكان المختار عارفاً به، فقال لإبراهيم: «أحسن إليه، واملأ عينيه بالمال»، وسار عبيدالله مع إبراهيم حتّى انتهوا إلى تكريت، واستولى إبراهيم على جباية خراجها، ففرّق بين أصحابه المال، وبعث إلى عبيدالله خمسة آلاف درهم، فغضب عبيد الله، وقال له: أنت أخذت لنفسك عشرة آلاف درهم، فحلف إبراهيم أنّه ما أخذ زيادة عليه، وحمل إليه ما أخذه لنفسه، فلم يرض بذلك، وخرج على المختار ونقض عهده، وغار على سواد الكوفة ونهب القرى، وأخذ الأموال، ومضى إلى البصرة، وانضمّ إلى مصعب بن الزبير، وأمر المختار بهدم داره، وندم على ذلك كما ندم على عدم نصرته للإمام الحسين، وله شعر في ذلك ذكرناه في البحوث السابقة.

---

(١) أنساب الأشراف: ٦: ٤٢٣.

خروج جيش المختار

خرج جيش المختار ليناجز أعداء الإسلام، وجيوش الضلال، ويدافع عن القيم الإسلاميّة، ويعيد للمسلمين كرامتهم وعزّتهم.

وكان خروج الجيش يوم السبت لسبع خلون من محرّم سنة ٦٧هجريّة، وذكر البلاذري أنّ الجيش شخص لست ليال خلون من ذي الحجّة[١].

تشييع المختار لإبراهيم

خرج المختار لتشييع إبراهيم تكريماً وتعظيماً له، وكان المختار ماشياً وإبراهيم راكباً، وطلب إبراهيم منه الركوب فأجابه: «إنّي لأحتسب الأجر في خطاي معك، وأُحبّ أن تغبر قدماي في نصرة آل محمّد ﷺ».

وسار الجيش يطوي البيداء حتّى التقى بالقرب من جيش الشام محاذياً لمدينة الموصل.

عمير مع إبراهيم

كان عمير بن الحباب السلمي من كبار قادة جيش ابن زياد، وكان حاقداً على الأمويّين لأنّه من القسّيسين الذين يحتقرهم الأمويون، ويقدّمون غيرهم عليهم، وقد التقى سرّاً بإبراهيم، ووعده بالانهزام في ساحة الحرب، الأمر الذي يوجب انهيار جيش الأمويّين.

خطاب إبراهيم في جيشه

عبّأ إبراهيم جيشه على الحرب، وأقام الرايات، ووقف على كلّ كتيبة يخطب،

---

(١) أنساب الأشراف: ٤: ٢١٩.

وهذا نصّ خطابه:

« يا أنصار الدين وشيعة الحقّ . هذا عبيد الله بن مرجانة قاتل الحسين بن عليّ ، ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ . حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه . ومنعه من الذهاب في الأرض العريضة حتّى قتله وقتل أهل بيته . فوالله ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول الله ﷺ . الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . فوالله إنّي لأرجو أن يشفي الله صدوركم بسفك دمه على أيديكم . فقد علم الله أنّكم خرجتم غضباً لأهل بيت نبيّكم ».

وألهب هذا الخطاب عواطف الجيش . ودفعهم يتحمّسون لحرب عدوّهم .

التحام الحرب

التحم الفريقان في حرب كانت من أشدّ الحروب قسوة . ومن أكثرها هولاً . فكان يسمع ضرب الحديد على الحديد كأصوات الرعد . وقد أبلى جيش المختار بلاء حسناً . فكان يقاتل بحرارة وإيمان . وقد حمل إبراهيم على أهل الشام وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ مَذْحِجُ عِلْماً لا خَطَلْ [١] أَنِّي إذا القَرْنُ لَقِيني لا وَكَلْ [٢]

وَلَا جَزُوعٍ عِنْدَها وَلَا نَكَلْ أَرُوعُ مِنْدامٍ إذا النَكْسُ [٣] فَشَلْ

وكان من شجاعته وقوّته النادرة إذا ضرب رجلاً صرعه . وكانت الرجال تفرّ من بين يديه كالمعزى إذا شدّ عليها الذئب .

---

(١) **الخطل**: الفاسد المضطرب .

(٢) **الوكل**: العاجز .

(٣) **النكس**: الرجل الضعيف .

انهزام عمير

وانهزم عمير الذي وعد إبراهيم بالهزيمة. فقد فتك بجيش أهل الشام فتكاً ذريعاً، وولّوا على أعقابهم مدبرين، فقد تزلزلت جميع قواعدهم وفرقهم. وقال عمير السلمي يذمّهم:

وَما كانَ جَيْشٌ يَجمَعُ الخَمْرَ وَالزِّنا مُحِلّاً إذا لاقَى العَدُوَّ لِيُنْصَرا[1]

وهو وصف دقيق وصحيح لجيش الكفر والضلال. فقد ضمّ كلّ باغ وفاسد وأثيم. وإذا كانت هذه صفاته فلا بدّ أن يندحر في عمليّات الحروب، وينتصر الجيش الذي يتمتّع بالإيمان والتقوى، وإن كان قليلاً عدده.

مقتل ابن زياد

حصد القائد العظيم إبراهيم بن مالك بسيفه رأس الكفر والضلال ابن مرجانة فقدّه نصفين، وعجّل الله تعالى بروحه إلى النار ليكون خالداً في جهنّم مع قرينه يزيد بن معاوية.

ألا بوركت تلك اليد التي طوت تلك الصحيفة السوداء المليئة بالإثم والعار، وأنقذت المسلمين من شرّه وخزيه، إنّ من عظيم توفيق الله تعالى لإبراهيم أن جعل نهاية هذا المجرم الخبيث على يده المباركة البيضاء التي لم تلوّث بمآثم الحياة.

ولم يكن إبراهيم على يقين من قتله لابن مرجانة، ولكنّه يظنّ ذلك، فقد قال لجنده: «إنّي قتلت رجلاً تحت راية منفردة على شاطئ نهر الخازر، فالتمسوه فإنّي أظنّ أنّه ابن مرجانة».

---

(١) الكامل في التاريخ: ٤: ٢٦٦.

وسارع الجند فإذا هو الطاغية ابن زياد، فاحتزّوا رأسه، وأحرقوا جثّته، وامتلأ قلب إبراهيم فرحاً وغبطة وسروراً على هذه الكرامة التي أجراها الله تعالى على يده.

مقتل قادة فرق أهل الشام

حصد إبراهيم مع جيشه رؤوس الخونة من قادة الفرق في جيش الشام، كان منهم:

١ ـ الحصين بن نمير.

٢ ـ شرحبيل بن ذي الكلاع.

٣ ـ ابن حوشب.

٤ ـ غالب الباهلي.

٥ ـ عبدالله بن إياس السلمي.

٦ ـ أبو الأشرس الذي كان والياً على خراسان[١].

لقد اندحر جيش الشام بمقتل قادته، ومني بخسارة فادحة طوت جميع معالمه، وكان من غرق من الجيش أكثر ممّن قتل منهم.

عدد القتلى من أهل الشام

وقذف الله تعالى في قلوب جيش الشام الفزع والخوف، فقد أُبيد معظمهم. قال ابن نما في عددهم: «جعل العراقيّون يعدّون قتلى أهل الشام بالقصب، فكانوا سبعين ألفاً، وهي أفدح خسارة مني بها جيش أهل الشام في تلك الفترة القصيرة، وكان ذلك هو النصر المبين الذي أحرزه جيش المختار».

ومن الجدير بالذكر أنّ الواقعة كانت في اليوم العاشر من المحرّم سنة ٦٧هـ.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥: ٢١٩.

الغنائم

غنم جيش المختار جميع ما في عسكر الطاغية ابن مرجانة من السلاح والعتاد والأرزاق، وقد كسب جيش المختار قوّة وثراءً ونصراً معنوياً أذلّ به أهل الشام وجميع القوى الموالية للأمويّين.

مع الشعراء

انبرى شعراء ذلك العصر يرفعون آيات الشكر والثناء إلى الزعيم القائد إبراهيم بن مالك الأشتر على ما أحرزه من النصر العظيم من اجتثاثه للطاغية ابن مرجانة، والعملاء والعبيد من الجيش الأموي، ومن هؤلاء الشعراء:

١ ـ أبو العبّاس الزبيدي

وأبدى أبو العبّاس الزبيدي إعجابه بإبراهيم وجيشه على ما أحرزوه من النصر العظيم، قال:

أَتاكُمْ غُلامٌ مِنْ عَرانينِ مَذْحِجٍ ... جَرِيٌّ عَلَى الأَعْداءِ غَيْرُ نَكولِ
أَتاهُ عُبَيْدُ اللهِ في شَرِّ عُصْبَةٍ ... مِنَ الشامِ لَمّا أَنْ رَضوا بِقَليلِ
فَلَمّا الْتَقَى الجَمْعانِ في حَوْمَةِ الوَغى ... وَلِلْمَوتِ فيهِمْ ثَمَّ جَسْرُ ذُيولِ
فَأَصبَحتَ قَد وَدَّعْتَ هِنْداً وَأَصْبَحَتْ ... مُوَلَّهَةً ما وَجْدُها بِسَليلِ
وَأَخْلَقْ بِهِنْدٍ أَنْ تُساقَ سَبِيَّةً ... لَها مِنْ أَبي إِسحاقَ شَرُّ حِلبالِ
تَوَلّى عُبَيْدُ اللهِ خَوْفاً مِنَ الرَّدى ... وَخَشيَةَ ماضي الشَّفْرَتَيْنِ صَقيلِ
جَزى اللهُ خَيراً شُرطَةَ اللهِ إِنَّهُمْ ... شَفَوا بِعُبَيدِ اللهِ كُلَّ غَليلِ[1]

---

(١) أصدق الأخبار: ٨٨.

حكى هذا الشعر بسالة إبراهيم ، وشدّة صولته ، وما أنزله في جيش أهل الشام من الخسائر الفادحة التي تركتهم يجرّون ذيولهم أسىً وحزناً ، وتمنّى الشاعر أن تساق هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الطاغية عبيدالله بن مرجانة سبيّةً كما ساق زوجها المجرم عقائل الوحي سبايا ، وترحّم الشاعر على جيش المختار لأنهم شفوا غليل كلّ مسلم بإبادتهم للعصابة المجرمة .

٢ ـ سراقة بن مرداس

من الشعراء الذين أشادوا بإبراهيم سراقة بن مرداس البارقي ، فقد رفع له آيات الشكر والثناء على ما أسداه على المسلمين من ألطاف وأيادٍ بيضاء بقتله للخبيث ابن مرجانة ، قال :

أتاكُمْ غُلامٌ مِنْ عَرانينِ مَذْحِجٍ ... جَرِيٌّ عَلَى الأعْداءِ غَيْرُ نَكولِ
فَيا ابْنَ زيادٍ بُؤْ بأعْظَمِ هالِكٍ ... وَذُقْ حَدَّ ماضِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقيلِ
ضَرَبْناكَ بالعَضْبِ الحُسامِ بحدَّةٍ ... إذا مـا أَبـأنا قـاتِلاً بِـقَتيلِ
جَزَى اللهُ خَيْراً شُرْطَةَ اللهِ إنَّهُمْ ... شَفَوا مِنْ عُبَيْدِ اللهِ أمْسِ غَليلي[1]

وهذا الشعر معظمه كشعر الزبيدي في وزنه وقافيته وألفاظه لم يختلف عنه بقليل ولا بكثير ، وأكبر الظنّ أنّه استشهد بها في مناسبة فظنّ أنّها له .

٣ ـ عبيدالله بن الزبير

قدّم عبيدالله بن الزبير الأسدي آيات الشكر إلى الزعيم القائد إبراهيم على قتله للطاغية ابن مرجانه ، فقال :

---

(١) البداية والنهاية : ٨ : ٣١١ .

اللهُ أَعْـطاكَ الـمَهابَةَ وَالتُّـقَى ... وَأَحَلَّ بَيتَكَ في العَديدِ الأَكْثَرِ
وَأَقَرَّ عَينَكَ يَومَ وَقْعَةِ خازِرٍ ... وَالخَيْلُ تَعْثُرُ بِالقَنا المُتَكَسِّرِ
مِن ظالِمينَ كَفَتهُمُ آثامُهُمْ ... تُرِكوا لِعافِيَةٍ وَطَيْرٍ حُسَّرِ
ما كانَ أَجْرَأَهُمْ جَزاهُمْ رَبُّهُمْ ... شَرَّ الجَزاءِ عَلَى ارْتِكابِ المُنْكَرِ[1]

حكى هذا الشعر ما منح الله تعالى به إبراهيم من المهابة في عيون الناس، وما يتمتّع به من الإيمان والتقى، وهنّأه بما أحرزه من النصر العظيم في واقعة الخازر من قتل الطاغية ابن مرجانة وعصابته التي أبادتهم قوى الإيمان، فتركت جيفهم ترتع بها الطيور.

٤ - يزيد بن المفرّغ

هجا يزيد بن المفرّغ الطاغية ابن مرجانة، وما حلّ فيه من العتاب الصارم، قال:

إِنَّ الـمَنايا إِذا ما زُرنَ طاغِيَةً ... هَتَكنَ أَستارَ حُجّابٍ وَأَبوابِ
أَقولُ بُعداً وَسُحْقاً عِندَ مَصرَعِهِ ... لِابْنِ الخَبيثَةِ وَابْنِ الكَوْدَنِ[2] الكابي
لا تَقبَلُ الأَرْضُ مَوْتاهُمْ إِذا قُبِروا ... وَكَيْفَ تَقْبَلُ رِجساً بَينَ أَثْواب[3]
إِنَّ الَّذي عاشَ غَدّاراً بِذِمَّتِهِ ... وَماتَ هُزْلاً قَتيلُ اللهِ بِالزابِ[4]
ما شُقَّ جَيْبٌ وَلا ناحَتْكَ نائِحَةٌ ... وَلا بَكَتْكَ جِيادٌ عِنْدَ أَسْلابِ[5]

---

(١) أصدق الأخبار: ٨٩.

(٢) **الكودن**: الفرس الهجين، أي: غير العتيق.

(٣) في نسخة: «هتكن عنه ستوراً بعد أبواب».

(٤) **الزاب**: نهر بين الموصل وإربيل، وبين بغداد وواسط، **والزاب** أيضاً: كورة عظيمة. مراصد الاطّلاع: ٢: ٦٥٢ ـ ٦٥٣.

(٥) أصدق الأخبار: ٨٩. الكامل في التاريخ: ٤: ٢٦٦، وفي أنساب الأشراف: ٦: ٢٧ ⇦

معنى هذا الشعر أنّ الموت إذا طوى طاغية متمرّداً على القيم والأعراف فإنّ المجتمع يقول له بُعداً وسحقاً لأنه قد استراح من ظلمه وبطشه وجبروته، وأنّ الأرض لا تقبل جيفته وترفضها لأنها عارٌ وخزيٌ. كما حكى هذا الشعر أنّ ابن زياد المجرم الدنس قد عاش في الدنيا غدّاراً سفّاكاً. وقد عمّ الفرح بهلاكه، فلم تشقّ عليه الجيوب، ولم تنح عليه النوائح، ولم تبكه جياد الخيل.

هؤلاء بعض الشعراء الذين هنّأوا المختار على هذا النصر العظيم.

رأس الطاغية أمام المختار

أنفذ القائد العظيم المظفّر إلى المختار رأس الطاغية ابن مرجانة، ومعه رؤوس الخونة من قادة جيشه أمثال الخبيث شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، والرجس الحصين بن نمير وأمثالهما من المجرمين، وجعل في آذانهم رقاعاً سجّل فيها أسماءهم، ورفعت إلى المختار، وكان في المدائن، فلمّا رآها امتلأ قلبه فرحاً وسروراً، فقد حقّق الله تعالى على يده المباركة النصر المبين، وشفى قلوب المؤمنين، وكان المختار يتغدّى، فلمّا فرغ من غذائه سجد لله شاكراً، وقام فوطأ بحذائه وجه الخبيث المجرم ابن مرجانة، ثمّ رمى بها إلى غلامه، وقال له: «اغسلها، فإنّي وضعتها على وجه رجس كافر».

ومن المدهش أنّ حيّة جاءت إلى رأس الطاغية ابن زياد، فدخلت في فمه الخبيث، وخرجت من منخره، فعلت ذلك مراراً[1].

⇦ زيادة بيتين على هذه الأبيات وهما:

لَا أَنْتَ زوجِمْتَ عَنْ مُلكٍ فَتَمنَعهُ ... وَلَا مَـــتَّ إلى قَـــوْمٍ بِـأَسْبابِ

لَا مِنْ بزارٍ وَلَا مِنْ جَذْمِ ذي يَـمَنٍ ... جَلمودُ إذْ أُلقِيَتْ مِـنْ بَـيْنِ أَلْـهابِ

الكامل في التاريخ: ٤: ٢٦٦

(١) الكامل في التاريخ: ٣: ٣٨١، وغيره.

وهذا ليس بغريب ، فقد انتهك هذا الخبيث جميع ما حرّم الله ، وأعلن الحرب على رسول الله ﷺ ، فأباد عترته الطاهرة التي هي صفوة أهل الأرض ، ومثّل كأقسى ما يكون التمثيل بجثمان الإمام العظيم الذي يحكي جدّه رسول الله ﷺ في سموّ أخلاقه وعظيم مثله ومكوّناته .

رأس الطاغية هديّة لابن الحنفيّة

أرسل المختار رأس ابن مرجانة ورؤوس الخونة من قادة جيشه هدية إلى السيّد محمّد بن الحنفيّة ، ومعها ثلاثون ألف دينار ،ومعها هذه الرسالة ، جاء فيها بعد البسملة :

للمهدي محمّد بن عليّ

من المختار بن أبي عبيد

سلام عليك

أمّا بعد .. فالحمد لله الذي أخذ لك بالثأر من الأشرار ، وأبناء النجّار ، فقتلهم في كلّ فجّ بقهر ، ونمرقهم في كلّ بحر ونهر ، فشفى بذلك قلوب المؤمنين ، وأقرّ به عيون المسلمين ، وأهلك المحلّين الفاسقين ، وأولاد الفاسقين ، فأبادهم ربّ العباد أجمعين ، فنزل بهم ما نزل بثمود وعاد ، وغرقهم تغريق فرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، قد قتلوا شرّ قتلة ، ومثّل بأشرافهم أقبح مثلة .

فاحمد الله تعالى أيّها المهدي على ما أتاك ، واشكره على ما أعطاك ، وأنعم عليك ، وقد وجّهت إليك ثلاثين ألف دينار لتصرفها في أهل بيتك وقرابتك ومن لجأ إليك من شيعتك .

والسلام عليك أيّها المهدي ورحمة الله وبركاته[1]

---

(١) الفتوح : ٦ : ١٨٣ ، وجاء في الكامل وغيره صورة مختصرة من هذه الرسالة .

حكت هذه الرسالة ما نزل بجيش الأمويّين من الخسائر، فقد صبّ الله تعالى عليهم وابلاً من العذاب العظيم، فقد غرق منهم الآلاف خوفاً ورعباً من جيش المختار، كما مثّل بقادتهم، فقد أُحرقت جيف قتلاهم، ومثّل بها شرّ تمثيل.

ولمّا انتهت هذه الهدية إلى محمّد بن الحنفيّة غمرته موجات من الأفراح، ورفع يديه بالدعاء إلى المختار قائلاً: جزاه الله خير الجزاء، فقد أدرك ثأرنا، ووجب حقّه على كلّ من ولده عبدالمطّلب من هاشم.

كما دعا لإبراهيم بن مالك الأشتر على جهوده وجهاده، وأخذه بثأر الإمام الحسين عليه السلام.

رأس ابن مرجانة أمام الإمام السجّاد عليه السلام

وأرسل محمّد رأس الخبيث ابن مرجانة إلى الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد وضع أمامه بعد الفراغ من صلاة الظهر، وحضور وجبة الطعام، وقد رفع حامل رأس الطاغية صوته قائلاً: يا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، ومنزل الوحي.

أنا رسول المختار بن أبي عبيد، ومعي رأس عبيدالله بن زياد[1].

وسجد إمام المتّقين وزين العابدين شكراً لله تعالى، وقد غمرته موجات من الفرح والسرور وراح يقول:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي أَدْرَكَ ثَأْري مِنْ عَدُوّي، وَجَزى اللهُ تَعالَى الْمُخْتارَ خَيْراً.

أُدْخِلْتُ عَلى عُبَيْدِاللهِ بْنِ زِيادٍ وَهُوَ يَتَغَدّى، وَرَأْسُ أَبي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقُلْتُ: اللّٰهُمَّ لا تُمِتْني حَتّىٰ تُرِيَني رَأْسَ ابْنِ زِياد»[2].

---

(١) حياة الإمام زين العابدين عليه السلام: ٢: ٤٠٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٥٠.

والتفت الإمام إلى الحاضرين فقال لهم:

« **سُبْحانَ اللهِ! ما اغْتَرَّ بِالدُّنْيا إِلَّا مَنْ لَيْسَ للهِ في عُنُقِهِ نِعْمَةٌ . لَقَدْ أُدْخِلَ رَأْسُ أَبي عَبْدِاللهِ عَلى ابْنِ زِيادٍ وَهُوَ يَتَغَدّىٰ** »[١].

ولم يرَ الإمام مبتسماً بعد شهادة أبيه إلّا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة، وحملت إلى الإمام فاكهة من الشام، فأمر بتوزيعها على أهل المدينة[٢].

ويقول الرواة: «إنّه لم تبق علويّة في دور بني هاشم إلّا صرخت لأنهنّ تذكّرن ما جرى عليهنّ من الرزايا والمصائب التي صبّها عليهنّ هذا المجرم الخبيث».

وتحدّث الإمام الصادق عليه السلام عن السرور الذي داخل الأسرة العلويّة بعد هلاك الطاغية ابن مرجانة، قال: « **ما اكْتَحَلَتْ هاشِمِيَّةٌ . وَلَا اخْتَضَبَتْ . وَلَا تُرِّسَ في دارِ هاشِمِيٍّ دُخانٌ خَمْسَ سِنينَ حَتّىٰ قُتِلَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِياد** »[٣].

وبعث المختار إلى الإمام زين العابدين عليه السلام عشرين ألف دينار فقبلها وبنى بها دور بني عقيل التي هدمتها بنو أميّة[٤].

لقد كان المختار صادقاً في إيمانه، ومتحمّساً لعقيدته، وقد شفى الله تعالى بثورته المباركة قلوب العلويّين والمؤمنين، أجزل الله تعالى له الأجر، وشكر له الصنيع، وأسكنه في دار جنّات النعيم مع النبيّين والصدّيقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

وبهذا نطوي الحديث عن هذا العملاق الذي حقد عليه الخطّ الأموي، واتّهمه باتّهامات رخيصة بعيدة عن هديه وواقعه.

---

(١) العقد الفريد: ٥: ١٤٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢: ٨.

(٣) بحار الأنوار: ٤٥: ٢٠٧، الحديث ١٣ و: ٣٤٤، الحديث ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ٤٥: ٣٤٤، الحديث ١٣ و: ٣٥٢.

وقد أكملنا هذا الكتاب ونحن في قم مركز العلم ، ومعهد أهل البيت عليهم السلام ، وأنا في ضيافة ولدي البارّ العلّامة الزكي الشيخ مهدي وفّقه الله تعالى لمراضيه .

مَصَادِرُ الكِتَابِ

الاحتجاج ..... الشيخ الطبرسي

الأخبار الطوال ..... ابن قتيبة الدينوري

الأخبار الموفقيّات ..... الزبير بن بكّار

الإرشاد ..... الشيخ المفيد

أُسد الغابة ..... ابن الأثير الشيباني

الإصابة ..... ابن حجر العسقلاني

أصدق الأخبار ..... ابن نما الحلّي

أُصول الكافي ..... الشيخ الكليني

الأعلام ..... خير الدين الزركلي

إعلام الورى ..... الشيخ الطبرسي

أعيان الشيعة ..... السيّد محسن الأمين العامليّ

الأغاني ..... أبو الفرج الاصفهاني

الإمام زين العابدين ..... أحمد فهمي

الإمامة والسياسة ..... ابن قتيبة الدينوري

أنساب الأشراف ..... أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

بحار الأنوار ..... العلّامة المجلسي

البداية والنهاية ..... ابن كثير الدمشقي
البيان في تفسير القرآن ..... السيّد أبوالقاسم الخوئي
تاج العروس ..... الزبيدي الحنفي
تاريخ أبي الفداء ..... أبو الفداء إسماعيل بن عليّ
تاريخ الإسلام ..... شمس الدين الذهبي
تاريخ الأمم والملوك ..... الطبري
تاريخ بغداد ..... الخطيب البغدادي
تاريخ الخلفاء ..... السيوطي
تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي ..... علي حسين الخربوطلي
تاريخ مدينة دمشق ..... ابن عساكر الدمشقي
تاريخ اليعقوبي ..... أحمد بن أبي يعقوب العبّاسي
تذكرة الخواص ..... سبط ابن الجوزي
تذهيب تهذيب ..... شمس الدين الذهبي
تفسير روح المعاني ..... الآلوسي
تفسير العيّاشي ..... محمّد بن مسعود بن عيّاش السمرقندي
تكملة نقد الرجال ..... الشيخ عبدالنبيّ الكاظمي
التنبيه والإشراف ..... المسعودي
تنقيح المقال ..... الشيخ عبدالله المامقاني
تهذيب التهذيب ..... ابن حجر العسقلاني
تهذيب الكمال ..... أبوالحجاج يوسف المزي
جمهرة أنساب العرب ..... ابن حزم الأندلسي
جواهر المطالب ..... شمس الدين محمّد الدمشقي
الحدائق الورديّة ..... الشهيد المحلي

الحور العين ..... أبو سعيد بن نشوان الحميري
حياة الشعر في الكوفة ..... يوسف خليف
حياة الإمام الحسن بن عليّ عليه السلام ..... المؤلّف
حياة الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام ..... المؤلّف
حياة الإمام زين العابدين عليه السلام ..... المؤلّف
حياة الإمام محمّد الباقر عليه السلام ..... المؤلّف
خزانة الأدب ..... عبدالقادر بن عمر البغدادي
الدرّ النضيد ..... أحمد بن يحيى الهروي
الدرّ النظيم ..... يوسف بن حاتم الشامي العاملي
ديوان السيّد حيدر الحلّي ..... السيّد حيدر الحلّي
ديوان عيد الغدير ..... بولس سلامة
ذوب النضار ..... ابن نما الحلّي
رجال بحرالعلوم ..... السيّد مهدي آل بحرالعلوم
رجال الكشّي (اختيار معرفة الرجال) ..... الشيخ الطوسي
رجال النجاشي ..... الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي
روضة الواعظين ..... ابن الفتال النيسابوري
سمط النجوم العوالي ..... عبدالملك العصامي
سير أعلام النبلاء ..... شمس الدين الذهبي
السيرة النبويّة ..... ابن كثير
شذرات الذهب ..... ابن عماد الحنبلي
شرح نهج البلاغة ..... ابن أبي الحديد
الصراط السوي ..... محمود الشيخاني القادري
طبقات الشعراء ..... ابن معتزّ

الطبقات الكبرى ..... ابن سعد الواقدي
العقد الفريد ..... ابن عبدربّه الأندلسي
عوالم العلوم ..... عبدالله البحراني الأصفهاني
عيون الأخبار ..... عبدالله بن مسلم بن قتيبة
عيون أخبار الرضا عليه السلام ..... الشيخ الصدوق
الفتوح ..... أحمد بن أعثم الكوفي
فجر الإسلام ..... أحمد أمين
الفخري ..... إسماعيل بن الحسين المروزي
فوات الوفيات ..... محمّد بن شاكر الكتبي
فهرست الطوسي ..... الشيخ الطوسي
القاموس المحيط ..... الفيروزآبادي
كامل الزيارات ..... ابن قولويه
الكامل في التاريخ ..... ابن الأثير الشيباني
كتاب المحصّل ..... الرازي
الكنى والألقاب ..... الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمّي
لسان العرب ..... ابن منظور الأفريقي
اللهوف ..... السيّد ابن طاووس
المحاسن والمساوئ ..... البيهقي
المحيط في اللغة ..... الصاحب إسماعيل بن عباد
المختار الثقفي مرآة العصر الأموي ..... علي حسين الخربوطلي
مدينة المعاجز ..... السيّد هاشم البحراني
المذاهب الإسلاميّة ..... محمّد أبو زهرة
مراصد الاطّلاع ..... صفي الدين البغدادي

مروج الذهب ..... المسعودي
مطالب السؤول ..... ابن طلحة الشافعي
المعارف ..... ابن قتيبة الدينوري
معاوية بن أبي سفيان ..... عمرو أبو النصر
معجم البلدان ..... ياقوت الحموي
معجم رجال الحديث ..... السيّد أبو القاسم الخوئي
مقامات الحريري ..... القاسم بن عليّ الحريري
مقتل الحسين عليه السلام ..... الموفّق بن أحمد الخوارزمي
مقتل الحسين عليه السلام ..... السيّد عبدالرزّاق المقرّم
الملل والنحل ..... محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني
مناقب آل أبي طالب ..... ابن شهرآشوب
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ..... عبدالرحمن بن علي بن الجوزي
النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ..... محمّد بن عقيل العلوي
نفس المهموم ..... الشيخ عباس بن محمّد رضا القمّي
الوافي في المسألة الشرقيّة ..... أمين إبراهيم شمّيل
وسيلة المآل ..... شهاب الدين أحمد بن الفضل
وقعة صفّين ..... نصر بن مزاحم
الهاشميّات ..... شرح قصائد الكميت بن زياد
ينابيع المودّة ..... القندوزي الحنفي

مُحتويات الكتاب

كلمة المحقّق ٧

تقديم ٩

نشأته

١٧ ـ ٢٦

الأب ٢٢

أُمّه ٢٣

ولادته ٢٣

كنيته ٢٤

لقبه ٢٤

شقيقته ٢٥

في حجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٢٥

حديث مهمّ للإمام عليه السلام حول المختار ٢٥

نشأة المختار ٢٦

عناصره النفسية

٢٩ ـ ٥١

قوة الإرادة ٣١

الشجاعة ٣٢

السخاء ٣٣

بوادر من كرمه ٣٣

الرأفة والرحمة ٣٤

الذكاء ٣٥

الطموح ٣٦

العدل ٣٦

الولاء لأهل البيت عليهم السلام ٣٦

اتّهامات رخيصة ٣٧

١ ـ ادّعاء النبوّة ٣٨

٢ ـ الكرسيّ ٣٨

٣ ـ الالتقاء بجبرئيل عليه السلام ٣٩

٤ ـ البداء ٤٠

٥ ـ الكيسانيّة ٤٣

رفض الإمام السجّاد عليه السلام لأموال من المختار ٤٤

إخباره بالمغيّبات ٤٥

مكانة المختار عند أئمّة الهدى ٤٥

الإمام زين العابدين عليه السلام ٤٦

الإمام الباقر عليه السلام ٤٦

الإمام الصادق عليه السلام ٤٨
المؤيّدون للمختار ٤٨
١ ـ عبدالله بن عبّاس ٤٩
٢ ـ ابن نما ٤٩
٣ ـ البراقي ٥٠
٤ ـ الشيخ عبدالنبيّ الكاظمي ٥١

عصره.. صور من التاريخ

٥٣ ـ ٩٤

حكومة عثمان

٥٨

حكومة الإمام

مقرّرات الإمام ٦١
١ ـ عزل ولاة عثمان ٦١
٢ ـ مصادرة أموال عثمان ٦٢
٣ ـ المساواة ٦٢
٤ ـ الموالي ٦٣
فزع القرشيّين ٦٤
تمرّد طلحة والزبير ٦٤
ماء الحوأب ٦٧
في البصرة ٦٨
تمرّد معاوية ٦٩
زحف معاوية لصفّين ٧٠

مسير الإمام للحرب ٧١
القتال على الماء ٧٢
الحرب ٧٢
رفع المصاحف ٧٣
فتنة الخوارج ٧٥
أفول دولة الحقّ ٧٦
شهادة الإمام ٧٦

خلافة الإمام الحسن عليه السلام

في المدائن ٧٨
نشر الجواسيس ٧٩
رشوة الوجوه ٧٩
خيانة عبيدالله ٧٩
نهب أمتعة الإمام ٨٠
محاولات لاغتياله عليه السلام ٨٠
الحكم عليه بالكفر ٨٠
رواية مخدوشة ٨١
حيرة وذهول ٨٢
شروط الصلح ٨٣

حكومة معاوية

١ ـ خرقه لشروط الصلح ٨٥
٢ ـ محق الإسلام ٨٦
عداؤه للنبيّ صلى الله عليه وآله ٨٦

سبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٨٨
٣ ـ افتعال الحديث ٨٩
٤ ـ استلحاق زياد ٨٩
٥ ـ تعطيل الحدود والأحكام ٩٠
٦ ـ إباحة الربا ٩٠
٧ ـ الأذان في صلاة العيد ٩١
٨ ـ الخطبة قبل صلاة العيد ٩١
٩ ـ التطيّب في الإحرام ٩١
١٠ ـ مصادرة أموال الناس ٩٢
١١ ـ إبادة القوى الإسلاميّة ٩٢
١ ـ الإمام الحسن عليه السلام ٩٢
٢ ـ حجر بن عدي وجماعته ٩٢
٣ ـ رشيد الهجري ٩٢
٤ ـ عمرو بن الحمق الخزاعي ٩٢
٥ ـ أُوفى بن حصن ٩٢
٦ ـ جويرية بن مسهر ٩٣
٧ ـ عبدالله الحضرمي وجماعته ٩٣
١٢ ـ اضطهاد الشيعة ٩٣
١٣ ـ عدم قبول شهادة الشيعي ٩٣
١٤ ـ هدم دور الشيعة ٩٤

كابوس رهيب
٩٥ ـ ١٤٧

نزعات يزيد وصفاته :
١ ـ الإلحاد ٩٨
٢ ـ الإدمان على الخمر ٩٨
٣ ـ الشغف بالقرود ١٠٠
٤ ـ الولع بالصيد ١٠١
٥ ـ الفسق والفجور ١٠١
مع الإمام الحسين عليه السلام ١٠١
رسالة يزيد للوليد ١٠٢
استدعاء الإمام الحسين عليه السلام ١٠٢
الإمام مع ابن الحنفيّة ١٠٤
١ ـ طلب الإصلاح ١٠٤
٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٤
٣ ـ السير بمسيرة جدّه وأبيه ١٠٥
٤ ـ إحياء الحقّ ١٠٥
في مكّة ١٠٦
فزع السلطة ١٠٧
اضطراب العراق ١٠٧
مؤتمر الشيعة ١٠٨
قرارات المؤتمر ١٠٨
الوفد ١٠٨
الرسائل ١٠٩
إيفاد مسلم للعراق ١١١
في ضيافة المختار ١١٢

البيعة للإمام الحسين عليه السلام ١١٣
عدد المبايعين ١١٣
رسالة مسلم للإمام الحسين عليه السلام ١١٤
موقف النعمان بن بشير ١١٥
في قصر الإمارة ١١٧
خطاب ابن زياد في الكوفة ١١٧
نشر الارهاب ١١٨
التجسّس على مسلم عليه السلام ١١٩
رسل الغدر لهاني ١٢٠
اعتقال هاني ١٢١
ثورة مسلم عليه السلام ١٢٤
حرب الأعصاب ١٢٥
في ضيافة طوعة ١٢٧
إعلان حالة الطوارئ ١٣٠
راية الأمان ١٣١
انضمام المختار لراية الأمان ١٣٢
خطبة ابن زياد ١٣٢
الإفشاء بمسلم عليه السلام ١٣٣
الهجوم على مسلم ١٣٤
ألوان قاسية من الحرب عليه السلام ١٣٥
فشل الجيوش عن مقاومته ١٣٥
أمان ابن الأشعث ١٣٧
أسره ١٣٨

مع الباهلي ١٣٨
مع ابن مرجانة ١٣٩
وصيّة مسلم ﷺ ١٤٠
إلى الرفيق الأعلى ١٤١
تنفيذ الإعدام في هاني ١٤٢
السحل في الشوارع ١٤٢
صلب الجثّتين ١٤٣
إعلان الأحكام العرفيّة ١٤٣
الطاغية مع المختار ١٤٤
توسّط ابن عمر في شأن المختار ١٤٥
رأي غريب ١٤٥
المختار مع ابن العرق ١٤٦

الثورة الحسينية أسبابها. مآسيها. آثارها

١٤٩ ـ ٢١٨

١ ـ إقامة الحقّ ١٥٢
٢ ـ إنقاذ المسلمين من الردّة الجاهليّة ١٥٣
٣ ـ الإباء وعزّة النفس ١٥٤
٤ ـ إنقاذ الأُمّة من الفقر والحرمان ١٥٦
٥ ـ إنقاذ الشيعة من الظلم ١٥٧
المأساة الخالدة ١٥٨
في رحاب كربلاء ١٥٨
خطبة الإمام ١٥٩

زحف الكوفة للحرب ١٦٠
احتلال الفرات ١٦٠
تأجيل الحرب ليلة واحدة ١٦١
الإمام يأذن لأصحابه بالتفرّق ١٦٣
جواب أهل بيته عليهم السلام ١٦٤
جواب أصحابه رضي الله عنهم ١٦٤
مصارع الأصحاب ١٦٤
مصارع العترة النبويّة ١٦٥
مصرع الإمام العظيم ١٦٥
إجراءات مروّعة ١٦٧
١ ـ حرق الخيام ١٦٧
٢ ـ سلب جثّة الإمام ١٦٨
٣ ـ سلب حرائر النبوّة ١٦٨
٤ ـ ضرب عقائل الوحي ١٦٩
٥ ـ الهجوم على الإمام زين العابدين عليه السلام ١٧٠
٦ ـ التمثيل بالجثمان العظيم ١٧٠
٧ ـ عدم مواراة الإمام عليه السلام ١٧١
سبايا أهل البيت في الكوفة ١٧١
ثورة ابن عفيف ١٧٤
السبايا في الشام ١٧٦
السبايا في مجلس يزيد ١٧٧
خطاب العقيلة زينب ١٧٧
امتدادات الثورة الحسينيّة ١٧٨

أوّلاً : ثورة المدينة ١٧٩
أسباب الثورة ١٧٩
١ ـ شهادة الإمام الحسين عليه السلام ١٧٩
٢ ـ فسق يزيد ١٨٠
٣ ـ كراهيّة المدنيّين للأمويّين ١٨١
طرد حاكم المدينة ١٨٢
التجاء مروان للإمام ١٨٢
انتداب مسلم بن عقبة للحرب ١٨٣
وصيّة يزيد لابن عقبة ١٨٤
زحف الجيوش للحرب ١٨٤
محاصرة المدينة ١٨٥
احتلال المدينة ١٨٥
مجازر وفضائح ١٨٥
الرؤوس بين يدي يزيد ١٨٧
ثانياً : ثورة ابن الزبير ١٨٧
مظاهر شخصيّته ١٨٨
١ ـ الرياء ١٨٩
٢ ـ حقده على أهل البيت ١٩٠
مع الإمام الحسين عليه السلام ١٩١
حثّه للإمام على الخروج للعراق ١٩١
المختار مع ابن الزبير ١٩٢
جهاد المختار في مكّة ١٩٣
هلاك يزيد ١٩٤

تخلّي المختار عن ابن الزبير ١٩٥
مع ابن الحنفيّة ١٩٦
سفر المختار إلى العراق ١٩٦
في كربلاء ١٩٧
في الكوفة ١٩٧
المختار في السجن ١٩٨
رسالة المختار لابن عمر ١٩٩
الإفراج عن المختار ٢٠٠
ثالثاً: ثورة التوّابين ٢٠١
مؤتمر التوّابين ٢٠١
كلمة المسيّب بن نجبة ٢٠٢
كلمة رفاعة بن شدّاد ٢٠٣
كلمة سليمان بن صرد ٢٠٣
قرارات المؤتمر ٢٠٤
التبرّعات ٢٠٥
رسائل سليمان لزعماء الشيعة ٢٠٥
سعد بن حذيفة ٢٠٦
جواب سعد ٢٠٨
عدد المبايعين ٢٠٩
المختار مع التوّابين ٢٠٩
التوّابون مع حكومة الكوفة ٢١١
إعلان الثورة ٢١٢
في كربلاء ٢١٢

في عين الوردة ٢١٤
الحرب ٢١٥
نهاية الحرب ٢١٦
رثاء أعشى همدان لقادة التوّابين ٢١٦

حكومة المختار

٢١٩ ـ ٢٦٤

تخطيط الثورة ٢٢١
الدعوة لابن الحنفيّة ٢٢١
رسالة ابن الحنفيّة لإبراهيم ٢٢٢
استئجار نائحات على الحسين ﷺ ٢٢٣
كسب الموالي ٢٢٣
تحديد الوقت للثورة ٢٢٤
فزع السلطة من المختار ٢٢٤
الثورة المباركة ٢٢٥
شعار الثورة ٢٢٥
وثوق الجماهير بالمختار ٢٢٦
احتفاف الشيعة بالثورة ٢٢٦
استعداد حاكم الكوفة للحرب ٢٢٧
مصرع رئيس شرطة الكوفة ٢٢٨
التحام المعسكرين ٢٢٩
خطاب السائب ٢٣٠
هزيمة جيش ابن مطيع ٢٣١

فرار ابن مطيع ٢٣١
العفو العامّ ٢٣١
إنفاق ما في بيت المال ٢٣٢
البيعة للمختار ٢٣٣
خطبة المختار ٢٣٣
ولاته ٢٣٥
بناء مرقد الإمام الحسين عليه السلام ٢٣٦
فزع الجناة المجرمين ٢٣٦
هروب الفسقة ٢٣٦
١ ـ عبدالملك بن الحجّاج التغلبي ٢٣٧
٢ ـ أسماء بن خارجة الفزاري ٢٣٧
٣ ـ محمّد بن الأشعث ٢٣٨
٤ ـ مجرم ٢٣٩
٥ ـ شمر بن ذي الجوشن ٢٤٠
٦ ـ عمر بن سعد ٢٤٠
هدم دور الجناة ٢٤٣
الإبادة الشاملة ٢٤٤
١ ـ حرملة بن كاهل ٢٤٤
٢ ـ عصابة مجرمة ٢٤٥
٣ ـ العصابة التي داست جثمان الحسين عليه السلام ٢٤٦
٤ ـ خولي بن يزيد ٢٤٦
٥ ـ عمرو بن الحجّاج الزبيدي ٢٤٧
٦ ـ حكيم بن الطفيل ٢٤٨

٧ ـ سنان بن أنس النخعي ٢٤٨
٨ ـ الذين نهبوا الورس ٢٤٨
٩ ـ عثمان وبشر ٢٤٩
١٠ ـ بجدل بن سليم الكلبي ٢٤٩
١١ ـ عمرو بن صبيح ٢٥٠
١٢ ـ عبيدالله بن زياد ٢٥٠
زحف جيش الشام لاحتلال الكوفة ٢٥٠
عدد جيش ابن زياد ٢٥١
جيش المختار ٢٥١
عدد جيش المختار ٢٥١
قادة جيش إبراهيم ٢٥٢
انضمام عبيدالله بن الحرّ لإبراهيم ٢٥٢
خروج جيش المختار ٢٥٣
تشييع المختار لإبراهيم ٢٥٣
عمير مع إبراهيم ٢٥٣
خطاب إبراهيم في جيشه ٢٥٣
التحام الحرب ٢٥٤
انهزام عمير ٢٥٥
مقتل ابن زياد ٢٥٥
مقتل قادة فرق أهل الشام ٢٥٦
عدد القتلى من أهل الشام ٢٥٦
الغنائم ٢٥٦
مع الشعراء ٢٥٧

١ ـ أبو العبّاس الزبيدي ٢٥٧
٢ ـ سراقة بن مرداس ٢٥٨
٣ ـ عبيدالله بن الزبير ٢٥٨
٤ ـ يزيد بن المفرّغ ٢٥٩
رأس الطاغية أمام المختار ٢٦٠
رأس الطاغية هديّة لابن الحنفيّة ٢٦١
رأس ابن مرجانة أمام الإمام السجّاد عليه السلام ٢٦٢

مصادر الكتاب ٢٦٥
محتويات الكتاب ٢٧١